أحمد محمد علي الحاكم
شارلس بونيه



كرمة مملكة النوبة

تُراثٌ أفريقيٌّ مِنْ عهدِ الفراعِنة

١٩٩٧م

إشراف: صلاح الدين محمد أحمد

* صدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية ، فى جنيڤا عام ١٩٩٠م
* كان صدوره مصاحباً للمؤتمر العالي لجمعية الدراسات النوبية ،كما كان مصاحباً للمعرض الذي اقيم بمتحف جنيڤ للفنون والتاريخ
* يعرض هذا الكتاب نتائج ابحاث بعثة جامعة جنيڤا للآثار بكرمة ، تحت قيادة البروفيسور شارلس بونية .
* صور الكتاب الداخلية مأخوذة من الأصل الصادر باللغة الفرنسية.
* صورة الغلاف : الوجه الأمامي للدفوفة الغربية بكرمة.

الناشر

بروفيسور/ شارلس بونيه والهيئة القومية للآثار والمتاحف

الطابعون

شركة دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع

أحمد محمد علي الحاكم
شارلس بونيه

كرمة مملكة النوبة

اشراف صلاح الدين محمد أحمد

المحتويات

قائمة بأرقام الصور ،الرسومات ،الجداول والخرائط

شكل رقم (٢٢)

نماذج لبعض الجماجم البـ ـية تمثل انسان حضارة كرمة .

شكل رقم (٢٣)

عادة خلع الاسنان العليا الا مية

شكل رقم (٢٤)

احصائية لمجموعة سكان ـ فترات حضارة كرمة القديمة والوسيطة

شكل رقم (٢٥)

دراسة مقارنة لجماجم انـ ان كرمة وجيرانه من افريقيا

شكل رقم (٢٦)

جثة كلب وجد مدفوناً مع ـاحب المقبرة

شكل رقم (٢٧)

اغطية من جلد البقر المدبوغ يلاحظ تفاصيل الحياكة تدل علي استخدامها في فترة حياة المتوفي .

شكل رقم (٢٨)

جماجم وقرون الأبقار

شكل رقم (٢٩)

احد المواقع السكنية من فترة ما قبل كرمة

شكل رقم (٣٠)

موقع يمثل مجموعة حفر واواني فخارية كانت تستعمل في تخزين الغذاء من فترة ما قبل كرمة

شكل رقم (٣١)

خارطة عامة لمدينة كرمة خلال الفترة القديمة والوسيطة

شكل (٣٢)

منظر جانبي لفناء احد الاكواخ التي وجدت في المدينة القديمة بكرمة

شكل رقم (٤٤)

خارطة مقارنة لمقاصير المدينة (٣,٤,٦,٧,٨,٩) والجبانة الشرقية (١,٢,٥,١٠,١١)

شكل رقم (٤٥)

مقصورة جنائزية بالقرب من مقبرة أمير من فترة كرمة الوسيطة

شكل رقم (٤٦)

قبر ذو مقصورتان جنائزيتان

شكل رقم (٤٧)

خارطة مقارنة المقاصير الكبيرة «الدفوفة الغربية ، الدفوفة الشرقية والمبني ك١١»

شكل رقم (٤٨)

المبني ك ١١ ، صرح ديني من فترة كرمة الكلاسيكية

شكل رقم (٤٩)

الدفوفة الشرقية بكرمة

شكل رقم (٥٠)

يوضح اعادة استخدام اجزاء من المسلات القديمة في ارضية الغرفة الجنوبية بالدفوفة الشرقية

شكل رقم (٥١)

شكل زخرفي من القاشاني من الدفوفة الشرقية

شكل رقم (٥٢)

سلم لأحد الممرات بالدفوفة الشرقية

شكل رقم (٥٣)

الغرفة الشمالية بالدفوفة الشرقية

شكل رقم (٥٤)
منظر عام لمدخل الدفوفة الغربية الذي يقود الي سطحها
شكل رقم (٥٥)
يوضح مدخل «واجهة» المحراب بالدفوفة الغربية

شكل رقم (٥٦)
شكل السلم المؤدي لسطح الدفوفة الغربية
شكل رقم (٥٧)
الجانب الجنوبي للحي الديني بكرمة
شكل رقم (٥٨)
أرضية احدي الصوامع القديمة التي تعود لفترة حضارة كرمة الوسيطة ويظهر لون «الأوكرا» الأحمر
شكل رقم (٥٩)
كوم علوي لأحد مقابر فترة كرمة الوسيطة
شكل رقم (٦٠)
خارطة توضح الجبانة الشرقية بكرمة .
شكل رقم (٦١)
البناء الخارجي للمقابر القديمة من فترة حضارة كرمة القديمة
شكل رقم (٦٢)
يوضح وضع الحصي فوق القبور
شكل رقم (٦٣) :
وضع المسلات ، قبر يعود لفترة كرمة الكلاسيكية

شكل رقم (٦٤)
وضع الجثة في داخل احد قبور كرمة القديمة
شكل رقم (٦٥)
أدوات الزينة «الحلى» المستخدمة في حضارة كرمة القديمة
شكل رقم (٦٦)، (٦٧)
قبر احد رماة السهام من فترة كرمة
شكل رقم (٦٨)
مقبرة توضح احد الضحايا الأدمية
شكل رقم (٦٩)
بعض السلطانيات التي كانت توضع مقلوبة حول القبر في أثناء الطقوس الجنائزية
شكل رقم (٧٠)
حلية وجدت مربوطة علي قرن احد الخراف
شكل رقم (٧١)
تصور لإعادة تشكيل حلية لكبش وجد داخل أحد المقابر
شكل رقم (٧٢)
حفر احد المقابر بالجبانة الشرقية
شكل رقم (٧٣)
جماجم وقرون الماشية من عهد فترة حضارة كرمة الوسيطة
شكل رقم (٧٤)
شكل القبر ، بجواره محراب بالاضافة الي رؤوس الماشية يرجع الي فترة حضارة كرمة الوسيطة
شكل رقم (٧٥)
استخدام صندوق من الخشب ضمن الاثاث الجنائزي في مقبرة من فترة كرمة الوسيطة

شكل رقم (٧٦)

بعض من محتويات صندوق وضع داخل مقبرة .

شكل رقم (٧٧) ، (٧٨)

المتوفي داخل القبر ، ويلاحظ وجود ضحيتان آدميتان بجانبيه .وخارطة لهذا القبر.

شكل رقم (٧٩) ، (٨٠)

طريقة الدفن ، المتوفي الرئيسي «صاحب المقبرة» علي سريره في وضع شبه مقرفص ، وخارطة توضح القبر ومحتوياته

شكل رقم (٨١)

منظر عام لأحد قبور الامراء ، فترة حضارة كرمة الكلاسيكية

شكل رقم (٨٢)

ممخضة من الجلد «سعن » ، وسدادة من الخشب

شكل رقم (٨٣)

حزام مصنوع من سعن النخيل

شكل رقم (٨٤)

زينة علي هيئة أسد يزين بها السرير

شكل رقم (٨٥)

زخرفة علي هيئة شجرة نخيل تستخدم في ترصيع الاسرة

شكل رقم (٨٦)

بناء دائري ضخم بقطر ١٧متر من مداميك حجرية

شكل رقم (٨٧)

منظر بعد الانتهاء من حفر المقبرة الاميرية

شكل رقم (٨٨)

درج البئر الدائري «المقبرة»

شكل رقم (٨٩)

حفرية انقاذية داخل المدينة الحديثة

شكل رقم (٩٠)

نظافة أحد المقابر بالجبانة الشرقية

شكل رقم (٩١)

زخرفة علي هيئة فرس النهر من العاج من فترة حضارة كرمة الكلاسيكية

شكل رقم (٩٢)

نحت يوضح أحد المعبودات ، وأمامها علامة «العنخ» رمز الحياة.

شكل رقم (٩٣)

لوحات من الحجر وعلى احدها نقش يوضح المركب من فترة حضارة كرمة القديمة.

شكل رقم (٩٤)

رأس تمثال لرجل نوبي ، من فترة حضارة كرمة القديمة

شكل رقم (٩٥)

مبني سكني أمام الدفوفة الغربية

شكل رقم (٩٦)

فرن لصهر خام البرونز

شكل رقم (٩٧)

خنجر من فترة حضارة كرمة القديمة

شكل رقم (٩٨)

أفران الخبز في كرمة القديمة

شكل رقم (٩٩)

فرن لصنع الأدوات الفخارية يتكون من حفرة واسعة مستديرة يحيط بها سور منخفض

شكل رقم (١٠٠)

فرن اسطواني الشكل ذو دعامات في وسطه

شكل رقم (١٠١)

نماذج لفخار ماقبل كرمة

شكل رقم (١٠٢)

نماذج لفخار كرمة القديمة

شكل رقم (١٠٣)

حبوب وبقايا نباتية وحيوانية متأكسدة في فخار كرمة وفترة ما قبل كرمة.

شكل رقم (١٠٤)

سلطانية وجدت داخل قبر محارب من فترة حضارة كرمة القديمة

شكل رقم (١٠٥)

أوعية فخارية عثر عليها في البناء الخارجي لأحد المقابر في فترة حضارة كرمة القديمة.

شكل رقم (١٠٦)

أوعية فخارية بحواف مزخرفة باللون الأحمر وبخطوط مطبوعة أو محفورة. من فترة حضارة كرمة القديمة

شكل رقم (١٠٧)

أوعية فخارية من فترة حضارة كرمة الوسيطة

شكل رقم (١٠٨)

أوعية فخارية بيضاوية الشكل بدون عنق تعود لفترة حضارة كرمة الوسيطة

شكل رقم (١٠٩)

كوب من الفخار من فترة حضارة كرمة الكلاسيكية «جبانة عكشة»

شكل رقم (١١٠)

منجل من الحجر

شكل رقم (١١١)

أدوات حجرية مصقولة

شكل رقم (١١٢)

فتحة لنعل من الجلد نفذت بواسطة آلة حادة من العظم

شكل رقم (١١٣)

صنارة لصيد السمك من العظم

شكل رقم (١١٤)

زخرفة على سرير تمثل اشكالاً لحيوانات نفذت بطريقة التطعيم بالعاج

شكل رقم (١١٥)

تماثيل صغيرة من الطين على هيئة آدمية

شكل رقم (١١٦)

نماذج لتماثيل من الطين على هيئة آدمية وحيوانية

شكل رقم (١١١)

أدوات حجرية مصقولة

شكل رقم (١١٢)

فتحة لنعل من الجلد نفذت بواسطة آلة حادة من العظم

شكل رقم (١١٣)

صنارة لصيد السمك من العظم

شكل رقم (١١٤)

زخرفة على سرير تمثل اشكالاً لحيوانات نفذت بطريقة التطعيم بالعاج

شكل رقم (١١٥)

تماثيل صغيرة من الطين على هيئة آدمية

شكل رقم (١١٦)

نماذج لتماثيل من الطين على هيئة آدمية وحيوانية

بسم الله الرحمن الرحيم

لمسة وفاء

تعلمت من المرحوم البروفيسور/ أحمد محمد على الحاكم الاهتمام والحرص على الآثار وطرق البحث والتنقيب الاثرى العلمى وشاركت تحت قيادته وإشرافه في حفريات السروراب فى بداية السبعينات ، فقد كان وقتها - رحمه الله - الأستاذ السودانى الوحيد بشعبة الآثار - جامعة الخرطوم ، وقد رافقناه كثيراً كأستاذ مشرف على رحلات العمل خارج البلاد ، فكان لنا جميعاً بمثابة الأستاذ ، الأب والأخ .

بروفيسور الحاكم رحمه الله من أوائل السودانين الذين إهتموا بعلم الآثار فدرسه وقام بتدريسه لكثير من طلابه والذين هم الآن يقودون مسيرة العمل الآثرى بالبلاد .

كما قام بالعديد من الحفريات العلمية فى كثير من المواقع الأثرية من خلال جامعة الخرطوم والهيئة القومية للآثاروالمتاحف التى انتدب لها كرئيس لمجلس الادارة فى الفترة بين ١٩٩٠-١٩٩٤م .

وفى عهده أصبحت الادارة العامة للآثار وكالة الآثار ثم تحولت فى عام ١٩٩٠م لتصبح الهيئة القومية للآثار والمتاحف .

ويجئ هذا الكتاب بعد رحيل بروفيسور الحاكم ليضيف الى جانب ما خلفه هذا العالم من ذكري للاجيال القادمة . وفى ذات الوقت يمثل هذا الكتاب بداية لمشروع التوعية بالآثار وإشراك الرأى العام فى مايجرى من أعمال أثرية بالبلاد من خلال ترجمة ذلك العمل للغة العربية .

ألا رحم الله البروفيسور الحاكم بقدر ما قدم من جليل الأعمال .

والله المستعان

حسن حسين إدريس
المدير العام للهيئة القومية للآثار والمتاحف

فى ذكري الراحل المقيم

بروفسير /أحمد محمد على الحاكم

لقد أرادت مشيئة الله أن يلعب البروفسير أحمد محمد على الحاكم دوراً هاماً في تشكيل توجهي الأكاديمي ، بل أظنه يمثل سبباً رئيسياً لإهتمامى بعلم الآثار وإعطائه مايقارب ربع قرن من حياتي . فقد بدأت معرفتي بالراحل المقيم في عام ١٩٧٤م عندما بدأت حياتي الدراسية في كلية الآداب جامعة الخرطوم ، حيث كنت أنوي أن أتخصص فى إحدي اللغات العالمية «الفرنسية أوالإنجليزية» ،وقد كان لزاما علينا حين ذلك الوقت اختياراربعة مواد وقد اخترت إلى جانب اللغات العربية ، الفرنسية ، الإنجليزية، مادة الآثار . وكان ذلك فقط لإشباع حب إستطلاع قديم نشأ معي منذ نعومة أظافري عند سفح جبل البركل . وقد كانت الفكرة أن أترك هذه المادة في السنة الثانية إلا أن البروفيسير وكان حينها يشغل وظيفة رئيس القسم ،أقنعني بمتابعة دراسة الآثار وقد كان له ما أراد ، ومافتئ منذ ذلك التاريخ وإلى أن إختاره الله إلى جواره في ١٣ فبراير ١٩٩٦م ، يزرع فينا ونحن عدة أجيال من تلاميذه حب التراث الحضاري لهذه الأمة والتمسك بالحفاظ عليه رغم المصاعب وشح الإمكانات.

وإستمرت علاقتي بالبروفسير لأكثر من ٢٠ عاماً وعملت معه ضمن العديد من الأعمال الحقلية والمؤتمرات ، والسمنارات وغيرها وتوجت هذه العلاقة بعملي تحت إدارته المباشرة عندما شغل منصب رئيس مجلس الإدارة للهيئة القومية للآثار والمتاحف .

وتعود قصة ترجمة هذا العمل إلى شهر سبتمبر من عام ١٩٩٠ عندما حضر البروفسير مؤتمر الدراسات النوبية في مدينة جنيڤا بسويسرا وأعرب لي عن رغبته في أن نتعاون لترجمة النص الفرنسي للكتاب «الكاتالوج» المصاحب للمعرض والمقام

وقتها في متحف مدينة جنيڤا وبدأ العمل فعليا إلا أن كثيراً من الظروف حالت دون أن آودي دوراً أساسياً فى هذا العمل مما دعا البروفسير لتحمل مسئولية الترجمة و إقتصر دوري علي مراجعة بعض الأجزاء في حياة الراحل المقيم .

لقد كان البروفسير حريصاً كل الحرص لإخراج هذا الكتاب في أقرب فرصة ممكنة لدرجة أن المرض لم يقعده عن هذا الهدف ، وقد زرته بصحبة السيد/ حسن حسين إدريس المدير العام للهيئة القومية للآثار والمتاحف في أثناء رحلة علاجه الأخيرة في مدينة بيرمنجهام في سبتمبر من عام ١٩٩٥م ، وجدته وهو يعاني من وطأة المرض وفي ذات الوقت كان مشغولاً بهدفه وقد ذكر لي أن ترجمة الكتاب قد شارفت على نهايتها وأنه سوف يرسل لي النص للمراجعة النهائية في أقرب فرصة ممكنة . كانت تلك المرة قبل الأخيرة التي أقابل فيها البروفسير.

غير أن المقابلة الأخيرة كانت أشد حزناً ، فقد زرته في منزله بالخرطوم قبل يومين من وفاته ،وبصحبتي البروفسير شارلس بونية رئيس بعثة جامعة جنيڤا العاملة بموقع كرمة ، وقد كان المرحوم في غيبوبة ولازلت أذكر كيف أن بعض أفراد أسرته وعلى رأسهم زوجته تحية ،وإبنته إيمان قد بذلوا قصاري جهدهم لإيقاظه للتعرف علينا وكانت إيمان تحمل في يدها النص العربي للكتاب بخط يد والدها وتقول له أن هدفه محفوظ في أيدي أمينة وبعدها كلفني البروفسير شارلس بونية لمتابعة هذا العمل حتي يري النور وإتفقنا ألا نغير كثيراً في النص الذي أراده البروفسير ولذلك جاء تدخلى في مسألة التصحيح والتغيير لمواضع محددة وبطريقة أظن أنه كان ما سيفعله البروفسير بنفسه لو كان له من العمر بقية تمكنه من إتمام الكتاب ؛ سوف يلاحظ القارئ بأن الكتاب يخلومن الحواشى الأمر الذى لم نشأ أن نعالجه لأن ذلك سيغير كثيراً فيما أراده البروفسير وقمنا بإضافة المراجع الموجودة في النص الفرنسي في نهاية الكتاب . ومنذ ذلك التاريخ وأنا أشعر بعظم المسئولية التي وضعتها الأسرة الكريمة علي عاتقى ،واليوم أحسب نفسي في غاية السعادة وأنا أساهم بقدر يسير في إخراج عمل لوالد وإستاذ أعطانا الكثير وبذل كل حياته وصحته لتنشأة أجيال من

الآثاريين السودانيين ، فلفقيد السودان الرحمة والغفران ولنا ولإسرته الصبر والسلوان.

اخيراً أتقدم بالشكر لكل الذين أسهموا في أن يري هذا العمل النور فالشكر أولاً للبروفسير شارلس بونية صاحب النص الفرنسي والذي وافق على الترجمة وتحمل علي نفقته الشخصية إخراج هذا الكتاب، والشكر موصول للإستاذ حسن حسين إدريس المدير العام للهيئة القومية للآثار والمتاحف والذي ظل يشجعنا للتعجيل بإخراج الكتاب ، والشكر كذلك للبروفسير / زهير حسن بابكر مدير دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع ومعاونيه الاستاذة هالة المغربي ،الاستاذ فتح الرحمن محمد عثمان والاستاذة / رباب شرف الدين ،وختاماً شكري الجزيل لكل أفراد أسرة الراحل المقيم لهذه الثقة الغالية التي توجوني بها وأتمني أن أكون عند حسن الظن وأن يكون هذا الكتاب قد أخرج بالشكل الذي كان يتمناه عميد الأسرة مربي الأجيال والشكر كذلك للأخ الحسن أحمد محمد والآنسات / أمل عوض مختار وأمل حسن من الهيئة القومية للآثار والمتاحف .

صلاح الدين محمد أحمد
الخرطوم فى ٤ سبتمبر ١٩٩٧م

المقدمـــه

إن الابحاث الاثرية فى السودان وبلاد النوبة كانت نتيجة لتيارين . وهنا يجب أن نقرر إن هذه الابحاث والإستكشافات كانت ضمن الحركة النشطة التى عمت أوربا الغربية خاصة وزادت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

فالتيار الأول كان حركة البحث عن حضارات الشرق الأوسط واصولها ، وخاصة حضارة وادى النيل ممثلة فى الحضارة الفرعونية وتغلغلها جنوباً . أما التيار الثانى فهو الذى اتجه لاستكشاف عام لا فريقيا الداخلية ، وكان السودان مدخلاً مهماً لبقية أجزاء القارة ، ولكن لما كان من تطور علم الآثار المصرية وما وجده من تعضيد وتشجيع وما فرضته ظروف المشاريع الإنمائية ، ان تركز جهد علماء الآثار المصرية فى بلاد النوبة وشمال السودان . ونسبة لتيارالآثار المصرية الغالب ، ركز العلماء أبحاثهم حول علاقة بلاد النوبة وشمال السودان بالحضارة المصرية ومدى تغلغل الحضارة المصرية بها . متناسين الحضارة الوطنية والعناصر المحلية التى هضمت هذا النفوذ المصرى وتأثرت به .

على كل ، فقد كان نتاج هذه البحوث المكثفة ، أن عرفنا أغلب فصول التاريخ النوبى وفترات التطور التى مرت بها البلاد ، حين جرى أول مسح أثرى بين الأعوام ١٩٠٧ - ١٩١١مَ لمنطقة النوبة السفلى .

أما فى السنوات الماضية ، فقد اتجهت جهود علماء الآثار الى دراسة هذه الحضارات لذاتها ، وما تلقيه من أضواء على صلاتها بالحضارات داخل افريقيا ، التى بدأت تتبوأ مكانها بين الحضارات العالمية الأخرى

فأفريقيا لم تنل حظها ، اعترافاً بدورها فى إثراء الإرث الحضارى العالمى ، ذلك لأنها قد وصفت فيما مضى بأنها قارة مظلمة لا حضارة لها ، ولكن أوضحت الأبحاث أخيراً الدور الطليعى الهام ، الذى قام به السودان والنوبة السلفى ، كمدخل وحلقة وصل ، مابين أفريقيا وبلاد الشرق الأدنى القديم ، وخاصة مصر .

وكان أيضاً لحملة إنقاذ آثار النوبة ، مؤخراً - والتى نظمتها اليونسكو على اثر بناء السد العالى - أن تكثفت البحوث والتنقيبات الأثرية بشكل لم يسبق له مثيل ، مما مكننا أن نكمل كثيراً من الصور والتفاصيل ، عن مجرى الحضارة فى تلك المنطقة . وكانت نتيجة هذه الدراسات أن أضيف الى معارفنا العالمية ، علمين متخصصين هما ، الدراسات المروية ، والتى تعنى بحضارة كوش ، والدراسات النوبية والتى تعنى بالفترة المسيحية . وبذلك يؤكد العلماء والدارسون أن دور السودان والنوبة لم يكن فقط معبراً عبرت به التيارات الحضارية نحو داخل أفريقيا ، ولكنه كان البوتقة التى إنصهرت فيها تيارات الحضارة الافريقية ، وحضارات مصر وشرق البحر الأبيض المتوسط . هذا بجانب دور السودان الذاتى فى توليد واثراء التيارات وحركتها والذى كان دوراً ايجابياً .

إن قصر المدة والسرعة التى تمت بها عملية انقاذ آثار النوبة ، وما تبعها من إستكشاف وتنقيب لم تمكن أغلب البعثات إلاّ من نشر تقارير أولية ومازالت دور النشر توالى نشر التقارير النهائية تباعاً. عليه ، فستخضع أغلب آرائنا ومعارفنا عن مجرى الحضارة بالنوبة الى مراجعات كثيرة عندما تتضح لنا دقائق تفاصيل التطورات الحضارية ، والمؤثرات الأخري التى تتيحها لنا تقارير الحفريات والبحوث الأثرية بتلك المنطقة .

وما زلنا حتى اليوم نسير على النظام الذى وضعه رايزنر لتسلسل الحضارات وأسمائها ، وقد أدخلت تعديلات كثيرة على هذا التسلسل ولكنها لم تمس جوهرة ، وقد تأثر رايزنر ، عند وضعه لهذا التسلسل ، بنظريات علم الأجناس والإجتماع السائد فى زمنه ، حيث ارجع ظهور المجموعات النوبية الى موجات هجرة عارمة نحو الشمال ، حيث

تخضع كل موجه بالتوالى الى نفوذ الحضارة الفرعونية السائدة وقتها ، وهكذا كان سبب قيام وظهور المجموعة (أ) والمجموعة (ب) والمجموعة (جـ) . كان للدراسات الجادة الأخيرة ادخال تعديلات على هذا التفسير ، فقد برهن سمث على أن ما يسمى بالمجموعة (ب) لاجود له . وأن المجموعة (أ) كانت أعمق وأكثر انتشاراً مما أورده ريزنر ، وأنها كانت ترتكز الى معين حضارى عام ، نهل من الحضارات السابقة و انها ارتكزت على معين حضارى يمتد الى وسط السودان ويضرب فى القدم الى العصور الحجرية المتأخرة .

وكان لبحوث وتنقيبات البعثة الاسكندنافية الفضل فى إيجاد تسلسل وتدرج حضارى وتاريخ لفترة المجموعة (أ) ، وتبيان جذورها الحضارية ومن ثم ارجاعها الى أواسط السودان والنوبة العليا . هذا وقد أظهرت دراسات المدرسة الألمانية فى الآثار النوبية ، التى توجها بيتاك بتحليله وتنظيمه لحضارة المجموعة (ج) – أظهرت ان هذه الحضارة إنحصرت فى نطاق النوبة السفلى فقط ، وانها لم تتعد الشلال الثانى جنوباً ، فهى نتاج محلى محدود التأثير على الحضارات اللاحقة فى المنطقة ككل .

ولأبحاث المدرسة الفرنسية الفضل فى إدخال مفاهيم ونظم جديدة لدراسة حضارة النوبة العليا ، وما عرف بحضارة كرمة ، من حيث أصولها البعيدة ، فوضحت الإستمرارية الحضارية بالنوبة العليا منذ الألف الرابعة قبل الميلاد ، مروراً بالمملكة المصرية القديمة ، وحتى بداية المملكة المصرية الحديثة فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد . والدراسة المقدمة الآن بواسطة البعثة السويسرية أيدت هذه التقاسيم بل ثبتتها وأوجدت لها أسس منطقية من خلال أعمالها بمدينة كرمة . حيث قسمت الفترات الزمنية فى مسلسل تطورى لا ينقطع ، بداية بما قبل كرمة ثم كرمة القديمة ، وكرمة الوسيطة ثم أخيراً كرمة الكلاسكية .

أما الفترة الحضارية التالية التى اطلق عليها هنا مملكة كوش بفترتيها ، فقد اعتمد كتابنا على تقسيمات رايزنر وتحليله التاريخى . هذا وقد تأثرت هذه التقسيمات بالمصادر

التاريخية ، والحالة السياسية اكثر من تأثرها بالتقسيمات الحضارية حسب النظم الأثرية . فقد قسمت المملكة الى فترتين ، نبتية ، وأخرى مروية اعتماداً على افتراض اتحاد العاصمة نبته حتى عام ٣٠٠ ق.م ثم نقلها الى مروى ، حيث بدأت الفترة المروية ، وقدم كاتب هذه السطور نقداً مفصلاً لهذا التقسيم ، وعارض فيه فكرة انتقال العاصمة بهذا الشكل متشككاً فى أن نبته كانت عاصمة فى يوم من الأيام . وقد عرض فيه كل المبررات الخطية والآثارية والمصادر الأخرى التى اعتمد عليها رايزنر ومن سار مساره . وقد أوضح جلياً أن الأسس التى وضع عليها هذا التقسيم ضعيفة أو انها فهمت خطأ . ففى الوقت الذى وصفت فيه بعض النصوص كل من الملك بيى والملك تهارقو والملك تانوت امنى بأنهم أتوا من « الجنوب » أو من « تاستى » ، ذكرت نصوص أخري « اسبلتا » ملك مروي (٥٩٣ – ٥٦٨ ق.م) خلفاءه ، قد سكنوا مروى التى كان يتوجه اليها السفراء الأجانب لمقابلة ملوكها ، كما كان السفراء المرويون ويبعثون لمصر باسم ملوك مروى .

هذا بالاضافة الى أن التنقيبات والحفريات الأثرية قد أثبتت أن مدينة مروى كانت مأهولة منذ القرن الحادى عشر والعاشر قبل الميلاد ، وأنها قد كانت المقر الدائم للعائلة المالكة حيث يولد وينشأ اطفال الملوك . كما انفردت مقابرها بأنها كانت المقر الأخير لمن يمت منهم طفلاً .

وكانت مروى تمثل تياراً هاماً انعكس بوجود طراز خاص من المعابد المروية . وتخطيط المدينة ومظاهر السكن والإستيطان الاخرى تؤكد أن مدينة مروى هى المدينة الأولى بالمملكة منذ القرن السابع قبل الميلاد وربما قبل ذلك . ونخلص من ذلك أن الأسس التاريخية التى بنى عليها رايزنر تقسيمه الحضارى لا تستند على دليل قوى .

ولا ننكر فضل رايزنر فى ايجاد سلسلة ملوك كوش أو كما كان يسميهم « ملوك أثيوبيا» وفترتيها النبتية والمروية . وقد اعتمد رايزنر فى بناء هذه السلسلة من أسماء الملوك على حفرياته للمقابر الملكية وملاحظاته التى دونها حول التطورات الهندسية لهذه المقابر ،

وتتبع الاختلافات فى الحرف والصناعات الأخرى بحيث أمكن تحديد مكانة كل هرم بالنسبة للاهرامات الاخرى ، ثم جمعها فى شكل أجيال أطلق عليها نمراً متسلسلة ، مبتدئاً بالملك كاشتا والذى بدأ احتلال مصر ، والأسرة الخامسة والعشرين من الأسر التى حكمت مصر وتشمل الفترة النبتيه والمروية . وتنتهى السلسلة بسقوط مروى على ايدى عيزانا الأكسومى عام ٣٥٠ق.م .

نقل هذا النص الذى نقدمه الآن للقارى العربى ، عن أصل باللغة الفرنسية فى شكل تقرير علمى ، وضع لمصاحبة معرض مؤقت أقيم بمدينة جنيفا عن حفريات البعثة الأثرية السويسرية لمدينة كرمة . ويشمل النص الأصلى الفرنسى على مجلد ضخم ، نصفه الأول عبارة عن تقارير علمية ، ومقالات تفسيرية للمادة الأثرية ، وأما الجزءالثانى فيضم قائمة المعروضات ، ووصفاً علمياً لها . وقد اخترنا الجزء الاول ونقلناه الى العربية . ونحن نقدم هذا النص العربى ، استبحنا لأنفسنا إدخال بعض التعديلات ، حتى نخرجه نسخة عربية مناسبة ، يمكن للقارئ العربى متابعته بسهولة ويسر . فقمنا أحياناً باعادة ترتيب المقالات والتقارير بتقديم بعضها وتأخير الأخرى . واضافة لهده المقدمة اضفنا فصلاً كاملاً . ودمجت بعض المقالات مع بعضها البعض ، كما جرى اختصار للتقارير العلمية واستكمال بعض المعلومات الهامة .

ويتصدر هذا العمل مقالة مطولة عن تطور البحث الأثرى بالنوبة والسودان ، كاضافة من عندنا كفصل أول ، حتى نضع كرمة وحضارتها فى إطار فكرى . وشملت العصور الحجرية الفصل الثانى حيث استكملنا المعلومات باضافات بسيطة عن مادة من شمال ام درمان ومن كسلا . وشمل الفصل الثالث تعديلات شملت دمج مقالتى فالبل وجراسيان وكونا بهما مقالة مطولة واحدة عن العلاقات السودا نيه المصرية . وشمل الفصل الرابع مقدمة وصفية عن موقع كرمة وحدود ملكها وتأثيرها. وكان الفصل الخامس استكمالاً لدراسة كرمة وامكانياتها الطبيعية وسكانها . أما الفصول السادس والسابع والثامن

فتناولت وصفاً لحياة كرمة كمدينة ومبانيها السكنية ، الدينية والجنائزية . وكون الفصلان التاسع والعاشر مناقشة الحياة الفكرية والدينية والاجتماعية . وتختتم هذه الدراسة بالفصل الحادى عشر حيث توفرت لنا تقارير عن الفنون الحرفية والصناعية التى اشتهرت بها كرمة .

ويعتبر هذا الكتاب موسوعة تحمل قدراً من التفاصيل ، بدون الافراط فيها ، مع التركيز على العوامل المؤثرة على مسيرة الحضارة والانسان فى بلاد النوبة والسودان عبر ماضيه البعيد ، هذا بالاضافة الى تفسير تطورة الحالى والذى يقود الى استقراء مستقبله ان لم يكن التخطيط لهذا المستقبل الواعد وذلك من خلال ما تستثيره هذه الدراسات من تساؤلات وتولده من بحوث .

والحمد لله الذى جعل كل شئ يجرى بقدر واجل مسمى ، وسبحانه الذى علم الانسان ما لم يعلم وجعله خليفة فى الأرض ، ونصلى ونسلم على نبينا الأمين .

أحمد محمد على الحاكم

تصدير

شهدت دراسات الآثار السودانية خلال السنوات الأخيرة ، إنطلاقة كبرى ، فبعد أن كانت تعامل كجزء من الآثار المصرية لمدة طويلة ، حازت الدراسات النوبية استقلالها ومكانتها ، وتحتل الآن حيزاً معتبراً من العالم الأفريقى حيث قدمت أقدم حضارتين عرفتهما القارة - حضارة كرمة ، وحضارة مروى - قامتا على ضفاف النيل الأوسط ، حيث أطلق عليها بلاد كوش ، كما عرفتها المخطوطات الهيروغلوفية المصرية .

نالت الحضارة المروية حظها من العرض ، وجاء الآن دور حضارة كرمة الأعرق (٢٥٠٠ - ١٥٠٠ ق . م) ليتعرف عليها الجمهور العريض . وقد وفق متحف الفن والتاريخ وجامعة جنيڤا ، بعد دورها المقدر فى انقاذ آثار النوبة والتى هددتها مياه خزان اسوان حيث عملت بكل من عكشه وتبو بجزيرة أرقو ، ومنذ عام ١٩٧٣م نقلت أبحاثها الى موقع كرمة . وكرمة هى مجموعة قرى قامت بمحازاة النيل على امتداد ١٢ كيلو متر ، وتقع على الطرف الجنوبى لمنطقة الشلال الثالث الطاردة . ويمتد من كرمة وحتى الشلال الرابع حوض غنى خصيب ، حيث نشأت أربع مدن مهمة مثل كرمة ، ودنقلة وكريمة ومروى . فى هذه المنطقة أدت تطورات حضارية منذ العهد النيوليثى (العصر الحجرى الحديث) (٥٫٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق . م) ، إلى تكوينات سياسية كانت من النضوج والتطور بحيث تأثرت بها الامبراطورية الفرعونيه ، كانت مصدر الهام لبعض الافكار علماً بأنه لم تواجه دراسات كافية لمنطقة كرمة الا اخيراً .

ويتيح هذا المعرض من خلال الاختيار الموفق للمعروضات ، فرصة مواتية للباحثين ليطلعوا على مواد ووثائق للحفريات محفوظة بالخرطوم ، وبوسطن ، واللوڤر ، وجامعة ليل بجانب جنيڤا . وتابعت السلطات السودانية سياساتها الحكيمة للتنازل عن بعض الآثار للبعثات الأجنبية . ومما تجب الاشارة به هنا مثالية البعثة السويسرية ، ومستوى التقنية

العالية التى تعمل بها . ويهيئ المعرض فرصة للدارسين بواسطة النموذج ، والصور ، وشروحها ، عارضاً مادة غنية من المنازل ، بما فيها السيراميك الممتاز - الفخار السودانى مميز منذ العصر النيوليثى وحتى اليوم - وأدوات الزراعة وعدة الحرب ، وما يتصل بالطقوس الجنائزية ، والدينية والتى ضمتها شروحات بهذا الكتاب .

قدم لنا شارلس بونيه ورفقاءه دراسات قيمة عن أقدم حضارة أفريقية عرفها التاريخ. فبجانب التسلسل التاريخى ، وضعوا أمام أعيننا تصورهم لمدينة أفريقية عريقة . فمن قلب المنطقة الاستوائية يتدفق النيل ليخلق بيئة أتاحت الفرصة لنشوء الزراعة ، وتطور فن البناء بالطين . فيشكل الطمى فى شكل طوب لبن للبناء ، وهنالك وسط حضرى يعتبر من اقدم ما عرفناه ممثلاً فى مستوطن بشرى سابق لقيام كرمة (حيث ظهرت بقايا اكواخه ما قبل ٣٫٠٠٠ ق. م) ثم فى تطورها كعاصمة لمملكة كوش ، ونشأت الاستحكامات الدفاعية على أساس من الحجارة . كما نصبت حجارة المرمر البيضاء وسط المبانى الدينية لتقام عليها الاعمدة والدعامات التى تحمل العتبات العليا للمداخل ، والسقوف المقوسة من الطوب اللبن . ويطل بناء الدفوفة الغربية بكل فخامته على الحى الدينى بارتفاع يصل الآن عشرون متراً . ويتشابه منظر المبنى والمعابد المصرية ومدخلها الضخم .

الي الشرق قامت دفوفة أخرى ، ومعها بعض بقايا مقاصير وسط مقبرة كبرى بها أكثر من ٣٠٫٠٠٠ قبراً . وبنيت اكوام مقابر كرمة بتكديس الحصباء البيضاء حول دوائر الحجارة السوداء . ويقبر المتوفى داخل حفرة ومعه حلية من الخرز المصنوع من الحجارة ، والعظام والأصداف وقشر بيض النعام ، وقطع المايكة المقطوعة باشكال ، وتصاحب المحاربين أقواسهم وسهامهم و ، وأحياناً يلبس المحارب على رأسه ريشة طويلة مثبته على طوق . وتحيط بهذه الأكوام الترابية أعداد كبير ة من رؤوس الأبقار . ويستصحب المتوفى الى عالمه الآخر حيوانات منزليه كالكباش التى تزدان رؤوسها باقراص مصنوعة من ريش النعام ، مثبتة مثل تلك التى تشاهد بين رسومات الصخر بالصحراء الغربية . وتزايدت أعداد الضحايا الآدمية المصاحبة للمتوفى حتى وصلت إبان

كرمة الكلاسكية عدة مئات من الأفراد .

داخل مدينة كرمة نشاهد حفر تدل على بقايا كوخ عظيم ملكى . كما تتناثر آثار الحرفيين وانتاجهم . وعلى ضفاف النيل قام حى المخازن بمبانيه لتخزين البضائع التى تصل عبر السفن من مصر أو بالقوافل عبر الصحراء . وقد صورت هذه المنتوجات بين مناظر المعابد والمقابر بطيبه ، والتى كونت خراج كوش كالرقيق وسن الفيل وجلود النمور، ومجموعات الزراف ، وكل ما يأتى من بلاد بعيدة مثل بلاد بنت على سواحل البحر الأحمر . مثل الأصداف ، والذهب والأبنوس ، والطيب والبخور . ويتيح هذا التقرير المطول رؤية تاريخ افريقيا القديم ووادى النيل حيث تجمعت آراء متعددة عن تاريخ المنطقة وحضارتها من خلال المعرض من متحف الفن والتاريخ وهذا الكتاب .

إن هذا الجهد المزدوج يمدنا ايضاً برؤى جديدة عن حضارة عظيمة ، وهى حضارة مروى ، التى امتدت من جنوب الخرطوم وحتى الشلال الأول ، وزمنياً شملت المعلومات حتى الفترة المسيحية حيث اشتهر وادى النيل الأوسط بأنه منطقة تدين بالمسيحية لمدة طويلة . ويتقدم علماء الدراسات الأفريقية والدراسات المصرية بأسمى آيات الشكر والعرفان الى جنيڤا بتنظيمها لهذه التظاهرة المثمرة ، سواء باطلاعها بالحفريات الأثرية أو بتنظيمها لهذا المعرض الباهر .

تمهيد

ترجع علاقة جنيڤا بحضارات وادى النيل الى السيد جين هنرى منو (١٧٧٢ - ١٨٤٦م) احد ابناء جنيڤا الذين اشتركوا فى تكوين أول بعثة لبروسيا باسم البارون دي مينوتلى عام ١٨٢٠م الى مصر . وقد تعضد ذلك بواسطة أعمال عالم المصريات إدوارد ناڤل (١٨٤٤-١٩٢٦م) ، وقيام أول كرسى للدراسات المصرية بجامعة جنيڤا (١٨٩١ -١٩١٩م) لادارة صندوق اكتشاف مصر لعدة سنوات . وشارك بعض الفنانين مثل الفنان اتيان دوفال (١٨٢٤ - ١٩١٤م) والذى رسم بريشته عدة مناظر عن وادى النيل ما بين أعوام (١٨٧٠-١٨٨٥م) أودع فيها حبه العظيم لهذه البلاد .

وقد نمت المجموعة الاثرية من بداية متواضعة فشملت المجموعة الأثرية المحفوظة بأكاديمية دار الكتب بجنيڤا ، والتى اشرف عليها سنبتيير ١٧٩١م ، انيه اتروسكيه من ايطاليا ، وبدأ من مومياء نقلت الى المتحف الأكاديمى ، حيث وصلت اليه عام ١٨٢٣م مجموعة آوراق البردى أهداها جين هنرى مينو بارون مينو تولى . وفى عام ١٨٢٥ وصلت له مجموعه من المسلات ، اهداها قنصل فر نسا بمصر السيد ب. دروفتى ، والتى كانت اساساً لمجموعة حولت عام ١٩١٠م الى متحف الفن والتاريخ . واليوم تعرض أهم مجموعة بسويسرا عن الآثار المصرية وضعت هذا المتحف بين المتاحف العالمية .

وتتمحور مجاميع متحف الفن والتاريخ حول الآثار الفرعونية ، وحولها جرت الكثير من الدراسات والمعارض المؤ قتة ، وقد امتد اهتمام المتحف الى الفن والحرف بمصر الرومانية والقبطية ، وقد أقيم مؤخراً معرض عن حفريات جامعة جينڤا لموقع كليا ، حيث تعرف عدد كبير من الجمهور على حياة رهبان الصحراء الأوائل .

وقد جذبت حملة اليونسكو لانقاذ آثار النوبة الأنظار لا الى أبى سمبل وجزيرة فيلة فقط، بل الى الإشتراك فى أعمال الكشف والتنقيب . وقد شارك المتحف جامعة چينفا فى حفريات تبو ، وعكشه بقيادة شارلس ميستر ، أمين القسم المصرى بالمتحف . وقد تم

عرض فى عام ١٩٧٦م عن الأعمال التى تمت وقتها بعنوان « عكشة ٥٠٠ر٣ سنة من تاريخ وحضارة النوبة المسيحية » . ولم يقتصر المعرض على إثارة جمهور چنيفا فقط ، بل كان قبلة لزيارات المتخصصين من جميع انحاء العالم . وكان دافعاً للوصول الى قرار بالمشاركة الايجابية بحفريات كرمة بقيادة شارلس بونيه. وجاءت مشاركة المتحف متواضعه حسب امكانياته . فقام بصيانة المواد التى احضرت الى جنيڤا بواسطة البعثه الآثريه للمعالجة والحفظ . كما تكفل بنشر تقارير الحفريات التى يقدمها الدارسون فى دوريه المتحف السنوية منذ عام ١٩٧٨م .

ونتيجة لآعمال شارلس ميستر وشارلس بونيه ، وتفهم سلطات مصلحة الآثار السودانية ، فقد زيدت معروضات المتحف من المواد جاءت من موقع حفريات تبو وعكشه وكرمه . وخلافاً لكثير من المواد التى تأتى الى المتحف من خلال الاهداء أو الشراء . والتى كثيراً ما تفتقد معلومات مؤكدة ، فان المادة الأثرية من النوبة كاملة وموثقة توثيقاً جيداً . ففى الإمكان معرفة مكان الاكتشاف ، والطبقة الاثرية التى وجدت فيها ، وما يتبعها من معلومات أخرى . فهى تؤهلنا لتناول الحضارة النوبية بطريقة اكثر تكاملاً واثباتاً من المواد الأثرية الأخرى . وبلا شك فإن هذه المجموعة النوبية والتى يؤمل ان تستكمل خلال المواسم القادمة ستجعل من متحف الفن والتاريخ بجنيڤا يتفرد فى اوربا والعالم بعروضه المنتظمة للتاريخ والحضارة النوبيتين من اقدم الدهور وحتى العصر المسيحى .

إن هذا المعرض المؤقت الذى تم بمساعدة المتحف خلال اثنى عشر سنة من العمل المضنى ، ربما كان مقدمة لعمل أجل وأعظم . بخلق صالة كبرى بعد موافقة سلطات جنيڤا، توسع بواسطتها مداركنا عن الحضارة النوبية ، بعرض تعريفى عن جانب مجهول فى تاريخ الانسان الذى عمر المنطقة ما بين الشلال الأول والشلال الرابع من بلاد النوبة .

تاريخ البحث الأثرى

قبل فك رموز اللغة الهروغلوفية المصرية فى مطلع القرن التاسع عشر وما لحق ذلك من تطور فى دراسة النصوص المصرية القديمة ، كان مصدر معرفتنا بالحضارات القديمة فى بلاد النوبة والسودان هو ما دونه الكتّاب الاغريق والرومان ورجال الدين البيزنطيين، وبصورة اكثر اتساعاً ، الكتابات العربية . والفترات التى شملتها هذه المدونات اقتصرت على الفترة المروية وما يليها - المسيحية منها والاسلامية . ذلك يمثل مجمل المعرفة المتوارثة قديماً عن المنطقة . وبتطور التحقيقات والبحوث الأثرية تم تدعيم هذه المعرفة واضافة أبعاد جديدة لها . ومن جهة أخرى فاننا نعتمد كلية على علم الآثار فى معرفتنا بالعهود التى سبقت الفترات المشار اليها آنفاً . وفى الصفحات التى تلى سنلقى ضوءا على تطور تاريخ البحوث الأثرية فى هذا الجزء من القارة الأفريقية .

السودان فى كتابات الأقدمين :

كان السودان معروفاً لدى الاغريق منذ فجر تاريخهم . فمنذ العصر الملحمى (عصر هوميروس) استخدم الاغريق لفظة « اثيوبيا» لتشمل المنطقة الواقعة الى الجنوب من مصر ومناطق أخرى فى افريقيا وآسيا . وقد استخدمت هذه الكلمة اما اشارة الى لون البشرة (السحنة المحروقة أو البشرة الداكنه) بمعنى عام لتشمل معظم الأفريقيين وكثيراً من الآسيويين أو بمعنى علمى اشارة الى الملامح الزنجية . ولكن استخدام كلمة « اثيوبيا » فى كلتا الحالتين كان غير محدد ولا يشمل مجموعة عرقية بعينها ، كما لم يكن يطلق على منطقة جغرافية محددة . لذا فإن لفظ « أثيوبيا » لم يشر مطلقاً الى المرويين بالتحديد ، ولكن لان المرويين كانوا يتصفون ببعض من الصفات التى ينسبها الاغريق الى الاثيوبيين، فان المرويين اعتبروا من ضمن الاثيوبيين .

بهذا الفهم للفظ « اثيوبيا» كتب هيرودوت ببعض الاسهاب من اتساع الرقعة الجغرافية

لاثيوبيا فى السودان ، اي عن المملكة المروية فى عهده ، واصفاً مداها الجغرافى وعلاقتها فى ذلك الوقت بالفرس الذين فتحوا مصر عام ٥٢٥ ق .م . وكان البطالمة فى أول عهدهم (القرن الثالث ق . م) يلمون الماماً طفيفاً باحوال المملكة التى تقع الى الجنوب من مملكتهم فى مصر ، ولكن بسب ازدياد الاتصالات مع مملكة مروي بدأت معرفتهم عنها تزداد تدريجيا ، وبدأت تصلهم المعلومات عن عاداتهم وملوكهم وتقاليد بلاطهم . وقد وصلتنا هذه المعلومات عن طريق كتّاب كثيرين ، من امثال ديودور الصقلى وسترابو ، الذين استقيا معلوماتهما عن كتّاب سبقوهما . وقد انتقل هذا التراث الأفريقى الى الكتّاب اللاتين والذين أضافوا بدورهم بعض المعلومات المفيدة الهامة . ومن بين هؤلاء الكتاب بلينى وسنيكا وكثيرون غيرهم حتى القرن الثالث الميلادى ، واضافة الى هؤلاء حفظ لنا الكتاب المسيحين واليهود بعض المعلومات عن مملكة مروى . وتجدر الإشارة هنا الى ان يوسف اليهودى الذى اختطف مقاطع من تقسيم مانيتو لتاريخ مصر والذى أشار فيها الى الأسرة الخامسة والعشرين باسم الأسرة الأثيوبية .

قبل أن يطأ المبشرون المسيحيون أرض النوبة كتب كل من المبيودور ، برسكس وبروكوبيس عن بلاد النوبة وعلاقتها مع الرومان وقبيلة البلو (البليمين) التى تقطن شرق البلاد . اما التنافس على نشر المسيحية فى بلاد النوبة والسودان فقد سجله لنا المؤرخ يوحنا الافسوس فى تاريخه الكنيسى المعروف وذلك فى القرن السادس . ويعكس لنا هذا التاريخ معرفة بالتقسيمات السياسية التى كانت قائمة فى البلاد آنذاك والتى تتمثل فى ممالك النوبة والمقرة وعلوة ، كما يعكس معرفة بقبيلة البلو فى الشرق (وهذه الحقائق اشير اليها فيما بعد فى سجلات كنيستى بيزنطة والاسكندرية) .

منذ فتح العرب لمصر عام ٦٤١ م ، وما لحق ذلك من انتشار الأسلام ، أخذ أسماء النوبة والسودان يترددان فى الكتابات العربية ، وتجمعت لدينا كثير من المعلومات عن مختلف مظاهر الحياة فى بلاد النوبة ، والتى شملت وقتها المقرة وعلوة ، أى المنطقة الممتدة من أسوان حتى سنار جنوباً ، وحوت هذه الكتابات العربية من القرون الوسطى الحوليات والسير والموسوعات والدراسات الطوبغرافية وقصص الرحالة والدراسات

التى تعالج موضوعات مختلفة .

بتقدم التعريب والانتشار المضطرد للإسلام أصبح السودان جزء من العالم الاسلامى، وحلت مملكة اسلامية (سلطنة الفونج فى سنار والتى استمرت حتى عام ١٨٢١م) محل آخر الممالك المسيحية ببداية القرن السادس عشر . ومنذ تلك الفترة تجمع لدينا قدر لا بأس به من الكتابات السودانية المحلية التى أصبحت فى متناول معظم الرحالة الاوربيين الذين وفدوا الى السودان ببداية القرن التاسع عشر . وقد احتوت هذه الكتابات على دراسات فى أنساب القبائل ، ومدونة تاريخ الفونج ، وقاموس فى سيرة الأولياء يحوى معلومات هامة عن رجال العلم والشعراء والحياة الاجتماعية والدينية فى مملكة الفونج .

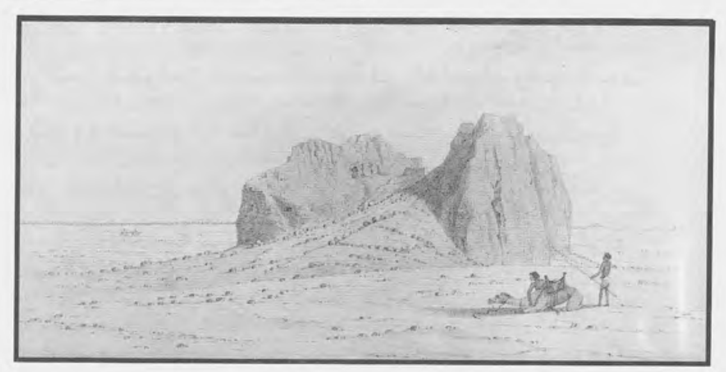
عصر الاستكشاف :

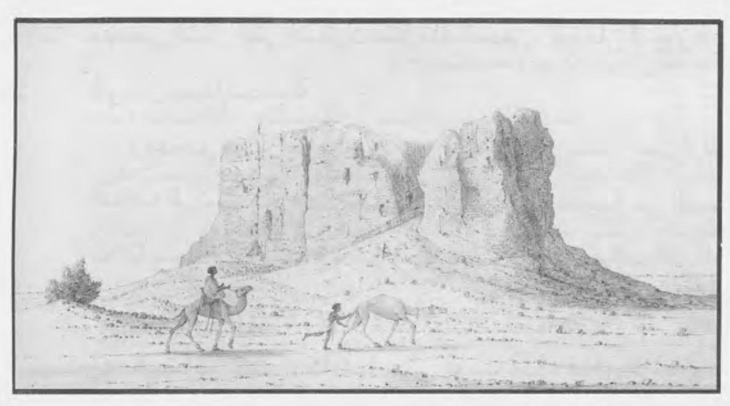
فى عام ١٨٢١م ارسل محمد على ، حاكم مصر ، جيوشه التركية المصرية الى بلاد النوبة للقضاء على بقايا المماليك الذين نجوا من مذبحة القلعة فى القاهرة . وفيما بعد توغلت جيوشه جنوباً لفتح السودان ووضع نهاية لما تبقى من مملكة سنار الإسلامية . وقد صحب جيش الفتح هذا عدد من المغامرين والرحالة الأوربين الذين جذبتهم تقارير الكتاب الكلاسكيين عن « اثيوبيا البرئية » ومدينة مروى الأسطورية ، آلهتها . وحضارتها العظيمة وعاداتها الغريبة . وقد حثت هذه التقارير هؤلاء الرحالة على محاولة إعادة اكتشاف هذه المدينة . وتمثل أوصافهم وخرطهم ورسوماتهم المصدر الوحيد لمعرفتنا ببعض الآثار التى اندثرت منذ ذلك الحين . لذا فان انجازهم اصبح ذا قيمة لا يستعاض عنها فى دراستنا الحديثة .

ويعتبر فردريك كايو – من نانسى بفرنسا – من أوائل الرحالة المبكرين ، وكان أحد أهدافه الرئيسية اعداد تقارير عن الآ ثار القديمة فى السودان ، وقد قام بنشر أعماله فى ثلاثة مجلدات فى عام ١٨٢٦م وكانت كرمة احد المواقع التى زارها ورسم خرائطها (شكل رقم ١). وتبع كايو اثنان من الرحالة لكنهما لم ينالا ما ناله كايو من شهرة بسبب ان أعمالهما لم تنشر بكاملها حتى يومنا هذا ، هذان الاثنان هما الفرنسى لينان دى بلفوند ،





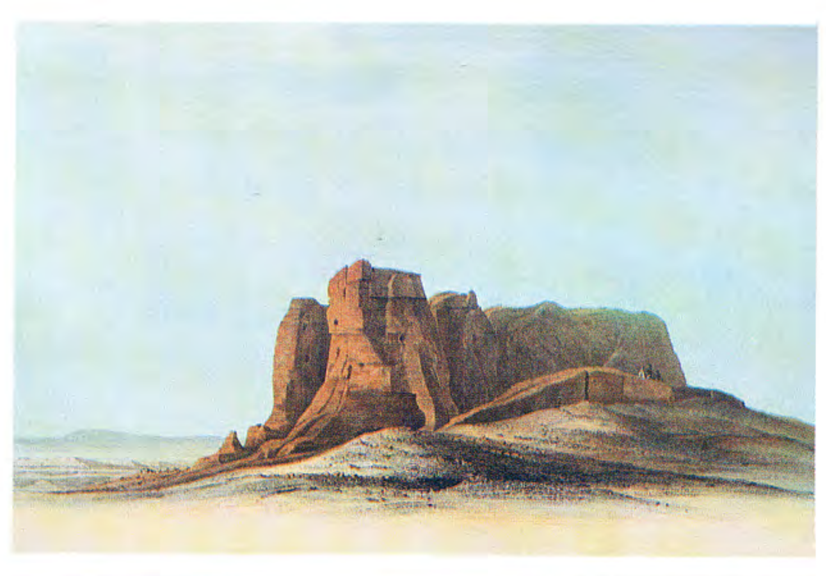




شكل رقم (١)

يوضح رسومات للدفوفة الغربية بكرمة رسمها بعض الرحالة المؤرخين الأوائل

هوسكن ،كايو ، لينان دي بلفوند





شكل رقم (٢)
رسومات للدفوفة الغربية بكرمة قام برسمها الألماني لبسبوس

فى الثمانينات وجل التسعينات من القرن الماضى .

السياسة البريطانية فى السودان والدراسات الأثرية :

كان عام ١٨٩٨ م نقطة تحول فى تاريخ البحث الأثرى فى السودان وبلاد النوبة السفلى . ففى ذلك العام فقد السودان استقلاله الذى استمر لفترة قصيرة تحت قيادة المهدى والخليفة عبدالله من بعده (١٨٨١م - ١٨٩٨م) . ووقع السودان فى قبضة الحكم الثنائى الاستعمارى بين بريطانيا وشريكتها اسمياً مصر .

منذ تلك الفترة اخذت سلطة الحكم الثنائى فى حث علماء الآثار البريطانين - وجلهم من المشتغلين بعلم الآثار المصرية - على زيارة السودان والتجول فى ارجائه . وبدأ بعض العاملين فى المتحف البريطانى وغيرهم من الافراد زيارة البلاد والتجول فيها . ومن أبرز هولاء السير واليس بدج ، الذى قام بزيارات للسودان فى الفترة ما بين ١٨٩٦- ١٩٠٣م ، ونشر نتائج بحوثه فى مجلدين فى عام ١٩٠٧م . وقد كتب بدج وصفاً مفصلاً للمبانى التى كانت قائمة حينما زارها ، وما كانت عليه ، وفق وصف من سبقوه من رحالة . وقد قام السير بدج ببعض الحفريات والاستكشافات وبخاصة فى المدافن الملكية فى البركل ومروى . ولم يكن يرمى الى اجراء حفريات تتبع فيها الاساليب العلمية الدقيقة ، بل هدفه الحصول على مواد للمتحف البريطانى باقل ما يمكن من الجهد والمال . ونشر ايضاً ترجمات انجليزية لبعض نقوش الملوك البارزين من نبته أمثال بعانخى ، تانوتامانى ، واسبلتا . وحارسيوتف ونستاسن . ونشر الصحفى جون ووارد فى عام ١٩٠٥م مؤلفاً سماه « سوداننا ، اهراماته وتطوره » . وقد حدد فى بداية مؤلفه هدفه بقوله « لقد جمعت رسومات لهذه البقايا الأثرية آملاً فى لفت الأنظار لحضارة هذه البلاد التى بالرغم من انها وقعت بمحض الصدفة تحت حماية التاج البريطانى ، الا اننا لا نعرف عنها الا القليل ..» ولقد لفت هذان المؤلفان انتباه الرأى العام البريطانى الى أهمية آثار السودان .

واصلت الادارة البريطانية تشجيع علماء الآثار فعين كروفوت ، وهو أحد الإداريين مسئولاً عن حفظ وحماية الآثار فى السودان . وقد تبعه سكوت - مونكريف وبدج فى شتاء ١٩٠٥-١٩٠٦ وقام بازالة الركام والرمال من قلعة بوهين ، وصيانتها . ومن ثم قام بجولة زار خلالها المواقع الأثرية فى البطانة ، ونشر بعض المقالات حول رحلاته واصفاً

أعمال النحت البارز فى البقعة والمصورات . ولفت الانتباه الى طرازها الغير فرعونى ، كما أشار الى وجود أثر أفريقى على اسلوب الفن المحلى . وأخيراً قام كروفوت بجولة ليتفقد كل المواقع الاثرية فى البطانة لتسجيلها ولتقييم العمل الذى كان موكلاً اليه .

كان لهذه الزيارات والمؤلفات والتقارير اثرها الكبير . فقد جذبت انتباه علماء الآثار الى السودان لأهميته الخاصة ، لا كما جرت عليه العادة سابقاً عندما يجئ ذكر السودان عرضاً لدى العاملين بالآثار فى النوبة . وكان من بين الذين انتهزوا هذه الفرصة ارشبولد سايس الذى قبل دعوة من السير ونجت ، الحاكم العام للسودان (١٨٩٩- ١٩١٦) وبدأ زيارة مشوقة على النيل الأزرق حتى الروصيرص ثم على النيل الابيض حتى منطقة السدود . ثم بدأ رحلة على ظهر الجمال لزيارة المواقع الأثرية فى النقعة ، والمصورات ، ومروى والبركل . ونتيجة لجهده وحماسه فقد اختير جون جارستنج لادارة الحفريات فى مدينة مروى والتى قام بتمويلها معهد الآثار فى جامعة لفربول .

وجمع السير ويلكم بين أعمال البر والآثار ، فكون بعثة أثرية مشهورة عرفت باسم بعثة ويلكم للحفريات الآثرية فى جبل موية (١٩١٠- ١٩١٤) ، كما ساهم ويلكم فى تمويل حفريات جارستانج فى مروى . أما جريفث ، الذى عمل لفترة مع جارستانج ، فقد اقتنع بأهمية اعمال التنقيب فى السودان ، وبدأ عملاً مستقلاً فى فرص باسم بعثة اكسفورد الأثرية بالنوبة (١٩١٠-١٩١٢) ثم فى صنم أبو دوم بالضفة الأخرى للنيل المواجهة لجبل البركل (١٩١٢- ١٩١٣) . وقد شجعته نتائج أعماله هذه فانتقل الى الكوة على الضفة الشرقية المقابلة لمدينة دنقلا (١٩٣٠- ١٩٣١) .

الا ان بعض العوامل حالت دون إنتهاء هذه البعثات من مهامها وأعاقت تطور البحث الأثرى فى السودان اعتمدت هذه البعثات أساساً فى تمويلها على بعض الأفراد ورجال المال ، ولكن بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى والأزمة الاقتصادية الكبرى التى تبعتها فى العشرينات ، لم يتمكن هؤلاء الافراد ورجال المال من تقديم عونهم . الى جانب ذلك فقد جذبت الإكتشافات الأثرية فى مصر والعراق وفلسطين وتركيا وغيرها ، جذبت انتباه الرأى العام . ونتيجة لكل ذلك لم تتمكن البعثات الثلاثة من مواصلة عملها رالذى أخذ يتم

تأجيله من عام الى آخر .

أن الحفريات التى أجراها جورج رايزنر برعاية كل من **جامعة هارفرد ومتحف** بوسطن للفنون الجميلة ، تمثل فصلاً قائماً بذاته فى تاريخ البحث **الأثرى فى السودان** . فهذه الحفريات تعكس طبيعة رايزنر واصراره على المضى قدماً **واخلاصه التام لعمله** . فبعد إنتهاء الموسم الأول للمسح الأثرى للنوبة نقل رايزنر مركز نشاطه جنوباً ، وكان هدفه متابعة ما أورده برستد خلال رحلته (١٩٠٧–١٩٠٨) عن وجود مدينة اخناتون فى سيسيبى . ولكن نتيجة لطلب السلطات المحلية قرر رايزنر تغيير ترخصيه الأول ، والقيام بحفريات فى كرمة . وقد أدى قراره ذلك إلى الإكتشاف المذهل لحضارة كرمة ، حيث تم العثور على موقع سكن هام ومدافن غنية تابعة له ، وبذا تم إلقاء الضوء على حضارة لم يكن متوقعاً وجودها فى النوبة العليا . هذه هى حضارة كرمة التى يرجع تاريخها ، وفق ما نادى به مكتشفها ، الى عهد المملكة المصرية الوسطى اي حوالى القرن العشرين قبل الميلاد والفترة التى تليها .

خلافاً لبقية العلماء الأوروبيين لم تمثل تطورات الحرب العالمية الأولى عائقاً دون أن يتوجه رايزنر الى جبل البركل . (١٩١٥– ١٩١٦) حيث أجرى حفرياته فى معابد البركل الكبرى ، ومجموعتى الأهرامات فى المنطقة . وبالإضافة الى ذلك واصل رايزنر ، فى نفس الوقت ، حفرياته فى المدافن الملكية فى نورى ، حيث اتضح انها بدأت بهرم تهارقا العظيم . واشتملت على أضرحة من خلفه من الملوك وحتى الملك نستاسن ، باستثناء ثلاثة ملوك ، اي انها تغطى الفترة من ٦٩٠ الى ٣٠٠ ق .م . وامتدت حفريات رايزنر الى الكرو حيث نقب أضرحة ملوك الأسرة الخامسة والعشرين : كاشتا ، وبعانخى ، وشبكو ، وشبتكو وتانوتامانى ، كماتضم أضرحة أسلافهم الذين سبقوهم منذ القرن العاشر قبل الميلاد . وأخيراً واصل عمله بحفريات مدافن مدينة مروى القديمة (المدافن الشمالية والجنوبية والغربية) . وبهذا أنهى حفريات كل المدافن الملكية المروية والتى تغطى بصورة متواصلة كل الفترة من القرن الحادى عشر قبل الميلاد الى القرن الرابع الميلادى .

وقد واظب رايزنر على نشر تقارير أولية وافيه ، الأمر الذى مكنه من وضع تسلسل

زمنى للحضارة السودانية على مدى أربعة عشر قرناً ، وتقسيمها بناء على الدليل الأثرى الى فترتين « فترة نبتية » و « فترة مروية » متماشياً بذلك مع التقسيم الأول الذى وضعه ارمان . بالاضافة الى ذلك قام رايزنر بسلسلة من الحفريات لبعض القلاع الواقعة الى الجنوب من الشلال الثانى فى الفترة ما بين ١٩٢٨ - ١٩٣٢ وشملت قلاع شلفاك ، واورونارتى ، ومرقسا وسمنة وكرمة .

الهيئة القومية للاثار والمتاحف :

كل هذه النشاطات أدت الى التراكم المتزايد للمواد الأثرية بالرغم من أن معظم القطع الأثرية أرسلت الى خارج البلاد . وقد أجبر هذا الوضع حكومة السودان على تخصيص مزيد من الإمكانات والإهتمام لتأسيس ادارة مناسبة لمواجهة المسئوليات التى خلقها هذا الإرث الحضارى العريق . ففى عام ١٩٠٣ أعلنت الحكومة انه ليس هناك مايمكن عمله فى حقل الآثار وخولت السلطات القانونية والتنفيذية الخاصة بالتصرف فى الموجودات الأثرية للحاكم العام الذى يرأس حكومة السودان . ولكن فى عام ١٩٠٤ أسندت بعض هذه الصلاحيات الى كروفوت ، الذى كان منتدباً للعمل بحكومة السودان فى وظيفة مدير مساعد لمصلحة التعليم . وقد طلب منه أن ينشئ مصلحة للآثار ما وسع ذلك ، فى وقت فراغه ودون أن تخصص له أى ميزانية . وقد خصصت مساحة من المبانى فى كلية غردون الحديثة البناء « لعرض بعض المواد » . وفى عام ١٩٠٥م صدر أول قانون لتنظيم أعمال الآثار ، وحظر تهريب القطع الأثرية أو المتاجرة بها . ونص « قانون الآثار » هذا على قيام لجنة للمتاحف ، وخلق وظيفة « القائم بأعمال أمين الآثار » . ولكن شاغل هذه الوظيفة كان يملأها بصفة مؤقتة ، الى جانب منصبه الأصلى . فقد كان كل من دورموند (١٩٠٨ - ١٩٢١م) ، واديسون (١٩٢١-١٩٣١م) أعضاء فى هيئة التدريس بكلية غردون (نواة جامعة الخرطوم) . بينما شغل قربهام نفس الوظيفة فى الفترة ما بين (١٩٣١ و ١٩٣٩م)، الى جانب وظيفتة الاصلية فى مصلحة الجيولوجيا . ولكن هذا الوضع ما لبث أن تغير ، فقد تضاعفت المسئوليات وتشعبت مما حدا بالمسئولين الى اتخاذ قرار بخلق وظيفة دائمة . وفى مطلع عام ١٩٣٩ أنشئت وظيفة « مدير مصلحة الآثار

والأنثروبولوجى» والحقت بمصلحة التعليم . وكان أول من شغل الوظيفة هو أنطونى أركل ، وظل يعمل فى هذا المنصب حتى غادر السودان عام ١٩٤٨م حيث خلفه بيتر شينى . وخلال هذه الفترة نقلت القطع الأثرية من ممرات كلية غردون التذكارية . الى منزل مجاور تم تحويله الى متحف للآثار ، بينما توسعت مصلحة الآثار بخلق وظائف اضافية من بينها وظيفة مساعد المدير وضابط آثار . واتخذت الخطوة الاولى نحو السودنة بتعين ضباط آثار سودانيين من بينهم كان السيدان ثابت حسن ثابت ونجم الدين محمد شريف . وفى عام ١٩٥١ سن قانون جديد للآثار وتمت سودنة المصلحة نهائياً فى عام ١٩٥٥م ، وعين فيركوتير خبيراً اجنبياً لادارة المصلحة . وخلفه على التوالى كل من السيدين ثابت حسن ثابت ونجم الدين محمد شريف – وقد شهدت هذه الفترة تغيرات كبيرة . فقد بنى متحف السودان القومى فى الخرطوم وافتتح رسمياً عام ١٩٧٢م واضطلعت مصلحة الآثار بنجاح أكبر نشاط أثرى يقع على عاتق مثل هذه المؤسسة الفتية ، وهى الحملة الدولية لانقاذ الآثار بالنوبة والتى تمت بنجاح .

كان لهذه التغييرات والتوسع الكبير فى مصلحة الآثار أثرها فى تشجيع أعمال الحفريات الأثرية فى السودان . حيث امكن القيام بحملات واسعة النطاق فى منطقة النوبة . وقد أصبح من اليسير للبعثات الأجنية الإتصال بمؤسسة رسمية والحصول على المساعدات والتسهيلات . وقد تناولت تطورات ادارية منذ عام ١٩٩٠م على مصلحة الآثار وتغيرت الى وكالة للآثار والمتاحف ثم غدت هيئة قومية للآثار والمتاحف بوزارة الثقافة والاعلام ، ثم الحق مؤخراً بوزارة البيئة والسياحة المنشأة حديثاً .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان السودانيين أخذوا يشعرون بأهمية تراث وطنهم الحضارى عموماً ، مما حدا بسلطات كلية غردون التذكارية آنذاك (اصبحت الآن جامعة الخرطوم) الى الاستجابة لهذا الشعور الوطنى فخلقت وظيفة استاذ علم الآثار . وتم تعيين السير اليفر مايرس بها في سنة ١٩٤٧ . وقد قاد أول بعثة أثرية تجريها مؤسسة أكاديمية وطنية من داخل السودان . وقد أجرى حفرياته قرب قرية عبكة ، جنوبى وادى حلفا القديمة . ولكن أعماله هذه لم تستمر طويلاً ، فسرعان ما تقاعد عن التدريس . رغم ذلك

صارت مادة التاريخ القديم تضمن مع البرامج الدراسية الأخرى من بعده وغدت وظيفة محاضر للتاريخ القديم وظيفة مهمة ثابتة . حتى كانت سنة ١٩٦٣م عندما أعلن عن قيام شعبة الآثار بكلية الآداب بجامعة الخرطوم وهى الآن تقوم بتدريس مادة علم الآثار بمستوى كل الدرجات الجامعية المختلفة ضمن شعب كلية الآداب ، حيث تخرج اعداد من الآثريين . كما تقوم بنشاطات متنوعة وحفريات مختلفة فى طول البلاد وعرضها . ولابد من الاشارة الى قيام أول كلية للآثار والتراث بكريمة كانت تتبع لجامعة وادي النيل ثم الحقت بجامعة دنقلا كشعبة فى كلية الدراسات الانسانية والآداب . كما ان مادة التاريخ القديم اكتسبت مكانتها فى بقية الجامعات .

وفيما يلى سنحاول عرض أهم الاعمال الأثرية التى تجرى حالياً فى مناطق خارج بلاد النوبة السفلى ، بواسطة ادارة وطنية مقتدرة ممثلة الآن فى الهيئة القومية للآثار والمتاحف. فمنذ بداية الاربعينات من هذا القرن قام اركل بحفريات للعصور الحجرية الثلاثة العصر الحجرى القديم بخور ابى عنجة والعصر الحجرى الوسيط بالخرطوم والعصر الحجرى الحديث بالشاهناب . وكان ذلك مركز جذب لعديد من البعثات المتخصصة فى هذه العصور . ما تزال البعثة البولندية بالكدرو والبعثة الايطالية بالجيلى والسقاى يعملان لما يقرب من العقد من الزمان وقد انضمت اليهما بعثة اسبانية مؤخراً ، وكانت جامعة الخرطوم تعمل فى الضفة الغربية من منطقة السروراب غرب وادى سيدنا . ووقع اختيار جامعة كليفورنيا بقيادة ديزمند كلارك على منطقة النيل الأبيض ما بين القطينة وجبل اولياء ، وقد انضمت اليه لفترة قصيرة بعثة مشتركة بين جامعة بيرقن بالنرويج وجامعة الخرطوم ، وقد برزت هنا علاقة حضارات الجزيرة بحضارات الخرطوم والسودان الأوسط عموماً حتى بلاد النوبة . وقد تابعت البعثة النرويجية السودانية أعمالها شمالاً ، مابين الدامر وبربر ، وتابعت البعثة الفرنسية التابعة للهيئة القومية للآثار السودانية بعدة اكتشافات فى الكدادة ، قرب شندى ، وكدروكة ، قرب كرمة . أما فى غرب السودان كانت منطقة وادى الهور مسرحاً لأبحاث الصحراء ، فى عصور ما قبل التاريخ، حيث أجرت بعثة المانية بقيادة كوبر من كولون ، أبحاثاً متقدمة فى هذا العصر وقد سجلت

مواقعاً فى ام الطيور لقية عمران ولقية الأربعين ، وبئر النطرون ، وتابعت معها حتى مصب وادى الهور ، على الضفة الغربية للنيل . وفى بعثة مشتركة بين جامعة دالاس وجامعة الخرطوم ، قاد طونى ماركس بعثة البطانة لحفريات كهف شق الدود وخشم القربة . وقد تابع فاتوفتش ، من جامعة نابولى بايطاليا هذا العمل فى منطقة كسلا ، حيث ظهرت أهمية الأبحاث بحيث لا تقل عن المناطق الأخرى .

وتناولت بحوث آخرى حضارة كرمة . فالبعثة السويسرية بقيادة شارلس بونيه التى تقوم بحفرياتها فى مدينة كرمة لها نتائج باهرة حيث تكشفت لنا الدفوفة الغربية عن مدينة عظيمة لها ملحقاتها (شكل رقم ٣). كما زادت معرفتنا كثيراً بطبيعة الدفوفة الشرقية ومقابرها ، والتى امدتنا بعمق تاريخى بعيد يرجع الى ما قبل كرمة وبدايات السكن الاولى بهذه البقعة التى ترجع الى حوالى ٢٦٠٠ قبل الميلاد . وقد عمل فريق فرنسى بقيادة فيركوتيه ومساعداه فرنسيس غيس وبرجيت جراسيان فى جزيرة صاى حيث عثر على مخلفات ترجع الى حضارات متعددة اهمها حضارة كرمة ثم الفترة الفرعونية التى تلتها مباشرة كما وهناك فترات أخرى لاحقة من بينها الفترات المسيحية والإسلامية حتى العصر السفارى المتأخر. وقبل وفاتها قادت ميكلا جورجينى الايطالية الجنسية حفريات ناجحة فى موقعين مهمين ؛ اولهما هو موقع صلب ومعبد المملكة الحديثة المصرية (١٥٧٠ - ١٠٨٠ق٠م) وملحقة به جبانه فرعونية ومقابر مروية كوشية . أما الموقع الثانى فهو صدنقة والتى تقع شمالى صلب بقليل ، وبه معبد الملكة تى زوجة امنحوتب الثالث الذى خطط معبد صلب . وقد اكتسب هذا الموقع مكانة خاصة عند المرويين فيما بعد، حيث الحقت به مقبرة كبيرة مؤرخة بعهد تهارقو العظيم (٦٩٠ - ٦٦٤ ق .م) وقد آلت حفريات هذا الموقع الى بعثة فرنسية بقيادة جين ليكلانت ومساعديه كاترين بيرجيه ولابروس .

وشهدت حفريات الحضارة المروية نشاطاً مكثفاً . ففى سنوات ١٩٥٨ - ١٩٥٩م إفتتح فيركوتيه ، وأتمها من بعده ثابت حسن ثابت ، تنقيبات مصلحة الآثار السودانية فى مدينة ودبانقا ، حيث اكتشفا قصراً وملحقاته من معابد عديدة ومبانى أخرى ترجع الى



شكل رقم (٣)

حفريات البعثة السويسرية بالمدينة القديمة بكرمة

عصر الملكة امانى شاختو وزوجها امانى خبالى فى القرن الأول قبل الميلاد . وقاد البروفسيور فريتز هينزا حفريات جامعة همبولدت ببرلين ما بين أعوام ١٩٥٩ – ١٩٧٤م كواحد من أعظم المواقع الأثرية بالسودان وهو المصورات الصفرة والتى امدتنا بمعلومات قيمة عن طبيعة الحضارة فى البطانة ووسط السودان . وقد استأنفت جامعة همبولدت مؤخراً هذا النشاط مرة اخرى فى عام ١٩٩٣م بقيادة استيفان فينخ لا ستكمال هذه الأعمال الجليلة . وانضمت جامعة الخرطوم كمؤسسة وطنية لهذا النشاط وبدأت حفرياتها فى عام ١٩٦٦م فى مدينة مروى عاصمة المرويين بقيادة بيتر شينى وكاتب هذا المقال . ثم استمر بعد انتقال شينى الى كالقارى بكندا كبعثة مشتركة بين الجامعتين تحت نفس القيادتين . وتجرى الآن محاولات لا ستئناف هذه الحفريات كجهد سودانى ألمانى مشترك . كان هذا العمل دافعاً لان تمد جامعة الخرطوم نشاطها فى مناطق أخرى فى السروراب غرب والبعوضة شمال أم درمان شارك فيه جيل من الآثاريين السودانيين وغيرهم . وكان له دور كبير فى نشوء مجموعة الآثار بين السودانيين التى أعطت دفعة كبيرة محفزة لمسار العمل الأثرى عموماً . واخيراً فما تزال بعثة جامعة روما الايطالية بقيادة دونادونى ومن بعده روكاتى تعمل فى منطقة قصور ملوك مروى بجبل البركل . وقد انضمت الآن جامعة كاسينو بايطاليا الى هذا الركب بقيادة ارينه ليفرانى فنتشلى فى بعثة مشتركة مع الهيئة القومية للآثار والمتاحف للمسح والحفر الأثرى للمنطقة ما بين جبل البركل والزومة . وقد استطاعت موخراً من حصر وكشف عدة مقابر فى الصخر ترجع الى العهد المروى الكوشى البكر وفترة نورى ، فى حى العرب وقرية شبا قرب جبل البركل ويبدو انها كانت منطقة جنائزية هامة من تلك الفترة ، كما تشير الدلائل انه تردد استعمال نفس القبور عدة مرات فى فترات لا حقة ، ابان الفترات المروية المتعددة . وقد انضمت لهذا الركب مؤخراً بعثتان لجمعية الآثار السودانية تحت رعاية المتحف البريطانى بدأتا نشاطاتهما بالمسح الأثرى الاولى فى منطقتين هامتين أولاهما فى وادى الخوى وحول موقع الكوة شرق مدينة دنقلا الحالية ، والثانية فى المنطقة ما بين مدينة مروى القديمة وعطبرة ، وهما منطقتان استراتيجتان فى أبحاث الحضارة المروية ومعرفتنا

عنهما قليلة . وعلى نفس هذا النسق عمل فريق مشترك سوداني بريطاني بقيادة علي عثمان محمد صالح من جامعة الخرطوم وديفيد إدوارد من جامعة كمبردج بانجلترا بمسح أثري عام لمنطقة الشلال الثالث حيث سجلا مواقع أثرية مروية هامة لم تكن معروفة قبلها.

ويرجع الفضل لبداية التنقيبات الخاصة بالعهود المسيحية الى مصلحة الآثار ومديرها وقت ذاك بيتر شيني البريطاني . فقد انضم في بداية عمله بالسودان الى بعثة بريطانية تعمل في موقعي سيسبي والعمارة غرب ، والذين يرجعان الى الفترات الفرعونية المبكرة من عهد الرعامسة والأسرة التاسعة عشر المصرية . وقاد الحفريات بلاكمان وفيرمان من علماء المصريات المشهورين . وقد وجه شيني اهتماماته الى العصور المسيحية حيث قام بحفريات متتالية في مواقع وادي الغزالي وهو دير وبه كنيسة شهيرة ، ثم تنقاسي وكليهما قرب كريمة بالضفة المقابلة لها . ثم انتقل اخيراً الى سوبا شرق عاصمة مملكة علوة المسيحية الشهيرة . وتوقف هذا النشاط عندما استقل السودان عام ١٩٥٦ . وقد استأنف النشاط الأثري بسوبا المسيحية مرة أخرى بواسطة المعهد البريطاني لشرق أفريقيا بقيادة ديريك ولسبي .

وفي الآونة الاخيرة تابعت البعثة البولندية نجاحاتها الباهرة في فرس بوادي حلفا - اعمالها في العصور المسيحية . وبدأت التنقيب في دنقلا (تعرف الآن بدنقلا العجوز / الغدار) عاصمة مملكة المغرة المسيحية . وقد صادفت نجاحاً لا يقل عن نجاحها بفرس وهي ما تزال تعمل وتخطط لمواسم عديدة أخرى مقبلة في هذا الموقع الهام ، وفي نفس المنطقة تقوم الآن بعثة كندية من متحف اونتاريو الملكي بقيادة كريستوف كريمسكي (يرجع الي نفس المدرسة البولندية) بحفريات متميزة في موقع همبكول المسيحي ، ويبدو أنه كان سكناً هاماً قرب العاصمة المسيحية .

ولم تتناول الأبحاث الآثرية الفترة الاسلامية إلا مؤخراً . فقد جرت محاولات من أساتذة وطلاب شعبة الآثار بجامعة الخرطوم للكتابة عن الآثار الاسلامية في المنطقة ما بين الخرطوم وسنار ، كما امتد هذا الجهد شرقاً ليشمل خور نبت في شرق السودان . وفي

ما بين عامى ١٩٧٩ – ١٩٨١م قام فريق سودانى فرنسى مشترك من جامعة الخرطوم وجامعة ليون الثالثة بفرنسا ، بقيادة الكاتب ، بالمسح الإستكشافى لسواحل البحر الأحمر السودانية بحثاً عن المواقع الإسلامية ، ودراسة بيئة السكن والإستيطان البشرى . وقد تركز العمل خصيصاً فى موقع عيذاب شمالى مدينة حلايب . وقد توقف هذا الجهد ولم يتواصل . والآن تقوم بعثة يابانية بقيادة متسو كواتوكو بمسح أثرى طبوغرافى لميناء عيذاب الإسلامى الهام ، توطئة لحفريات موسعة لدراسة طبيعة الموقع الأثرية ، هذا وقد ركزت هذه البعثة الآن نشاطها فى موقع إسلامى آخر هو جزيرة الريح ° (عيرى) قرب عقيق ، حيث أصابت نجاحاً مبدئياً بايجاد أدلة أثرية لتحديد موقع ميناء باضع الإسلامى الشهير ، والذى ذكرته المصادر العربية بكثرة ، منذ أيام الخلافة الراشدة ومابعدها .

ومتابعة لهذا الاتجاه ، فقد تكونت بعثة إيطالية من مركز دراسات الصحراء الشرقية بميلانو وجامعة تورينو ، للاستكشاف والدراسة لعدة مواقع أثرية هامة بعضها مواقع اسلاميه فى غربى محافظة حلايب ، حيث استطاعت توثيق موقعاً هاماً ، هو موقع درهيب ، والذى يبدو أنه كان مدينة الذهب . فى أعالى وادى العلاقى تماماً كما وصفته المصادر العربية بانه مدينة مجمع وسوق الذهب . ويقود هذا الجهد الآن فريق إيطالى سودانى بقيادة كريم صدر الايرانى الجنسية وكاستليونى الإيطالى وتحت رعاية الهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية . وقد إهتمت جامعة وادى النيل وكلية الآثار والتراث بكريمة بهذا النشاط ، حيث شاركت فيه باحد أساتذتها .

وفى أقصى غرب السودان ، حيث ولاية دارفور ، فما تزال الأبحاث الأثرية تتركز حول آثار سلطنة الكيرة و المعروفة بسلطنة الفور . وما تزال معلوماتنا لا تتعدى ماذكره اركل وبلفور بول وغيرهم . وقد بدأت مؤخراً دراسات السودانيين تتجه لإستكمال الصورة الأثرية ، بجانب الصورة التاريخية لهذه المنطقة الهامة والتى تصل السودان بغرب افريقيا ، وممالك الصحراء . وهناك بدايات قام بها طالبان من شعبة الآثار بجامعة الخرطوم فى منتصف السبعينات الماضية ، كما كانت موضوعاً رئيسياً لدراسة تخصصية لابراهيم موسى. وخلافاً لآثار الفنج وسلطنة سنار على النيل ، فـأن آثار الفور ما تزال قائمة محتفظة بكثير من شكلها .

أثر خزان أسوان :

يمثل بناء خزان اسوان ، وتعلياته العنصر الثانى كان له أثره الكبير على تطور البحوث الأثرية فى النوبة والسودان عموماً ، بل كان هو السبب المباشر لقيام بعثات التنقيب الأثرية فى النوبة السفلى . فسرعان ما تمت عملية بناء الخزان فى عام ١٩٠٢م الا وقررت الحكومة المصرية تعليته وأشارت التقديرات الى ان كل المنطقة الواقعة على ضفتى النيل ، مابين اسوان ووادى السبوع ، ستتأثر بالمياه بل جزء كبير منها سيغرق نهائياً . وتنبهت مصلحة الآثار المصرية لهذا الخطر وقام مديرها العام غاستون ماسبيرو ، بزيارة تفقدية للمنطقة المهددة فى عام ١٩٠٤ - ١٩٠٥م لتحديد ما يمكن عمله ، ونشر تقريراً عام ١٩٠٩م كان له الفضل فى ظهور سلسلة من المجلدات والتقارير عرفت بأسم « معابد النوبة الغارقة » قامت بنشرها مصلحة الآثار المصرية ما بين سنوات ١٩١١ و ١٩١٥م . وتحوى دراسات جادة حول معابد عدة ترجع الى فترات مختلفة من تاريخ النوبة تتضمن فترات الفراعنة والمرويين ثم فترات قصيرة مختلفة من العهد البطلمي والرومانى بمصر . وقد اضطلع بمسئولية هذه البحوث ونشرها علماء آثار مصرية من جنسيات مختلفة فمنهم الانجليزي بلاكمان ، والفرنساوى هنرى جوتيه ، والألمانى رودر . وشملت معابداً بكل من بجة ، ودبود . وكلابشه ، ودندور ، ودكه ، ووادى السبوع ، والدر ثم عمادة . وقد كان لدراسة المخطوطات والرسومات والتفاصيل المعمارية الهندسية الأخرى التى سجلت بهذه المعابد الفضل الكبير فى اثراء الدراسات المصرية من وجوه شتى ، خاصة من جوانب اللغة والتاريخ والفن والهندسة والديانة المصرية . وتمخضت هذه الدراسات عن تفهم أكبر لتاريخ النوبة سواء فى الفترات الفرعونية أو ما تلاها . ثم أن هذه الدراسات اكدت الدور الهام الذى لعبته بلاد النوبة فى تاريخ الحضارة المصرية القديمة .

ويرجع الفضل أيضاً الى غاستون ماسبيرو لبدايته نوع آخر من الدراسات الأثرية ، وتلك هى المساحة الأثرية . فقد عهد الى أحد مساعديه ، وهو ويجال ، بالقيام بسلسلة مسوحات أثرية فى النوبة السفلى استغل فيها الملاحظة المباشرة لما هو ظاهر فوق سطح الأرض لتحديد ووصف الأماكن الأثرية من معابد وجبانات وخلافة ، ومن ثم وضعها فى

تدرج تاريخى ، وكان ان نبه إلى انفراد الحضارة النوبية فى فترة من فتراتها بمميزات خاصة بها . وقد اطلق عليها « حضارة القبور الدائرية » (بان جريف) . وقد استفاد الدارسون من بعده ايما افادة من تعليقاته وتقاريره .

ولكن أهم مسح أثرى له آثار بعيدة على تطور البحوث الاثرية فى النوبة هو الذى نظمه السير ليونس مدير عام مصلحة المساحة المصرية التابعة لدائرة الاشغال العامة . فعندما قُرر تعلية خزان اسوان وقع اختياره على جورج اندور رايزانر الأمريكى ليقوم بالمسح الاثرى فى طول المنطقة التى تهددها المياه المرتدة من تعلية الخزانن بالغرق . بقى ان نذكر هنا ان اتخاد مثل هذا القرار واختيار الاشخاص الذين أوكل اليهم القيام بهذه العمل كان نتيجة لعوامل عدة ، لم تكن كلها تتصل بالآثار . إن هذا يعكس لنا طبيعة الوضع السياسى الذى كان بمصر وقتذاك . صراع دائم يدور فى الخفاء بين الموظفين البريطانين الذين كانوا يحكمون البلاد فعلياً وبين الموظفين الفرنسيين الذين كانوا يعتمدون على ما لدى فرنسا من نفوذ ثقافى وحضارى بمصر . وكان رايزانر موفقاً فى اختيار افراد الطاقم الذين نفذوا معه الموسم الأول ، ووضعوا الأساس الذى سار عليه الجميع فيما بعد . فقد كان ان وضع المنهاج الأساسى لتمييز وتحديد أهم خصائص تاريخ النوبة بفتراته الحضارية ومجوعاته الاجتماعية . إن الأسس التى وضعها رايزانر ورفاقه ، والنتائج التى توصلوا اليها ، ما زالت حتى اليوم هى نفس ذات الأسس التى يبنى عليها تاريخ النوبة . وكان فريق رايزانر هذا مكوناً من سيل فيرث ، واليوارد بالاكمان ، واريك بيتس كمساعدين آثار ، كما كان اليو ت سميث ودريك ديرى متخصصين فى دراسة الهياكل البشرية . ورغم ان ريزانر واليون سميث انسحبا من العمل اثناء الموسم الثانى (١٩٠٩) فقد استمر العمل كما قدر وخطط له فى الموسم الأول على نفس المنهاج حتى الموسم الرابع عام ١٩١١ بقيادة فيرث .

إن اهم انجاز لهذا الفريق هو قيامه بالعمل فى منطقة غرقت بمياه التعلية الأولى لخزان اسوان عام ١٩١٢ ، وهى المنطقة الممتدة من الشلال الأول وحتى وادى السبوع . وبجانب حفر وتسجيل كثير من المبانى والقلاع ، مثال قلعتى اكور وكوبان ، فقد تمكن هذا الفريق

من حفر أربعة وأربعين جبانة ، بعضها يحتوى على مئات من القبور . واستطاع رايزانر فى النهاية بواسطة استغلاله لطرق الحفر الحديثة والتسجيل المنظم ، وحرصه الشديد على التدوين ان يلاحظ التغييرات المختلفة فى المقابر . كما وانه جمع هذه الملاحظات والتغييرات فى مجموعات محددة . وجعلها تدل على مجموعات حضارية مختلفة ، واعطى كل مجموعة حضارية حرف هجاء . وبذلك خلقت سلسلة الحضارات النوبية والتى نعرفها اليوم بالمجموعات : أي المجموعة (أ) والمجموعة (ب) والمجموعة (ج) والمجموعة (د) ... هنا ترك رايزنر حروفاً تحوطاً لما قد يكتشف فى المستقبل .. وتستمر السلسلة بالمجموعات النهائية من اشهرها المجموعة (س) .

إن هذا التوارد الحضارى مواز لمثيله المعروف بمصر منذ قيام الأسرات الاولى وحتى بداية العهد المسيحى هناك . ويلاحظ ان الموازنة هذه ما هى الا معاصرة تاريخية ، والمجموعات المقابلة لأى فترة حضارية بمصر . تكون مختلفة حضارياً ، ولها طابعها المحلى الخاص . وقد اثبت نظام رايزانر لتركيب التاريخ النوبى نجاحه بمرور الايام ، ورغم التحسينات والتعديلات التى ادخلت عليه .

وبينما كان العمل جارياً فى اعمال المسح الاثرى كانت هناك بعثات اجنبية تعمل فى الحفريات الاثرية بنفس المنطقة فبعثة اكلى كوكس الصغير من بنسلفانيا الى النوبة حفرت فى موقع الريجا سنة ١٩٠٧م وفى سنوات ١٩٠٨ - ١٩١٠ تحولت الى مقبرتى كرنوج وشبلول . وفى نفس السنة نشر احدا افرادها ، وهو مايليهام ، بحثاً استعرض فيه الكنائس فى النوبة السفلى . ثم انتقلت نفس البعثة الى بوهين ومنطقة مدينة الدولة المصرية الحديثة ومقبرة ترجع الى الدولة الوسطى . وفى عنيبة عملت بعثة ارنست فون زيلجين بقيادة اشتايندروف حول القلعة المصرية والمقبرة التى يرجع تاريخها الى عصر المملكة المصرية الوسطى والمملكة الحديثة كما وكانت بالقرب منها مقبرة نوبية ضخمة ومهمة . اما اكاديمية فيينا فكان ان ارسلت بعثة يونكر لحفر مقبرة المجموعة (ج) فى الكبانية شمال جنوبى اسوان ثم تحول بعدها الى منطقة توشكى وارمينه ما بين سنوات ١٩١٠ - ١٩١١ . كان لهذه الأعمال دورها الفعال فى تركيز نظام رايزانر الذى أصبح راسخاً بشدة

كنظام مقبول لتاريخ الحضارات فى النوبة السفلى .

وبجانب آثار الحرب العالمية الأولى فهناك عوامل أخرى أثرت على أعمال الحفريات الأثرية . أولها وأهمها انه تم الوصول الى الهدف المنشود قبل ان تصل المياه الى ارتفاعها المقرر لها سنة ١٩١٢ . ثم ان بعض المناطق قد غمرتها المياه ، ولا يرجى منها بعد ذلك شيئاً . أما تلك التى نجت من الغرق فهى بعيدة من خطر فيضان المياه . وهكذا فقد إنتفى عنصر الضرورة والسرعة ، وعليه فقد امكن تحويل الجهود الى مجالات أخرى خاصة جنوبى المنطقة المغمورة . كما ان علماء الآثار عكفوا لدراسة ونشر الأعمال التى قاموا بها . وكان أن ظهرت فى سنة ١٩١٦م دراسة حول التحصينات المصرية ما بين الشلال الأول والشلال الثانى ، وبتركيز على تلك الحصون التى تقع فى منطقة الحدود فى الشلال الثانى وقد نشرت هذه الدراسة فى مقالين بواسطة سومر كلارك والن قاردنر .

وعندما تقرر تعلية خزان أسوان للمرة الثانية بدأت أعمال المسح الأثرى مرة أخرى فى النوبة السفلى ، وفى هذه المرة ، فان مصلحة الآثار المصرية أسندت المهمة لعالمين بريطانين هما ولتر امرى ولورنس كيروان ومجموعة من الشباب المصرى كمساعدين . واختير احمد بطراوى ليقوم بمهمة دارسة العظام البشرية . وقد جرى العمل ما بين سنوات ١٩٢٩ و ١٩٣٤ وشمل المنطقة ما بين وادى السبوع وادندان ، على الحدود السودانية المصرية . وكانت أهم ثلاث مميزات لهذا المسح هى : أولاً ينتج عنه ما يستدعى تغيير الصورة التى أوضحها المسح الاول والخاصة بالتاريخ الحضارى للنوبة . ثانياً إتمامه لحفريات حصن كوبان قبل ان تدمرها وتغمرها المياه ، وهى الحفريات التى بدأها فيرث ولم يكملها . ثالثاً : ربما كانت اكتشافات هذا المسح الأخيرة المثيرة حقاً اكتشاف مقابر القسطل وبلانه الضخمة وما بها من كنوز بديعة يرجع تاريخها الى ملوك المجموعة (س) . وفى نفس الوقت تناول منريه دى فيارد الإيطالى موضوع كنائس النوبة السفلى وأضاف اليه الكثير ، وحيث أورد خرطاً وأوصافاً كاملة لهذه الكنائس كما أضاف وصفاً لبقايا مسيحية أخرى كالأديره والمدن والمقابر بجانب كنائس جديدة . وفى هذه الفترة فقد كانت البعثة الألمانية التى تعمل بعنيبة هى البعثة الخاصة الوحيدة . بعدها توقفت كل الأعمال الأثرية بالنوبة .

السد العالى :

عندما تقرر بناء السد العالى ازاداد اهتمام العالم مرة أخرى بآثار النوبة بدرجة لم يسبق لها مثيل فقد ارسلت منظمة اليونسكو نداء الاستغاثة ، تردد صداه فى كل أنحاء العالم للإكتتاب فى حملة انقاذ النوبة من ضياع مؤكد .

فقد أشارت التقديرات المبدئية أن بناء السد العالى سينتج عنه غمر المنطقة جنوبى أسوان وحتى جزيرة دال ، جنوبى الشلال الثانى ، بفيضان تام دائم ، وان عملية الفيضان هذه ستبدأ فى سنة ١٩٦٤م لتصل أقصى مدى لها عام ١٩٦٨م ، قوبل نداء اليونسكو لانقاذ آثار النوبة قبولاً حسناً ، وهناك قائمة طويلة بأسماء الدول التى أرسلت حملات التنقيب للمواقع الأثرية فى النوبة المصرية والنوبة السودانية . وتحتوى هذه القائمة دولاً منها : الأرجنتين وأسبانيا وألمانيا الديمقراطية وألمانيا الاتحادية والمملكة المتحدة والنمسا والهند والولايات المتحدة وإيطاليا وبلجيكا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والدول الاسكندنافية الأربعة متجمعة وهى (الدنمارك والسويد والنرويج و فلندا) وسويسرا وروسيا وغانا وفرنسا وكندا وهولندا ويوغسلافيا بالاضافة الى الدولتين المضيفتين السودان ومصر .

وقد بدأت عمليات الإنقاذ بالمسح الأثرى الذى توسع وشمل مناطقا لا تهددها مياه الفيضان . وفى السودان فقد تنبهت مصلحة الآثار لهذا الخطر المحقق وشرعت فى تكوين برامج المسح والتسجيل الأثريين للمواقع على ضفتى النيل ابتداء بفرص . وفى سنة ١٩٥٥ بدأ فريق فرنسى - سودانى بقيادة فيركوتيه ، مدير مصلحة الاثار السودانية وقتئذ فى تنفيذ مشاريع العمل سريعاً . وقد توسع هذا المشروع وتكاملت جوانبه العديدة لانضمام بعثات أجنبية أخرى اليه ، مثل البعثة المشتركة للدول الاسكندنافية الأربعة ، وبعثة نيومكسيكو وكلارادو لما قبل التاريخ ، ثم فريق مصلحة الآثار السودانية بقيادة آدامز ونشتروم ثم ملز حيث امتد عمل المسح الأثرى ليشمل مناطق جنوبى الشلال الثانى فى منطقة دال وبطن الحجر . ويستمر هذا العمل الآن جنوباً بادارة الهيئة القومية للآثار والمتاحف واشتراك عدد من البعثات الاجنبية ، ومؤسسات أكاديمية سودانية ، حيث تنفذ

الهيئة مشروعاً قومياً سودانياً استراتيجياً عاماً هدفه تجميع كل هذه المعلومات فى الخارطة القومية الأثرية لعموم السودان .

مما تقدم فاننا قد نحتاج الى عقد من الزمان لكى نستوعب هذا الجهد العظيم . ونستخلص منه تقييماً نهائياً . وعندما يتم ذلك فإن فهمنا لمسار الحضارة بالسودان سيكتمل ، وربما اضطررنا لتعديل الكثير من مفاهيمنا ، ويكون ذلك دافعاً لاجراء الكثير من البحوث مما سوف يثرى معارفنا عن قارتنا الأم – أفريقيا . وحتى الآن ، فقد توفرت لدينا بعض المؤشرات الهامة التى لابد من الاشارة اليها هنا ، أولهما ان السودان مافتئ ينظر الى تراثه وحضارته من منظار شمولى ، بمعنى ان هذا التراث هو تراث انسانى عام ، وكجزء من تاريخ البشرية كلها ، فلا يضن به لوحده ، رغم اعتزازه به وحرصه عليه ، وثانيها ان السودان لم يكن مهيئاً لمواكبة التطورات العلمية الحديثة فى طرق البحث الاثرى لشح الموارد المالية الضرورية ، والموارد البشرية . وعليه لم يتوان السودان من الإلتجاء الى مجال التعاون الدولى ، لجلب المساعدات السخية من الهيئات والمؤسسات العالمية . التى تعنى بتراث البشرية عموماً . وقد كان هذا الجهد المقدر الذى نقدمه الآن للقارئ العربى ، واجهة بليغة لهذا التعاون المثمر الذى ينشده سوادن اليوم . إن هذا التعاون العلمى ما زال قائماً ويزداد ولا ينقص – وبعثة جامعة جنيفا بسويسرا خير آية من آيات هذا التعاون العملى . فالسودان أعطى وسيظل يعطى للعالم منبراً للتعاون العلمى السلمي .

عصر ما قبل التاريخ بالسودان

بدأت الدراسات التى تتناول حقب ما قبل التاريخ السودانى فى الأربعينات من هذا القرن ، ولكنها لم تتخذ منطلقها الحقيقى الا خلال العشرين سنة الأخيرة ، وذلك نتيجة للدفعة الكبيرة التى هيئتها الحملة الدولية لانقاذ آثار النوبة بقيادة منظمة اليونسكو .

من جانب آخر فعلى الرغم ان هناك تطوراً كبيراً حدث فى المجالين النظرى والتقنى فى حقول الدراسات فلا بد أن ننبه الى ان النتائج المتوفرة لنا حتى الآن ما تزال شحيحة ، وصورة التسلسل التاريخى المتكامل ما تزال بعيدة ، وان هناك العديد من المناطق ما تزال مجهولة تماماً لدينا ... وبنفس القدر فان الدراسات والأبحاث التى تتناول طبيعة الأرض ، وحالة الطقس فى الماضى لم تستغل الاستغلال الأمثل لاعطاء الصورة المتكاملة لحياة الانسان و تفاعله مع البيئة الطبيعية فى تلك الحقب الموغلة فى القدم ، فى مساحة شاسعة تزيد على الاثنين ونصف مليون كيلو مترا مربعاً من القارة الافريقية هى مساحة السودان اليوم (شكل رقم ٤) .

لم يتم حتى الآن العثور على أدلة عظيمة لأصل الانسان فى السودان ، واقدم أدلة لظهوره هنا تؤرخ بحوالى مائة ألف سنة مضت .. مع ذلك فقد ترك لنا الانسان بعض مظاهر وجوده فى شكل آلات حجرية ، كان يستعملها ، تمكن الدارسون من جمعها ، وتصنيفها فى مجاميع لمتابعة التطورات النمطية التى مرت بها صناعة هذه الآلات وأطلقوا عليها أسماء وصفات . وأقدم هذه الوصفات عرفت باسم الأشولية القديمة ، والتى تنتمى لمصنف عالمي موسع ، يعرف باسم الابيبيلوليتى (Epipalaeolithic) تنسب اليه صناعات حجرية وجدت بالمغرب وزائير والشام ، وفى السودان ما يزال خور أبى عنجة بأم درمان خير ما يمثل هذه الحقبة الموغلة فى القدم ، ويمكن أن يضاف اليه آلات جمعت من على سطح الأرض فى خور اب دلالة ، ووادى سيدنا ، وجبل المعيقل - ثلاثون ميلاً شمال ام درمان - كذلك تلاحظ وجودها بشرق وغرب البلاد فى مناطق متفرقة . ونشير هنا الى ان الدراسات التفصيلية لهذه الحقبة ببلاد النوبة نبهت الى الأهمية الكبرى لظاهرة جمع الغذاء والتقاطه بجانب الصيد ، تميز حياة الانسان خلال ما يعرف باسم العصر الحجرى القديم



شكل رقم (٤)

خارطة جغرافية للسودان ومصر

النهائى النوبى Nubian Final palaeolithic. أما المناطق الأخرى فما زلنا لا نعرف عنها شيئا .

ويبدو أن منطقة السودان الأوسط هى المنطقة الأولى التى شهدت عمارة الأرض ، وسكن الإنسان ، حيث أمدتنا الدراسات الأثرية بالعديد من الأدلة لفترات شهدت ظهور الفخار ،وعرفت أقدم الحضارات بإسم (خرطوم العصر الحجرى الأوسط - خرطوم الميزوليثى (Khartoum Mesolithic) وهى تؤرخ بالألف الثامنة ، حيث ظهرت فجأة ، بلا مقدمات أو سوابق محلية يمكن أن نرجعها اليها ، وشكلت البيئة الرطبة ، وغلبة المستنقعات ، طبيعة نشاطاتهم ، التي تمركزت حول صيد السمك ، وجمع الرخويات المحارية ، وصيد الحيوانات البرية ، والتقاط الثمار الخلوية . ومما تجدر الإشارة اليه ، أنه احيانا يطلق على هذه الفترة اسم العصرالحجرى الحديث الأول (البروتونيوليثى) -Proto Neolithic وتميز بمجموعة الات مصنوعة من حجر المرو (الكوارتز) ، قاعدة العديد منها بأشكال هندسية ، تشمل النصليات المدببات والسهميات ، وأكثرها شيوعا المكاشط ، والمخارز صنعت من شظايا حجر الريوليت . ولم يصنع من العظام ، رغم وفرتها ، الا آلة صيد السمك المعروفة بالهاربون (خطاف السمك - بديقه) بقاعدة ممتلئة مدببة تميزت بها الفترة ، وتفرد الفخار من جانبه بزخرفته ذات الخطوط المموجة والسطح الغير مصقول . وخلال الألف السادسة مر بأطوار تدريجية حيث استبدلت الخطوط المموجة بخطوط منقطة مموجة . وهناك دراسات تجرى حول عينات من وسط السودان تدور حول المعايير الشكلية ، وتحديدها ، والإختلافات النمطية لهذه الزخرفة ، وتواريخها. ويبدو أن هذا النمط الزخرفى للفخار كان منتشرا خلال منطقة واسعة من القارة الأفريقية، وفي وقت مبكر جدا ، شملت جنوب الصحراء الغربية ، وموريتانيا وحتى منطقة البحيرات بشرق افريقيا .

والفترة التالية كانت فترة جفاف بدأت مع نهاية الألف السادسة حيث شهدت تطور وبروز العصر الحجرى الحديث بالخرطوم (نيوليثى الخرطوم (Khartoum Neolithic) **ويمثلها موقع الشاهناب ،** وقد شغلت هذه الحضارة منطقة محصورة لا تتعدى منطقة **وسط السودان(شكل رقم ٥)**. وبالرغم من أن صيد البر والنهر استمر ، لكن يلاحظ أن

أغلب العظام الحيوانية التى تم العثور عليها تشير الى تربية حيوانات اليفة (ماشية ، ماعز ، ضأن ، وكلاب) مما يبرر إطلاق إسم العصر الحجرى الحديث عليها ، رغم ان الزراعة لم تمارس بعد . وتحليل بصمات النباتات التى تم استخلاصها من داخل شقق الفخار تشير الى وجود أنواع من الذرة التى لا تختلف كثيراً من الانواع البرية المتوفرة الآن .. مع ذلك زراعة هذا النبات لم تؤد الى تغييرات وراثية اذ ان طريقة حصاده لا تتعدى قطع السيقان . ان توفر معدات الطحن وعدم التعرف على لمعان حافة الآلات الحجرية المصاحب لقطع الحشائش النباتية يقودنا الي القول بوجود نوع من الزراعة .. وكما هو الحال أثناء العصر الحجرى الوسيط السابق ، فان مواقع السكن تشير الى حياة الإستقرار ، رغم أننا لم نعثر على أى آثار معمارية تدل على وجود بناء ، فيما عدا بعض بقايا مكان الطبخ التى تحيط بها قطع من الحجارة ، ويعود أسباب ذلك لعوامل يتكرر استعمال الموقع كمكان لاقامة المقابر فى فترات تاريخية متعددة لاحقة ، ومنها الميكانيكى عندما تتشقق الأرض ، وتختل طبقاتها ، عندئذ يكون الحفر بنظام الطبقات غير مجزى .. والشئ الوحيد المتكامل الوحيد الذى يمكن دراسته هو المجال الجنائزى

ففى الوقت الذى لا تتعدى معارفنا من عادات الدفن فى خرطوم العصر الحجرى الوسيط (khartoum Mesolithic) عما يمكن ان نستخصله من وجود اثنى عشر هيكلاً عظيماً ، وجدت بين بقايا السكن ، فان مقابر خرطوم العصر الحجرى الحديث (خرطوم النيوليثى Khartoum Neolithic) تتجمع فى شكل مجموعات قد تصل المئات .. وكانت هذه المقابر غنيه سواء بما تحويه من معلومات هامة ، أو كنوز نفيسه ، مما يمكن من تصنيفها بتسلسل تاريخى وتتبع التطورات الإجتماعية . وكانت النتيجة من كل ذلك ان توفرت لدينا معلومات متعددة عن مادة حضارية دسمة ، لا تتوفر بتكوينها المركب هذا ، فى أى من الفترات الأخرى .

وتنحصر صناعة الآلات الحجرية على طريقة تهذيب وتصنيع قطع الشظايا الحجرية ، واشكالها يغلب عليها المظهر الهندسى . وتسود الآلات المصغرة (الميكروليثية) (Microlithic) واحجامها أقل مما كان متبعاً فى الفترة السابقة (اى الميزوليثية) ، وتشمل

المكاشط ، والمقارز ، وانصال على شكل رأس المثقاب . كما اختفت رؤوس السهام ذات النصل الطولى ، الشئ الذى يشير الى تدهور حرفة الصيد . وظهرت عملية صقل الحجر ، كما فى رأس الدبوس ، والمقور ، الذى تميز بها عصر خرطوم الحجرى الحديث ، بل مما يستدعى الاشارة اليه ان توزيع آلة المقور هذه لا تتعدى منطقة الشلال السادس . كما صنعت كذلك آلات الطحن من حجر الجرانيت .

تنوعت صناعة الآلات من العظام أكثر من ذى قبل . فظهرت الهاربون (قطاف السمك) بقاعدة مثقوبة وأدوات الصقل ، وآلات قاطعة ، وفؤوس وصنانير لصيد السمك . ويتمثل الاهتمام بالمظهر الجسمانى فى وجود الأسورة ، وعقود الخرز ، والأنواط ، وحلي الشفاه . ويبدع الفخار سواء فى شكل زخرفته ، أو صقل سطحه ، والزخرفة تشمل أشكالاً مطبوعة وأخرى محفورة وتكون الأوانى الحمراء ذات الشريط الأسود على حافة اناء الفخار ، العلامة المميزة لهذه الفترة التى اكتمل تطورها مع نهاية الألف الخامسة أو بداية الرابعة .

وتقع الفترة النهائية للعصر الحجرى الحديث هذا فى النصف الأول من الألف الرابعة ، حيث أمكن التعرف عليها وتحديدها فى منطقة التراجمة شمالى شندى ومما تم جمعه حتى الآن من معلومات ووصف لمادة تراث هذه الحضارة ، تشير الى استحالة العثور على اجابات لاشكالية الاستمرارية الحضارية بينها وبين عصر الخرطوم الحجرى الحديث المتمثل فى الشاهناب وغيرها . بل العكس من ذلك ، فان التنظيم الداخلى للمقابر ، يشير الى حدوث تغييرات فى التكوين الإجتماعى مصاحباً لتحولات اقتصادية أساسية . وبنهاية هذه الحضارة واختفائها فان هذه المنطقة هجرت واختفت أى دلائل لوجود الإنسان فيها ، ولم تعمر مرة أخرى الا عندما حل القرن السابع قبل الميلاد ، وازدهرت الحضارة فى منطقة كبوشية ومروى القديمة . أى ان هناك فراغ حضارى ما بين نهاية العصر الحجرى الحديث وبداية العصر المروى المبكر .

وفى النوبة السفلى فقد تم التعرف على ثلاثة مجموعات حضارية للعصر الحجرى الحديث هذا فى المنطقة ما بين الشلال الثانى ومنطقة بطن الحجر . فالأولى تعرف باسم (ما بعد الشماركيه) والثانية باسم العبكاوية . وكليهما يرجعان الى تطورات ومصادر

محلية . أما المجموعة الثالثة ، وتعرف با سم (صيغة الخرطوم الحضارية) فهى دخيلة على المنطقة ووفدت من الخارج . وقلة عدد التواريخ التى تم الحصول عليها بواسطة كربون ١٤ المشع . لا تمكننا من تحديد مداها التاريخى بدقة . على العموم . فكلها تقع فى خلال منتصف الألف الخامسة ما عدا (العبكاويه) التى تبدو انها استمرت لما يقرب من الألف سنة . وأمكن تحديد ثلاثة فترات تطور اخرها تميز بوجود نوع من الفخار له زخارف مموجة . تجعلها فترة انتقالية متصلة بالمجموعة الحضارية الاولى (المجموعة أ) حوالى الالف الرابعة . ووجود الفخار الذى يحمل زخارف ذى خطوط النقط المموجه ، يؤكد صلة (صيغة الخرطوم الحضارية) مع خرطوم الحجرى الوسيط (Khartoum Mesolithic) او خرطوم الميزوليثى . ومما تجدر الا شارة اليه ايضاً ، فان حضارة ما بعد الشماركيه قد لا يتسع المجال لدراستها ، نسبة لشح المعلومات عنها ، والتى لا تتعدى الموقعين فقط . ولم تبدأ الابحاث الأثرية بمنطقة «دنقلا» الا مؤخراً . وما تم التوصل اليه حتى الآن يشير الى وجود مركب حضارى مشابه لوسط السودان . فقد عثر على الفخار ذى الزخارف المموجة على شواطئ النيل القديمة ، وعلى حوافى بحيرات جفت الان . والملاحظات والمعلومات الأولية ، تشير لوجود فترتين للعصر الحجرى الحديث . اولاهماتقع فى الالف السادسة ، واخراهما فى الأف الرابعة . ونكاد نجزم أن هذه الأخيرة ترتبط بما يعرف الان باسم « ما قبل حضارة كرمة » .

يمدنا شرق السودان بأدلة أثرية غنية لإزدهار تسلسل حضارى بدأ بالأف التاسعة حيث عمر الانسان هذه المناطق ، وكان يمارس حرفة الصيد ، سواء صيد البر ، أو صيد النهر ، للحصول على غذائه ، ولم يعرف الفخا ر . ولكنه سرعان ما توصل فى خلال الألف السابعة ، الى تكوين حضارة أولية ، تنتمى الى العصر الحجرى الحديث ، وتعرف الفخار ، وجدت بقاياها فى مواقع قرب خشم القربة ، ومحطة ام عضام شمال كسلا ، ويطلق عليها أحياناً « ما قبل الساروبه » . حيث اعتمدنا على مصادر الغذاء الحيوانية – النهرية والسفانا ، سواء الرخويات أو الحيوانات الكبيرة كالأبقار . و يتواتر وجود حجارة الطحن بين مواقع نهر العطبرة بينما تتلاشى بين مواقع القاش . وفخار المجموعتين يتشاركان فى بعض

السمات ويختلفان فى أخرى . فموقع نهر العطبره ، وخشم القربة لها العديد من التشابه مع فخار خرطوم الميزوليثى وفصائله ، بينما يتوفر فى مواقع نهر القاش فخار به أزرار ناتئة تميزه عن فخار الخرطوم ، لكنه يشترك مع مجموعة نهر العطبرة فى وجود خطوط التمشيط على سطح الإناء الداخلى . ومن هذه السمات المشتركة اقترح الباحثون اطلاق اصطلاح « تقليد العتباى » على كل المسلسل الحضارى الذى امتد لعدة آلاف من السنين ، محافظاً على خصائصه فى تطور مستمر . وقد قسمه الدارسون الى فترات انتقالية عديدة ، اقدمها مجموعة الساروبه ، والتى ازدهرت ابان الألف الخامسة قبل الميلاد ، تبعها فترة انتقالية بدأ يضمحل اثنائها التشابه بينها وبين المادة الحضارية من وادى النيل ، والمؤرخة بالعصر الحجرى الحديث فى وسط السودان أو عصر (الشاهناب) . وأعقب ذلك فترة كسلا ، التى استمرت لفترات طويلة امتدت لأكثر من ألفى وخمسمائة سنة . انتهت ابان الألف الأولى قبل الميلاد . وشملت فترة كسلا هذه على ثلاث مجموعات حضارية متزامنة مع بعضها كثيراً . فأقدمها مجموعة البطانة – ولها انتشار واسع ، امتد ما بين كسلا وخشم القربة ، وحتى قوز رجب ، وتمتد شمالاً حتى أركويت ، وجنوباً تلحق بها مجموعة مواقع منتشرة فى خور بركة ، وقوردات بأرتيريا . والمجموعة الثانية هى القاش التى وجدت موزعة خلال دلتا نهر القاش ، وفى جبال كسلا (محل تجلينوس) ومحطة سكة حديد اريبا ، وامتدت غرباً حتى شق الدود شرق شندى . كما تم تسجيل مواقع تابعة لها على ضفاف النيل فى منطقة الشلال الثالث . أما المجموعة الثالثة فهى مجموعة جبل مكرم ، والتى تحتوى على أكثر من موقع موزعة خلال الأراضى الرعوية ، حيث تربية الماشية ، وزراعة الدخن ، والذرة وربما تلحق بها مجموعة ذوى القبور الدائرية الشهيرة بالنوبة السفلى ، التى كونت مجموعات النوبة الحضارية المعاصرة لفترات ممالك مصر الفرعونية المختلفة . وتختم المجموعة الثالثة وهى مجموعة التاكا فترة كسلا الحضارية هذه والتى تتوزع فى مواقع عرفت باسم الحاجز ، والتى تنتهى حوالى القرون الاولى الميلادية معاصرة للحضارة المروية . وصلتها بوادى النيل والحضارة المروية مؤكدة فى كثير من الوجوه ، وبنهاية هذه المجموعة ينتهى ما يعرف « بتقليد العتباى » وهو تصنيف

اعتمد اساساً على تصانيف انواع الفخار وتوزيعاته زمنياً وجغرافياً . ويبدو انه خلال فترة كسلا المذكورة اعلاه حيث توجد تطورات داخلية عديدة أدت تدريجياً الى هجرة السكن فى الأماكن الواقعة بالقرب من مجارى المياه لنهر العطبره وخور القاش وخور بركة ، والانتشار على مناطق السافنا الشاسعة ، ومن الناحية الاقتصادية والاجتماعية فان ذلك أدى الى أن ينتقل السكان من حرفة الزراعة والاستقرار الى حياة البداوة وتربية الحيوان . وهذا ما أثبتته الحقائق التاريخية المختلفة فى حروبات الكوشيين والمرويين منذ القرن السابع الى الثالث قبل الميلاد .

فقد تمركزت الأبحاث الأثرية فى غرب السودان على مناطق محددة للغاية لا تتعدى مناطق لقية عمران ، ووادى الهور بشمال دارفور حتى منطقة مليط . وأشارات الدراسات الأولية الى سكنى الإنسان لهذه المناطق ، والتى كانت مهيأة له بيئياً ، حيث توفرت المياه فى شكل بحيرات ضحلة ، وخيران جارية طوال السنة ، مهدت لوجود وتوفر حيوانات برية متعددة ،واحياء مائية ، منها فرس البحر والتمساح والسلحفاة والأسماك المختلفة ، والتى اعتمد عليها الانسان لغذائه . ويبدو ان هذه المنطقة مرت بمراحل تقلبات مناخية ، اثرت فى الكتلة الاحيائية – النباتية والحيوانية – وتأثر بها الانسان ووجوده . وركز الباحثون فى دراساتهم على ثلاثة محاور . شمل المحور الأول دراسة أنماط الفخار ، التى تم العثور عليها فى مواقع السكن . أما المحور الثانى فتمثل فى الحصول على سلسلة من التواريخ بواسطة كربون ١٤ المشع ، ومقارنة كل ذلك بمعطيات المحور الثالث الذى اعتمد على دراسة الهيئة الطبيعية . يبدو ان الانسان عمر هذه المناطق فى الألف السابعة أو السادسة الماضية معتمداً على الصيد ، وجمع النبات . فهو شبيه بانسان الخرطوم الميزوليثى بفخاره ذى الخطوط المموجة المعروفة وآلاته الحجرية . وفى الألف الرابعة ، ظهرت تطورات عديدة فى الفخا ر ، مطابقة لفخار الشاهناب ، وخرطوم العصر الحجرى الحديث ، مع وجود اختلافات محلية ، مثل طريقة فخار « لقية أربعين ، المخصوص مع ذلك فإن التشابه بل التطابق ،كان قويا بين فخار وادى النيل ، وشرق السودان ، ووادى الهور ، مما يشير الى وحدة الذوق والقيم الثقافية والاتصال المستمر والموسع ، الذى اتخذ اتجاه

شرقاً وغرباً ، بدلاً من شمال جنوب ، ومن التواريخ التى تم الحصول عليها ، فان هذا الوضع استمر خلال الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد ، حين بدأت تظهر مؤثرات لحضارات المجوعات النوبية الشهيرة كالمجموعة الحضارية الأولى (المجموعة (أ)). والمجموعة الثالثة (المجموعة ج)، وحضارة كرمة وهلم جرا .

وهنا يجب ان نشير الى التناقض المستمر ، والتغيير الكبير ، الذى طرأ على أماكن السكن ، كنتيجة طبيعية لنقص فرص العيش نسبة للجفاف الذى كان يتفاقم باستمرار ، حتى تلاشى نهائياً أى أثر للسكن منذ الألفى سنة الأخيرة وحتى الآن . وفى ختام هذا الاستعراض ، لابد ان نشير الى ان بقية دارفور وكل كردفان وكل الولايات الجنوبية ما تزال أرضاً غير مطروقة بعد .

هذه صورة مختصرة توضح ديناميكية الأبحاث فى هذه البلاد حيث الوصول الى المواقع الاثرية ما يزال صعباً . ولكن رويدا رويدا فان عناصر الصورة التاريخية سواء بسواء مع الصورة الجغرافية ، تتجمع وتتضح . وكما هو واضح من هذا العرض فان الابحاث المستقبلية ستتجه لابراز خصائص التطورات لدوائر ثقافية وعمليات تأقلم محلى .

الحضارات النوبية

المجموعة الأولى (المجموعة أ)

عند نهاية العصر الحجرى الحديث مر السودان ، وبلاد النوبة بحركة حضارية نشطة ، تمخض عنها مساق حضارى متميز أستأثرت حضارته بكثير من تقاليد الماضى ، وكانت فى صلات حميمة بما يجاورها . وخلال الألف الرابعة قبل الميلاد ، اتخذت لها شكلاً متناسقاً ، تمكن جورج اندرو رايزنر من تحديد صفاته ، وعرفها باسم المجموعة (أ) (المجموعة الاولى) وقصر دراسته على نتاج هذه الحضارة فى شمال النوبة السفلى جنوب الشلال الأول . نحو جنوب الشلال الثانى ، فقد أوردت الكشوفات الأخيرة وجود آثار لها جنوب الشلال الثالث وإمتدت حتى منطقة شندى والخرطوم وكذلك الصحراء الشرقية والأجزاء الغربية من محافظة حلايب (احمد محمد على الحاكم ٣٨) . وكانت مساكن هذه المجموعة فى شكل أكواخ كروية يبنى هيكلها من الأغصان ، أو البوص ، ثم يغطى بالحشائش ، أو الجلود أو السعف ، كما استغلوا كذلك الكهوف والملاجئ الجبلية - وكانت لهم أدوات والاتهم الحجرية ، وكذلك صنعوها من العظام ، وبدأت تظهر فى عصرهم صناعة المعادن خاصة البرونز والذهب .

وشملت حليهم ريش النعام والعقود وأسورة من الحجارة والعظام والأصداف وبيض النعام وصنعوا كذلك التمائم ، ومساحن للأصباغ لتلوين الجسم تشكل من الحجر باشكال متعددة ، وبدأوا أول الخطوات نحو فن النحت بوجود تماثيل صغيرة من الطين لها مدلولات جنائزيه . وكان الفخار من أبرز إبداعاتهم التى تعتبر آحد القمم الخزفيه فى وادى النيل كله ، ومن أشهر أنواعه الأحمر ذى الحافة السوداء . وقد قسمت حضارة المجموعة (أ) هذه الى ثلاث فترات ، المبكرة ثم الفترة المتوسطة وتنتهى هذه الحضارة بفترة كلاسكية حوالى عام ٢٨٠٠ - ٢٦٠٠ ق . م .

وكانت هذه المجموعة الحضارية فى علاقات وثيقة مع الحضارات المصرية فيما قبيل قيام الملك والحكم الأسرى الفرعونى الأول . فقد تم العثور على كثير من الأوانى والأوعية الفخارية المعروفة بمصر فى تلك الفترة غالباً ما كانت تحتوى على حبوب أو سوائل تجلب من خلال أحد طرق المعاملات مما يشير الى التبادل بين المنطقتين .

فوق ذلك فإن تأثيره الحضارى ربما كان أعمق من ذلك بكثير . فقد كشفت بعثة أمريكية عام ١٩٦٤م فى بلدة القسطل على الحدود المصرية السودانية على مقابر ضخمة لملوك من هذه المجموعة (أ) . هذا الأكتشاف يشير الى معلومات فى غاية الأهمية ويعطينا بعداً عميقاً للتطورات السياسية والإجتماعية التى اكتنفت بداية الحضارة بالسودان ومصر . فلأول مرة نعرف ان مجموعة (أ) (المجموعة الاولى) ولما يقارب من التسعة أجيال (بين ٣٥٠٠ - ٣١٠٠ ق . م .) كانت تتمتع بحكم موحد ، وبنظام له كل مقومات الدولة من تنظيم سياسى ولها وحدة حضارية واحدة هى المجموعة (أ) ، وشخصيات قيادية لها علامات ورموز تدل على السلطات الملكية . كما ولها نظام دينى وعقائدى وطريقة مبتكرة لتدوين أهم الأحداث والإنجازات . ولها مبانى وعمائر هامة تشير الى تقاليد للحكم والرئاسة وكل مقومات السلطة. والحكومة المركزية استطاعت ان توحد أجزاء ومجموعات متباعدة جغرافياً وحضارياً لهدف واحد مشترك . ففى هذه المنطقه نجد الأصول والجذور لفكره الملكيه والدوله والحكم التى شاعت فى مصر الفرعونية وفى النوبة والسودان ، وكانت أحد الإنجازات التراثية لوادى النيل وعلى هذا الإرث اعتمدت حضارة كرمة ومملكة كوش .

حضارة كرمة والمجموعة (ج):

ظهرت حضارة كرمة حوالى ٢٥٠٠-٢٤٠٠ ق. م فى المنطقة الممتدة من عكاشة وحتى نبته ، وكانت نشأتها تطور طبيعى من حضارة ما قبل كرمة . من جانب آخر ، قامت مملكة منفصلة بالنوبة السفلى وحضارتها - المجموعة ج - والتى نشأت على أنقاض المجموعة أشكل رقم (١،٦)وتشير المصادر المصرية من الدولة القديمة الى نشوء علاقات وثيقة متعددة مع بلاد يام وملكها وعاصمتها كرمة ، وكانت سوقاً تجارية رائجة وقوة عسكرية . وعاصرت فترة كرمة الوسيطة قيام الدولة الوسطى بمصر ، والتى تبنت سياسة



شكل رقم (٦،أ)

خارطة لمنطقة النوبة السفلي وموقع كرمة

نشطة مرتكزة على قوة عسكرية ضخمة احتلت بموجبها منطقة النوبة السفلى ومملكة المجموعة ج . وحصنتها بقلاع دفاعية ضخمة لصد هجمات الكوشيين . واقاموا حول مدنهم استحكامات منيعة ، وكلها تعرضت للتخريب والهدم كثيراً. وابان الفترة الكلاسكية لكرمة بلغت الحضارة قمتها وتوسع حكامها على حساب المصريين وسكان حضارة المجموعة ج . واحتل جنود كوش قلاع الفراعنة ، ودخل ملوك كرمة فى تحالفات مع ملوك الهكسوس حكام مصر السفلى ضد ملك مصر بالصعيد . وخلال فترة الإضمحلال الثانية بمصر والتى امتدت لقرنين من الزمان (١٧٥٠-١٥٠٠ ق .م) شهدت كرمة انجازات هامة كثيرة .

المملكة الحديثة :

مع بداية الأسرة الثامنه عشر ، توغلت الجيوش الفرعونية فى بلاد كوش ، وبلغت أيام تحتمس الأول الشلال الثالث ، وأحرقت عاصمة المملكة ، مع ذلك استمر السكان فى المقاومة وتكررت ثوراتهم ، بل ويبدو ان المنطقة جنوب كرمة لم يتم اخضاعها تماماً . على العموم فتاريخ النوبة الوسطى والعليا فى هذه الفترة ما يزال غامضاً وبحلول ١٠٠٠ ق.م نجد ان السكان يتمتعون باستقلال تام ، بل وكونوا الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية التى حكمت كوش موطنها الأصلى ثم مصر حتى عام ٦٥٣ ق .م .

العلاقات المصرية السودانية أيام دولة كرمة :

أن الأراضى التى كانت تضمها مملكة كرمة جذبت انتباه الفراعنة منذ فجر تاريخهم . فنحو الجنوب أقام الفراعنه اتصالاً مباشراً مع افريقيا السوداء وثبت الفراعنه حدودهم قرب الشلال الثاني . وكانت بلاد النوبة السفلى ، بصغر حجم سكانها ، وقلة مواردها ، أرضاً محايدة تقع بين مملكتين كبيرتين . وما فتئ المصريون يرسلون الحملات الحربية جنوباً حتى سمنه عند الشلال الثانى . رغم ذلك استمر التبادل التجارى قائماً تتولاه ادارات رسمية . فقد أمدت منطقة النيل الأوسط ، بما فيها مملكة «يام» زمن الدولة المصرية القديمة وبلاد كوش فى المملكة الوسطى ، مصر بالموارد اللازمة ، كما كانت هى ايضاً الوسيط التجارى بين بقية بلدان افريقيا السوداء وبلاد الحبشة ، حيث نمت معها علاقات اتصال

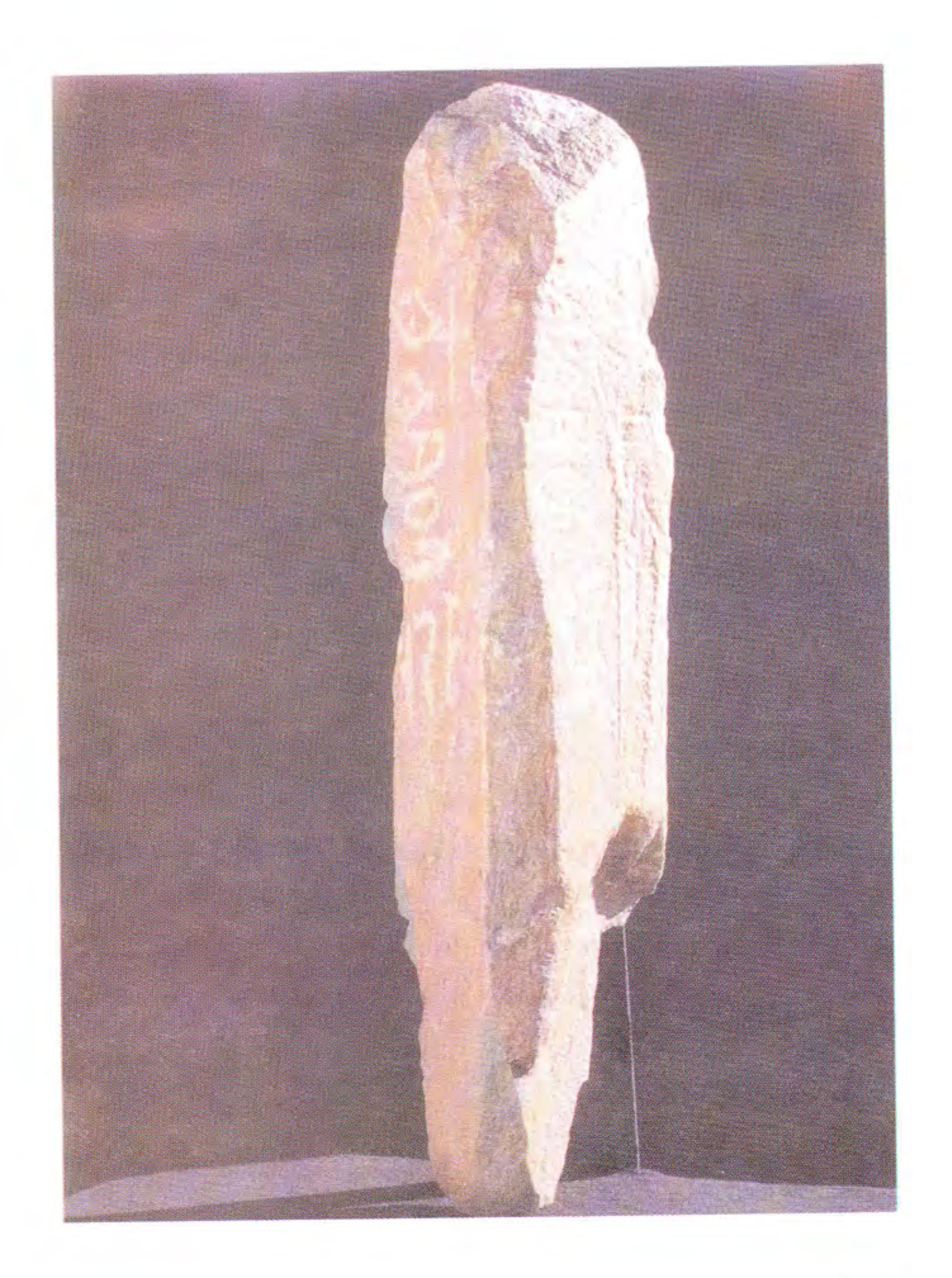
ظهرت فى شكل أشياء وجدت بمقابر كرمه القديمة . وانتقلت كذلك بعض الحرف والتقنيات ، وأنواع الفخار ذى الأزرار ، الذى تواتر وجوده فى منطقة الصحراء الغربية ، حتى وادى الهوار بشمال دارفور وكسلا ، مما يشير الى علاقات واسعة ، حيث استفادت كرمة من وضعها الجغرافى كملتقى عدة طرق ، ووقوعها فى حوض زراعى خصب واسع ، مما مكن المدينة من التطور والثراء . وقد أفاض المصريون الفراعنة فى وصف المنتوجات التى كانوا يقصدونها بكرمة ، فى شكل نصوص مكتوبة ، و مدونات اولاً . ثم صوروها فى مناظر خارج بلاد كوش فيما بعد ، كماهو ظاهر لنا فى مناظر من قبر الأمير «حوى» والى بلاد كوش زمن توت عنخ آمون . وفى النصوص نجد من بين ما يسرد كل من اونى ، وحرخوف ، عن رحلاتهما فى بلاد النوبة ، إبان الأسرة السادسة المصرية ، قائمة بما كانا يقصدانه ، فذكرا الأخشاب ، وأنواع من الحجارة ، والعطور والأبنوس والحبوب ، والفهود والعاج وبيض وريش النعام .. بجانب حجر الديوريت الأسود ، والمعادن كالذهب والنحاس ، والحيوانات الحية مثل الماشية ، ثم الرجال خاصة للجندية والعمل . وقد ثبت لنا من نصوص وشواهد عديدة أخرى وجود سكان من الجنوب – من النوبة السفلى والعليا – بمصر سواء بمناطق الأهرامات أو خدمات الأمن والجندية . بل قامت مجمعات سكنية خاصة بالجبليين إبان فترة الإضمحلال الأولى بمصر العليا ، كما وجدت عدة مقابر دائرية بكرمة الكلاسكية باجزاء عديدة من مصر بلغت حتى منطقة الدلتا .

رغم شح المعلومات المتوفرة لنا عن الدولة القديمة بمصر ومملكة كرمة القديمة ، يبدو أن العلاقات بين المملكتين كانت فى نمو مضطرد . فامتدت سيطرة الفراعنة فى النوبة السفلى على بعض المستوطنات ، ومراكز الانتاج مثل محاجر الديوريت بتوشكى ، ومستوطنة بوهين لانتاج النحاس ، ومحمية كوبان لتجميع الذهب . ومن وجهة اخرى ، ارسل الفراعنة حملات حربية نحو الجنوب ، كتلك التى ذكرها الملك سنفرو كمؤسس الأسرة الرابعة الشهيرة ببناء الأهرامات ، والذى يزعم أنه ساق سبعة ألف أسيراً ، ومئتى ألف من الحيوانات ، وبتضعضع السلطة المركزية بمصر ، ازدهرت مقاطعات النوبة السفلى ، وجنحت الى الاستقلال والاتحاد والتحدي ، وشهدت المنطقة إعادة تعمير ورخاء

مادى . وقد أشارت الى ذلك رحلات حرخوف المكوكية فى بلاد النوبة ، وما ذكره غيره من الرحالة ، من أن بلاد النوبة السفلى اكتنفتها تطورات سياسية أخرجتها من نطاق السيطرة المصرية . مما حدا بحرخوف ليسلك دروب الصحراء للوصول الى « يام »و « كرمه » .

إن عظمة كرمة وخلود هذه الحضارة لا يقومان على ما خلفته من مخطوطات بل على آثارها ، فهى أحد القمم الحضارية الكبرى التى عرفها الإنسان خلال تاريخية الطويل فى الأردن ، وفلسطين ، أفغانستان . لم تقم على استعمال الكتابة والتوثيق . لقد غابت هذه الحقائق عن رواد حضارة كرمه الآوائل فعندما عثر جورج اندرو رايزنر الأمريكى على مخطوطات الأمير الفرعونى «حجفاي» حاكم أسيوط ، وزوجته «سننوى» . اعتقد ان هذا طاقم إدارى مصرى ، حكم المنطقة حتى الشلال الثالث ، حيث أقاموا بكرمة مستوطنة مصرية ادارية اعتمدت على الكتابة والتوثيق . ولكن الأن عرفنا أن هذه المخطوطات كانت ضمن غنائم استلبها الكوشيون عند امتداد سلطاتهم على قلاع الدولة الوسطى بالنوبة السفلى . بل من المؤكد نشوء علاقات مزدهرة بين مملكة كوش وعاصمتها كرمه ، وبين مصر وقلاعها فى النوبة السفلى ، ومراكزها التجارية خاصة فى مرجة وغيرها من قلاع الشلال الثانى ، إبان الدولة الوسطى .

فان قادت المخطوطات السابقة ، مع وضوحها النصى ومحتواها التاريخى ، علماء المصريات الى ارتكاب أخطاء فى الإستخلاص ، فان النصوص القليلة التى عثرت عليها بعثة جامعة جنيفا الآن تعرض إشكاليات من نوع مختلف حول العلاقات المصرية السودانية إبان الدولة القديمة . فبين الطبقات السكنية فى وسط المدينة ، قرب الدفوفة الغربية ، وبين أساسات أحد الغرف من فترة كرمة المتوسطة ، تم العثور على قطعة أثرية هامة لتاريخ الموقع كله ، وهى عبارة عن مسلة من الحجر الرملى ، سويت واجهاتها السداسية ، وحملت واجهتان منها سطراً طولياً واحداً من الخط الهيراطيقى لكل واجهة ، عبارة عن اسم ولقب « اي مري – ريس المركب » والسطر الآخر يحمل نفس الشئ وإن اختلف كتابة شكل (٦،ب) وهو لقب إدارى وإسم علم كان متداولاً فى الدولة القديمة . وعليه يمكننا ان نقول ان السطرين يحملان إسمى شخصين مصريين ، كانا ضمن بعثة تعدينية الى منطقة كرمة ، أقاما هذا النصب ، جريا وراء العادة المصرية باقامة المسلات ونصبها نذراً وتقرباً وزلفي لآلهه محلية ، اما فى محل سكناهما ، حيث عثرت عليه بعثة



شكل (٦، ب)

أحد النصب التذكارى وعليها كتابة ترجع إلى عصر الدولة المصرية القديمة .

جامعة چينفا ، أو داخل مقصورة خاصة بقرب الدفوفة . من جانب آخر ، فاننا لا نستبعد أيضاً أن بعض الشخصيات المحلية كانت لها معرفة ودراية بالخط الهيراطيقى المصرى ، وهو خط المرسلات الرسمية ، قامت بكتابة ونصب هذه المسلة . وقصص حياة حكام اليفنتين المصريين ، مثل أونى وحرخوف وبى - كنخت ، تشهد بوجود علاقات مع حكام النوبة وبلاد «يام» .

هنالك شاهد آخر عثرت عليه هذه البعثة . ففى قبر يؤرخ لفترة كرمة القديمة يحتوى على رجل وإمرأة ، وجدت مرآة كتب عليها بخط هيروغليفى واضح نص فحواه « السيدة الشريفة ، الابنة الملكية ، درة الملكة الفريدة صاحبة العصمة صنو أبيها ، سنت ايتس » (شكل (٦،ج) ، وبنفس القدر فان اسم هذه السيدة وطبيعة لقبها وطريقة الكتابة ، ورسم الحروف ترجع هذه المرأة الى فترة آواخر الدولة القديمة .

كما وان القبر ومحتواه يميلان الى جانب المعاصره مع المرآه ، الشئ الذى يؤكد الاصل المصرى للسيدة المعنية هنا . ونخلص من هاتين الوثيقتين ان بعض المصريين عاشوا بكرمة ، وما توا فيها ، ودفنوا بها كذلك .

عندما أعادت الدولة الوسطى احتلال النوبة ثبتت الحدود عند الشلال الثانى ، كما تشير إليه لوحة الحدود فى سمنه التى أقامها سنوسرت الثالث (١٨٧٨ - ١٨٤٠ ق . م) . حيث حرم على الكوشيين عبورها إلا من جاء يقايض بضاعته فى أقن (مرجسة) . وفرض الجيش المصرى سيطرته على النيل ، ودروب الصحراء ، يحمى التجارة وطرقها . وذلك من خلال نظام دفاعى محكم ، يقوم على سلسلة من القلاع الحصينة ، تديرها قيادة واحدة مركزية تشرف علي المنشاءات العسكرية ، والمستودعات والمخازن الضخمة ، التى كانت تملأ بالبضائع التجارية وحيث يقطن الحراس ، والموظفون نشأت مدن محمية، يأوى اليها التجار ، والبحارة ، وكل العمالة الفعلية اللازمة للشحن والتفريغ ، ولإنتاج المواد الغذائية الأساسية وسكانها من المصريين قاطبة . ولايسمح باقامة كوشيين او مجايو «بجه» ، حتى ولو ليوم واحد ، وفرضت حراسة مشددة وعزلة تامة ، فرسائل سمنه الشهيرة ، ترصد تحركات السكان المحليين - (النحسيو) فى الصحراء، وتقول أخرى أن المجايو قضوا ليلة واحدة بسمنه ، ثم أرسلو مرة آخرى فى نفس اليوم . وتقوم الإدارة المصرية



شكل (٦،ج)

مرآه عثر عليها في آحد المقابر بكرمة

باستضافة وتموين هؤلاء السكان .

مكتب الوزير كان فى اتصال دائم بواسطة مراسلين ، تشهد بذلك عشرات الآلاف من بصمات الأختام ، والتى ترجع الى الأسرة الثانية عشر ، والثالثة عشر ، عثر عليها فى النفايات والمبانى الإدارية للقلاع ، والتى كانت تختم بها صوامع الغلال والخطابات والطرود ، والصناديق المرسلة من العواصم لتموين السكان المصريين غالباً ، وربما أيضاً للتبادل والمقايضة التجارية مع الجنوب ،كما جاء فى عينات الأختام التى عثر عليها فى قلعة سمنه الجنوبية ، وقلعتى اورونارتى ومرجسه . وتلحق بها أختام شخصيات المسئولين عن هذه الخدمات .

إبان فترة كرمة الكلاسكية ، المعاصرة لفترة الإضمحلال الثانية بمصر ، كانت بلاد كوش مسيطرة على النوبة السفلى ، ولكن العلاقات التجارية والسياسية لم تنقطع مع الشمال ، سواء مع طيبة أو مع الهكسوس ، كما تدل عليه مسلة الملك كاموس – والتى وجدت بطيبة (الأقصر الحالية)– وكما أشارت الى وجود فخار كرمة بالدلتا ، وسيناء شمالاً . و فى عصر الدولة الحديثة (١٥٦٠ ق .م) احتل المصريون بلاد كوش . وكانت أحد أهدافهم السيطرة على مناطق الانتاج كمناجم الذهب ، وطرق التجارة مع أفريقيا السوداء – وكحل سياسى احتل المصريون فى النهاية كل بلاد النوبة وضموها الى ملكهم .

من جانب آخر ، كانت كرمة مركزاً انتاجياً كبيراً يقصده الفراعنة للتجارة ، فبجانب الغلال والماشية اثبتت الحفريات الجارية الآن وجود صناعات حرفية متطورة . فقد عثر على كميات من خام الصناعة مخزن بالقرب من الدفوفة الغربية ، يعمل فيها حرفيون محليون . ومن جانبهم أحضر المصريون معارفهم وتقنيتهم . ففى فترة الإضمحلال الثانية ، التى أعقبت نهاية الدولة الوسطى ، عملت بعض الأسر المصرية التى كانت تدير قلعة بوهين ، مع ملك كوش ، مثل أسرة سبك – ام حاب . وربما أثر المعمار المصرى على خارطة معابد كرمة . كما كان الفراعنة يرسلون البضائع النادرة الثمينة كالزيوت المعطرة ، داخل قوارير من حجر المرمر ، من الدولة القديمة ، وبعض الجواهر والحلى ، وانوع مختلفة من الأغذية داخل جرار . وكثرت التماثيل ، والمسلات المصرية من الدولة الوسطى ، وبعض الجعارين المنقوشة وعليها القاب أصحابها والتى غنمها الكوشيون كاسلاب من

المواقع المصرية بالنوبة والتى شملت المدن والقلاع ، وحتى مقابر الدولة الوسطى ببوهين ومرجسه ايام فترة كرمة الكلاسكية عندما بلغت كرمه اوجها .

الأختام وتصميماتها التى تم العثور عليها بكرمه ، ذات أنواع تختلف عن تلك التى تم العثور عليها بالمواقع المصرية وقلاع النوبة السفلى . فخلال حفرياته عام ١٩٢٣ عثر رايزانر على ١٠٤ خاتماً ، وعلى أكثر من الف بصمة خاتم (مقسمة على أكثر من ١١٩ نوعاً) بالقرب من الدفوفة الغربية (الكوم الأول والكوم الحادى عشر وأرخّها بالدولة الوسطى ١٩٧١ – ١٨٠٠ ق .م) تمت مراجعة هذا التاريخ بعد حفريات جامعة جنيڤا ، وما تبعها من مقارنات حيث أرخت كلها لفترة الإضمحلال الثانية (١٨٠٠ – ١٥٧٠ ق . م). وبعض الأختام تحمل أسماء ملوك تلك الفترة وأخرى تحمل القاباً ويمكن تفسير وجودها بكرمه على انها إما أسلابا غنمها الكوشيون أثناء إمتداد حكمهم على النوبة السفلى ، أو هدايا وتبادل – فوجود مسئولين ، أو موظفين مصريين ، بكرمة ، فى تلك الفترة بعيد الإحتمال .

عثر كذلك على جعارين مصنوعة من الفخار . صنعت محلياً وهى نادرة بمصر ، عثر رايزنر على مثال واحد فقط أثناء حفرياته بكرمه ، بينما عثرت جامعة جنيڤ فى حفرياتها الحالية على ثمانية عشر جعراناً ، وتعود كلها الى فترة كرمه الكلاسيكية . وهى تحمل أشكالاً هندسية تنقش عليها قبل الحرق ، ومنها على شكل الزهرة ، وبعضها بشكل المستطيلات أو الدوائر المتداخلة وهى شبيهة بأمثلة وجدها رايزنر قرب الدفوفة الغربية .

هناك ايضاً مجموعة من بصمات الأختام عثر عليها بكرمه ، إكتشف رايزنر بعضها بين ركام ونفايا الدفوفة الغربية (الكوم الثانى) . كما وجد حوالى ٢٥٠ بصمة قرب الدفوفة الشرقية طبعت بختم موظف مسئول ، لكنها لا تحمل أى لقب محدد . بعضها كانت لختم الطرود ، ولكن لا توجد بينها من كانت لختم أوراق البردى . فان كانت هذه الأختام تلعب نفس الدور الذى لعبته تلك التى وجدت بالقلاع المصرية بالنوبة السفلى ، كما شرحناه سابقاً ، فانها قد تشير الى وجود هرم إدارى بكرمه مماثل للنظام الإدارى المصرى بالنوبة السفلى ، وربما نقل اهل كرمه بعض وجوه إدارة القلاع المصرية بالنوبة الى بلاطهم ، وحيث كان بعض المصريين هناك كما أشرنا اليه .

مملكة نبته

ما نزال نجهل الكثير عن طبيعة الوضع السياسى للنوبة بعد انسحاب الدولة الحديثة المصرية . فلا يعرف من كان يتحكم فى البلاد الواقعة جنوبى الشلال الأول حتى مطلع القرن التاسع قبل الميلاد . فهناك من يدعو بعنخى اطلق عليه أبوه لقب (ابن الملك بكوش) حوالى عام ١٠٦٠ ق .م وباستثناء حكم نسخسنو ، عدة أجيال لاحقة ، فان هذا الأمير هو آخر من حمل هذا اللقب . فمن الواضح أن النوبة السفلى أخليت من سكانها على عهد (نائب الملك) بعنخى ، فلا الأدلة الأثرية ولا النصوص الخطية تثبت أى وجود حقيقى للمصرين فى النوبة العليا . وبنهاية القرن التاسع بدأت القوى المحلية فى البزوغ والتطور . فالحفريات التى أجراها جورج أندرو رايزنر كشفت عن مقابر ملوك وملكات الأسرة الكوشية . ومما تجدر الإشارة اليه أن علماء الآثار وقد بداوأ مؤخراً تفضيل استعمال لفظ كوش تحسبا لأى خلط قد ينشأ عند استعمال لفظ مملكة أثيوبيا المعروفة عند الكتاب الكلاسيك .

وتنقسم مملكة كوش الى فترتين : الفترة النبيتة والفترة المروية ، حسب الموقع الجغرافى لكل من عاصمتيهما . ولا نعرف على وجه التحديد الأسباب الكامنة وراء ذلك التحويل ولا الظروف المحيطة به ، بل وإن تاريخ هذا الإنتقال ما يزال موضع خلاف ونقاش بين الكثيرين . ومهما يكن من أمر فيبدو أن النشاط الملكى (المتمثل فى القصور والمعابد والمقابر) قد تمركز جنوباً فى (جزيرة مروى) بحلول القرن الرابع قبل الميلاد .

تعرف الفترة النبيتة عادة من خلال الحفريات التى أجريت فى المقابر الملكية بالكرو إن أعظم إنجازات رايزنر يتمثل في إيجاد لسلسلة الملوك النبتيين والمرويين . ويظهر إسم نبتة بين المخطوطات المصرية من عهد الأسرة الثامنة عشر (امرى ١٩٦٥ ، ١٩٧٠ ق .م). ولا ندرى إن كان الإسم يعنى مدينة بعينها او انه يطلق على منطقة واسعة . ويطلق الآن هذا الإسم على كل المنطقة التى تجاور الشلال الرابع خاصة المنطقة التى تقع فيها المواقع

النبيتة الأربعة : جـبل البركل ، الكرو ، صنم أبو دوم ثم نورى .

ويبدو أن مملكة نبته كانت تنقسم سياسياً الى فترتين الأولى تعرف بالأسرة الخامسة والعشرين . والتى تشمل الفترة التى حكم فيها الملوك النبتيون صعيد مصر . وتبدأ هذه بعهد الملك كاشتا (٨٠٦ – ٧٥١ ق . م) والذى وضعه رايزنر فى الجيل الخامس ، من الأسرة الكوشية ، والذى بدأ فيه الحكم النوبى على مصر حتى انسحاب تانوت أمانى حوالى عام ٦٥٣ ق . م نهائياً من مصر . وتبتدئ الفترة الثانية بفقدان مصر اثر الغزو الآشورى إبان حكم تانوت اماني (٦٦٤ – ٦٥٣ ق . م) حتى عهد نستاسن (٣٣٥– ٣١٠ ق . م) ، آخر ملوك كوش المدفونين بنبته (نورى) .

وتشمل أهم المواقع من هذه الفترة على مقبرتى الكرو ونورى الملكيتين ومعابد ومبانى إدارية بجبل البركل ، ومعبد ومدينة وجبانة فى صنم ، ثم معابد ومبانى سكنية بالكوة . ومنها أيضاً بعض المبانى بأرقو وصدنقة . ومثلت عباد آمون رمز الوحدة الروحية للدولة الكوشية . وتمتد السلطة السياسية للملك شمالاً حتى مصر ابان الأسرة الخامسة والعشرين أما جنوباً فان التأثير الحضارى لنبته إمتد حتى مشارف الكوة على النيل الأبيض وبعض المواقع على النيل الأزرق .

وتاريخ نبته كما نعرفه من خلال حفريات جورج اندرو رايزنر وغيره من الأثريين ، يتمثل فى تعاقب حكام المملكة . وعليه فاننا لا نعرف شيئاً عن التاريخ الثقافى لهذه الفترة ولم تجر بعد حفريات بمدينتى صنم والكوه وعليه فلا يوجد لدينا أى مبنى سكنى من تلك الفترة تمت دارسته تفصيلياً . وقامت بعثة جامعة جنيڤا بالسودان خلال مواسمها الأخيرة (١٩٨٢– ١٩٨٩م) بحفر أحد المراكز الحضرية النبتية ، ويقع هذا الموقع الجديد الآن وسط مدينة كرمة البلد الحالية ، حوالى ٧٠٠ متراً غرب الدفوفة الغربية كما تدل عليه بقايا قطع الفخار النبتى وبعض الفترات المتأخرة ، وبقايا الجدران المشيدة من الطوب الأخضر والتى تظهر وسط المنازل الحالية . وقد تأثرت هذه الاثار من جراء حركة البناء خلال العصر الحالى ، مثلما تأثرت أيضاً بواسطة الإنسان والحيوان وسير السيارات عليها(شكل رقم٧) .



شكل رقم (٧) — موقع سكني يعود لفترة حضارة نبتة

اتجهت الحفريات للكشف عن بقايا مبنيين سكنيين وأحد أفران حرق الفخار من العصر النبتى . ففى القطاع الأول قام الكاتب بالحفريات شكلت جدران الطوب البنى أربعة مبانى مبنى وسط المدينة الحالية . ويبدو أن المبنى تمت فيه أربعة تعديلات أو اعادة بناء على الاقل فى نفس المواقع . وقد احتفظ المبنى بخارطته المربعة وربما طبيعة استعماله طيلة فترة سكناه وأثناء الفترة الأخيرة من سكنة أضيفت له طابق آخر وكانت المزلقانات والسلالم والأبواب الصغيرة تسهل الحركة بين أجزائه المختلفة . وتقع المطابخ على الجهة الجنوبية وتقود نحو الغرب ، كما زرعت أشجار على الجهة الشمالية من المنزل . ويقع المبنى الثانى على بعد ٨٠ متراً نحو الشمال الشرقى وحالته سيئة حتى انه لم نستطيع التعرف إلا على الركن الشمالى الشرقى له . وتشير طريقة التشييد فى المناطق التى احتفظت باجزاء منها وما تضمنته من أشياء أثرية أخرى وجدت معه الى ان هذا المنزل من نفس الطراز الأول الذى يقع جنوبه(شكل رقم ٩،٨) . وخلال الحفريات النهائية (١٩٨٨ -١٩٨٩) أمكن حفر فرن للفخار وجد وسط مدينة كرمه البلد الحالية يرجع الي الفترة النبتية ، يتكون من الفرن نفسه وتوابعه المكونة من مسكن صغير من الطوب اللبن حيث استبدل فى وقت لا حق بكوخين مستديرين من الخشب ومكان لتحضير الطين للعمل .

ان الدراسات التى تتناول علاقة مملكة النوبة مابين الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد ومملكة كوش من القرن التاسع الميلادى الى القرن الرابع الميلادى ، تكتسب مكانة أساسية فى الأبحاث التى تتناول أصول الدولة النبتية . فالمدينة التى بدأنا الكشف عنها بكرمة ترينا كيف أن العاصمة القديمة للنوبة كانت هامة للغاية فى العصر النبتى أيضاً .



شكل رقم (٨)
وعاءين من فترة نبتة



شكل رقم (٩)
عقد من الذهب والخرز من فترة حضارة نبتة .

إمبراطورية مروى

إن التقسيم التقليدى للحضارة ، الى نبتية ومرويه لا يقوم على تحول دفن الملوك من نبتة الى مروى فقط . فالتاريخ الطويل الذى إستمر لمدة سبعة قرون ، والامتداد الجغرافى لمدى ألف ومئتين كيلو متر من النيل كانا عنصران هامان فى تحولات أساسية . فقد تحولت مراكز الإمبراطورية من نبته مابين الشلالين الثالث والرابع ، إلى المنطقة المروية ما بين الشلالين الخامس والسادس . وكان تأثير البيئة كبيراً فى الشمال حيث فرض الطقس الجاف ، والأرض الصحراوية إقتصاداً زراعياً يعتمد على النيل ، أما فى الجنوب فالأمطار الغزيرة الصيفية ، والنباتات الصحراوية تفرضان إقتصاداً يتجة نحو تربية الحيوان . ونسبة لوقوع العاصمة المروية بالجنوب غلب عنصر السكان الرعوى وتقف ملايين الأكوام الترابية المنتشرة خلال وادى النيل شاهدة على الأهمية التاريخية لهذا العنصر الرعوى فى هذه الحضارة التى استطاعت ان تشيد تقاليد البحر الأبيض المتوسط الحضارية على قاعدة افريقية خالصة .

وتقوم وحدة هذه الامبراطورية وتماسكها على نظام ومفاهيم سلطاوية تتجسد فى عدة مبانى ضخمة أثرية ، منها الأهرامات التى شيدت بكل من جبل البركل ومروى كمقابر للملوك وعلية القوم من الجنسين . ويلحق بكل هرم مقصورة تزان جدرانها بروسومات ومخطوطات تحمل فى طياتها تفاصيل طقوس جنائزية . وتفسر لنا هذه الطقوس المكانة المتفردة التى يتمتع بها الملك ، حيث يتم بواسطتها تأليه المتوفى باتحاده فى أزايريس (إله المتوفى) وتحميه اجنحة إيزيس (ربة المتوفى) (شكل رقم ١٠) مكوناً حلقة الوصل الأساسية بين العالم القدسى والإنسانى التى تقوم عليه حركة المجتمع التوافقية فى المجال الدينى والسياسى والعسكرى وحتى الإقتصادى .

وتمثل القصور جانباً آخر من هذه المفاهيم الملكية . فشيدت هذه المبانى الهندسية الضخمة المربعة الشكل من الطوب الأحمر فى عديد من المدن ، مما يشير الى أن المقر



شكل رقم (١٠)

حلية لتمثال مجنح تمثل علامة النصر .

الرسمى للملك لم يقتصر على العاصمة فقط . ونشأت داخل هذه المبانى أنشطة إقتصادية ، ودينية ، وسياسية مرتبطة بنظام ملكية مقدسة ولا تزال مبانى المصورات الصفرة تقف شاهدة على عجزنا لفهم هذه المبانى .وقيل انها مكان حجيج ، أو قصر وقيل انها مركز مقدس ومزار يتكون من ثلاثة معابد . هذا قد يفسر لنا وجود المئات من الرسومات الحيوانية منحوتة على سطح الأسوار الحجرية . بعضها يمثل طقوس الخلق ، وتجديد حكم الملك ، وتعضيد قواه الملكية كما يظهر من مناظر الصيد الملكية .

وتشير معابد النقعة ومروى ، والتى احتفظت بكثير من خصائصها الى آلهة كبرى فتشتمل الرسومات أشكال آلهه مصرية الأصل ، مثل أمون وأوزريس وغيرها ، والهة إبتدعها المرويون مثل الآسد / أبيدمك . ويقف خلف هذا النصر الدينى أهداف سياسية تتجلى فى تقديس الأسرة الملكية ، والتى مرت بعدة تطورات خلال القرون الكثيرة ، ويبدو لنا « معبد الشمس » وكأنه مكان تخليد النصر، حيث يستمد الملك قوته الحربية من تأدية ماعليه من الطقوس المقررة ، التى تضمن له تجديد الانتصار واستمرارية سيطرة مروى على أعدائها .

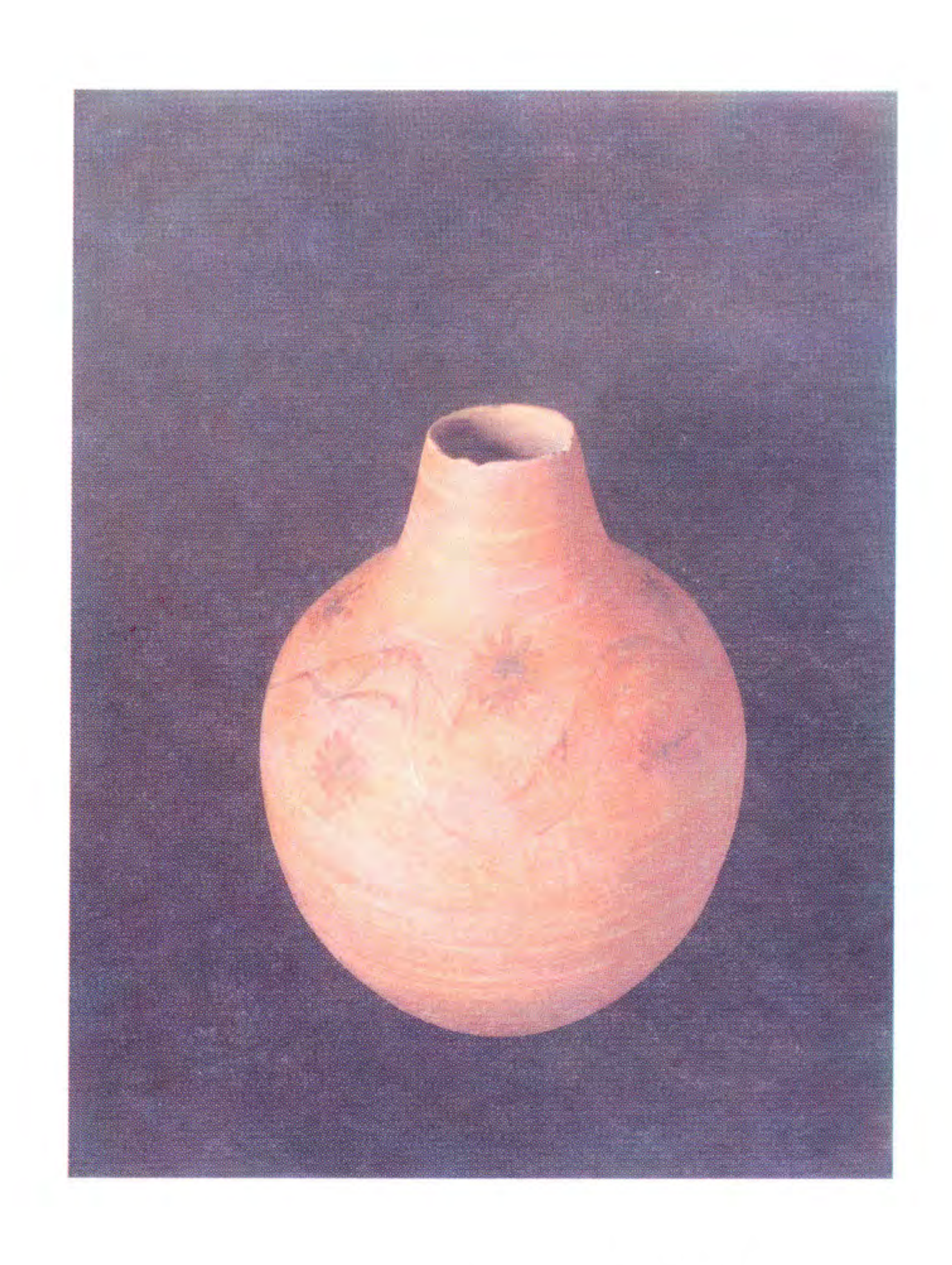
ولايزال حقل الآثار المروية فى بداياته، ومعارفنا لا تتعدى بعض المدن وقليل من القرى . والأمل معقود على اكتشافات فى المستقبل . خاصة فى الجزء الجنوبى من المملكة المروية . والمعلومات المتوفرة لنا ضئيله عن الأنشطة الاقتصادية والتجارية والحرفية والاعمال اليدوية الأخرى . وأطراف العاصمة محاطة بالعديد من تلال النفايات وبقايا النشاط الصناعى . ولا نعرف ان كان ذلك يشير الى مكانه مروى كمركز لانتشار تكنولوجيا صناعة الحديد فى أفريقيا ، أم أن ذلك كان نتاج لنشاط المصانع الملكية لانتاج أسلحة الجيوش الملكية . وشيد المرويون العديد من الحفائر وهى حواجز ترابية دائرية ، قد يبلغ قطرها ٢٥٠ مترا ، لتخزين مياه الأمطار الصيفية . وهى تتطلب قدراً من التنظيم والقدرة على حشد أيدى عاملة بأعداد كبيرة لتشييدها أولاً ، ومن ثم لصيانتها وتشغيلها لاحقاً . ولا نزال نحتاج الى مجهود أوفر من البحث والتقصى لمعرفة ان كانت هذه الحفائر استعملت فى رى زراعى او لسقاية حيوانات الرعى والقيام ببعض الطقوس المتصلة

بجلوس العرش الملكى وتمثل لذلك بموقع المصورات الصفرة .

ونستخلص معلوماتنا الهامة من المقابر لغناها وكثرة ما بها من أشياء ثمينة (شكل رقم ١١) عكست لنا الإنسجام والتجانس الحضارى المنتشر خلال الإمبراطورية كلها . ففى المقام الأول نجد أنه بداية بالقرن الأول الميلادى حوت المقابر مادة وفيرة تحتوى على الأدوات المعتادة لاجراء ، طقوس الموتى : مثل تقديم الطعام الجماعى الطقسى (شكل رقم ١٢) وموائد سكب القرابين ، ثم الأضاحى المقدمة لآلهة الموتى التى تنتمى الى الربة إيزيس ، وبعض الأسلحة ، وما يدل على المكانة الإجتماعية لصاحب القبر . ومع مرور الوقت إنتشرت بعض الطقوس التى كانت محصورة عند الملوك بين بعض الطبقات الصفوية . وقد تزامنت هذه مع تطورات كبرى شملت العالم الرومانى . عندما تمت عبادة إيزيس فى العالم القديم ، وإشتهرت كهانة إيزيس الاثيوبية التخصصية فى الأدب والكتابات التى إزدهرت خلال سواحل البحر الأبيض المتوسط (العالم الرومانى) . وقد برزت معارضة ومنافسة لها شديدة استمرت قرابة القرنين من الزمان قبل ان تبدأ حركة التنصير وانتشار المسيحية بالسودان . وكان هذا الجو الفكرى مقدمة هيأت الجو لغرز عبادة التوحيد ، التى بدأت بالمسيحية أولاً ، ثم تلاها الإسلام لا حقاً . ولايضع علماء الآثار نهاية الحضارة المروية فى القرن الرابع الميلادى ، أثر اختفاء الإهرامات فى ذلك الوقت ، فقيام هجرات جماعية من عناصر أفريقية من أعالى النيل وتداخلها مع السكان الأصليين أدى الى القضاء على الامبراوطورية وبعد انتهاء حملة اليونسكو لإ نقاذ الآثار النوبية ، ظهر رأى آخر يعزز سقوط مروى الى تغيير فجائى وسريع فى مفاهيم الملكية المروية . ففى القرن الرابع والخامس الميلاديين شيدت الأكوام الترابية الضخمة كمقابر للملوك والأمراء فى البلانة فى شمال المملكة . وخلال السنوات العشرة الماضية ، كشفت الحفريات الأثرية وجود مقابر شبيهة فى مناطق السروراب ، شمال أم درمان ، وفى الهوبجى جنوب شندى ، وكلها تقع فى الجزء الجنوبى للإمبراوطورية (شكل رقم ١٣). ويبدو أن الايدلوجية المروية والتى كونت أساس لأمبراطورية مرت بتحولات وتطورات رئيسية كتلك التى عرفها العالم فى البحر الأبيض المتوسط فى ذلك التاريخ . ومن المؤكد ان ذلك كان هو السبب الذى أدى إلى إختفاء الوحدة فى أعالى النيل حيث قامت بدلاً عنها ، بعد قرنين من الزمان ثلاثة ممالك مسيحية ، استمرت لمدى آلف عام من تاريخ السودان .



شكل رقم (١١)
حلي من مقبرة بموقع تبو .



شكل (١٢)
جرة من الفخار تعود لعصر حضارة مروي



شكل رقم (١٤)

خارطة طبوغرافية توضح المواقع الاثرية بمنطقة كرمة

موقع فى الشمال ، قرب الشلال الثالث ، عند أشكان يبلغ قطره خمسين متراً وهو جنائزى. كما تمكن فريق الوحدة الفرنسية التابعة لهيئة الآثار من إنقاذ موقع آخر على بعد ٢٠ كيلو متراً جنوباً عند كدروكه تابع فترة ما قبل التاريخ المتأخر .

تمتد مدينة كرمة الحالية ثمانية كيلو مترات مع مجرى النيل الرئيسى . الطريق الحالى يشير الى اهمية هذا الموقع اليوم . وفى الجانب الجنوبى ، نحو البرقيق يوجد طريق آخر سالك يسير نحو الدفوفة الغربية التى تتوسط مدينة كرمه القديمة ، حيث يشاهد المرء بقايا مبانى ضخمة من الطوب ساوتها مع الارض عوامل التعرية والرمال وحفر الأرض بواسطة الأهالى للسماد ، وقد تناثرت الآثار من طوب وحجارة ورمال ، بجانب اكوام ترابية نتجت عن حفريات رايزنر . وقد يظهر أحياناً بقايا جدار من جراء جرف الرياح للرمال المغطية له لالآف السنين . وعلى بعد ٨٠٠ متر نحو الجنوب توجد منطقة اثرية ثانية عرفت باسم « اليدغاس » (البودقة أو دوكى قيل) مكونه من كومة أوساخ تعلو خمسة امتار ، بها كثير من شقق قوالب فخارية للخبيز . ويبدو انه كان مبنى دينياً يرجع فترة الامبراطورية الحديثة وحتى العهد المروى المتأخر(الأشكال ١٥، ١٦، ١٧) .

وبين هاتين المنطقتين ، وعلى مساحة عدة أمتار كثيرة ، تتناثر المقابر ، وفى الشمال الشرقى من الدفوفة حفر جورج رايزنر مقابر مروية . ونسبة لأهميتها الكبرى فقد أعادت البعثة السويسرية العمل فى هذه المنطقة ، حيث أوضحت أن غالبية المقابر تعود الى الفترة النبتية / المروية . وكما عثر كذلك على كثير من المتاع الجنائزى ، والذى يعود الى عهد الإمبراطورية المصرية الحديثة (١٥٠٠ – ١٠٨٠ ق . م) . من جانب آخر ، تغطى الضواحى الحالية مجموعات آثار غاية فى الأهمية . فقد أوضحت لنا حفريات انقاذية أجريناها فى بعض الأحياء السكنية الحالية ، وجود مبنى ضخم من الحجر يرجع الى نهايات عهد كرمه – والآن نعتقد أنه كان قبراً لشخصية ، قيادية ، حيث ظهرت معه آثار أخرى هامة . وعلى بعد خطوات من المبنى النبتى عثر على أماكن صناعة الفخار ، شيدت لاحقاً على بقايا وأطلال المدينة القديمة . وتوجد على بعد أربعة كيلو مترات نحو الصحراء مقبرة كرمة الرئيسية (٢٥٠٠ – ١٥٠٠ ق . م) ، والتى تبلغ عدة آلاف من الأكوام الدائرية ،



شكل رقم (١٥)
منظر عام لوادي نهر النيل في النوبة الوسطي



شكل رقم (١٦)
اساس مبني من عهد كرمة الكلاسيكية

بعضها بلغ أحجاماً ضخمة للغاية ، وبها الدفوفة الشرقية والتى كانت مقصورة جنائزية عامة للقبور الرئيسية . وقد عثر رايزنر وكذلك البعثة السويسرية على العديد من الآثار الهامة الأخرى . وفى وسط هذه المقبرة كشفت الحفريات عن وجود بقايا ضاحية قديمة للغاية (٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ ق .م) لا نعرف عنها الا النذر اليسير ، وليس هناك ما يستدل به نسبة لأن المادة التى ترجع الى مستوطن ما قبل كرمه غير متوفرة على السطح كما ان طبيعة تضاريس سطح الأرض قد تعدل كثيراً من جراء تشييد المقابر لاحقاً . وتنبع أهمية هذا المستوطن الذى يعود الى عصر ما قبيل التاريخ الى أنه شهد خطوات التكوين نحو الدولة المركزية . بالتأكيد فان هذه المواقع السابقة كونت لها عقائد وممارسات جنائزية موحدة . كما ثبت أيضاً وجود مركز إقتصادى يخدم التبادل السلعى المحلى والتى تنشأ من مناطق بعيدة .

وتؤكد المقابر التابعة لما قبل التاريخ انتسابها الى سكان محليين - ويعكس الفخار جانب آخر من الإستمرارية والذى مهما عكس من تنوع واختلاف فهو يكون خيطاً يسمح بتكوين سلسلة متصلة لفترات التطور للتقاليد القديمة . ولمتابعة هذا الجانب فلابد من القيام بحفريات موسعة كاملة ومتعددة .

كان هدف بعثة جامعة جنيفا هوالتعرف على العناصر التى أدت الى نشؤ مملكة كوش فى حوالى ٢٥٠٠ ق . م ، وتأثير النموذج المصرى على الوسط السودانى النوبى . وتكون المنطقة الممتدة ما بين الشلالين الثانى وحتى الرابع ، على امتداد حوالى ثمانمائة كيلو متر طولاً من وادى النيل نطاق مملكة كرمه الكلاسيكيه . فالمواقع القليلة التى اكتشفت شمالى كرمه تكون اماكن امتداد الامبراطورية على ما يجاورها ، وتتراوح هذه الحدود حسب السياسيات الخارجية للفراعنة . وبالمقابل فاننا فى جهل تام عن البلدان الواقعة نحو الحدود الجنوبية . والمسوحات التى تمت حتى الآن لم تقدم لنا شيئاً حاسماً بعد . وكذلك شرق حوضى كرمه ولتى ، فالدلائل تشير الى وجود تطورات حضارية متعددة منذ فترات ما قبل التاريخ ، وحتى نهاية الالف الثانية قبل الميلاد ، حيث تمتد القرى والفرقان بل وحتى المدن وما يتبعها من مقابر على مساحات شاسعة .

ومع بداية الدولة الحديثة بمصر ، فقدت أول دولة سودانية بالنوبة استقلالها ، فالى الشمال من كرمه نظمت البلاد بعد احتلالها وفرضت عليها جزية سنوية تدفع الى مصر . اما البلاد الجنوبية ، فكثرة الثورات والاضطرابات تشير الى أن تحكم الفراعنة لم يكن قوياً ومؤثراً دائماً ما بين الشلالين الثالث والرابع . مع ذلك شيد الفراعنة عدد من المعابد ، ومورست بها الشعائر الدينية ، وربما لم يتقبلها السكان المحليون الا جزئياً .

فقدت كرمه مكانتها كعاصمة ، وحلت مكانها مدينة نبته فى الجنوب ٢٠٠ كلم جنوب كرمه ، والتى صارت مدينة ملكية مع بدايات الألف الأول قبل الميلاد وبعد أربعة قرون أخرى تقوم مروى بدورها كمركز حضارى ، وتابعت التقاليد النوبية القديمة .

لقد استطاعت بعثة مؤسسة بلاكمير ومركز الدراسات الشرقية بحفرياتها لموقع تبو التى تقع جنوبى الشلال الثالث حوالى ٢٠ كيلو متر جنوب كرمه الحصول على وثائق هامة حول الفترات اللاحقة لسقوط حضارة كرمه من خلال عشرة حملات موسمية للحفر . فقد تخالطت أكوام الألف الثانية قبل الميلاد ، من جراء بناء مجموعة من المنازل الغير محصنة . ومبانى دينية تحمل اسماء خمسة من ملوك الدولة المصرية الحديثة . وقد استرجع المكان عظمته مرة أخرى عند مابنى تهارقو معبداً مهيباً (شكل رقم ١٨)، حيث كان به تمثالان ضخمان ، شيدا امام بوابته العظيمة عند الانتقال الى الفترات المروية . وقامت مقابر تابعة للأسرة الخامسة والعشرين (الكوشية / ٧٦٥ - ٦٦٣ ق . م) بالقرب من حرم المعبد ، وازيلت الاهرامات لتفسح المكان لتشييد مخابز للرغيف تابعة للطقوس والتعبد ولوحظ كذلك وجود عدة مقابر لا حقة ثم كنيسة بمقابرها الملحقة .

هكذا يصير حوض كرمه نقطة اساسية فى منظارها الاثرى لالتقاء عالم البحر الابيض المتوسط بعالم وسط افريقيا وبفضل الطقس فقد احتفظت كثير من الآثار بحالتها . ومن الأشياء المثيرة فى هذا الموقع ، والذى ما تزال الحفريات مستوفيه ما يوفره من فرص لدراسات تغطى عدة آلاف من السنين لجوانب متعددة من فن البناء والحضارة المادية ، والعقائد الدينية الجنائزية .



شكل رقم (١٧)

الدفوفة الغربية بكرمة



شكل رقم (١٨)

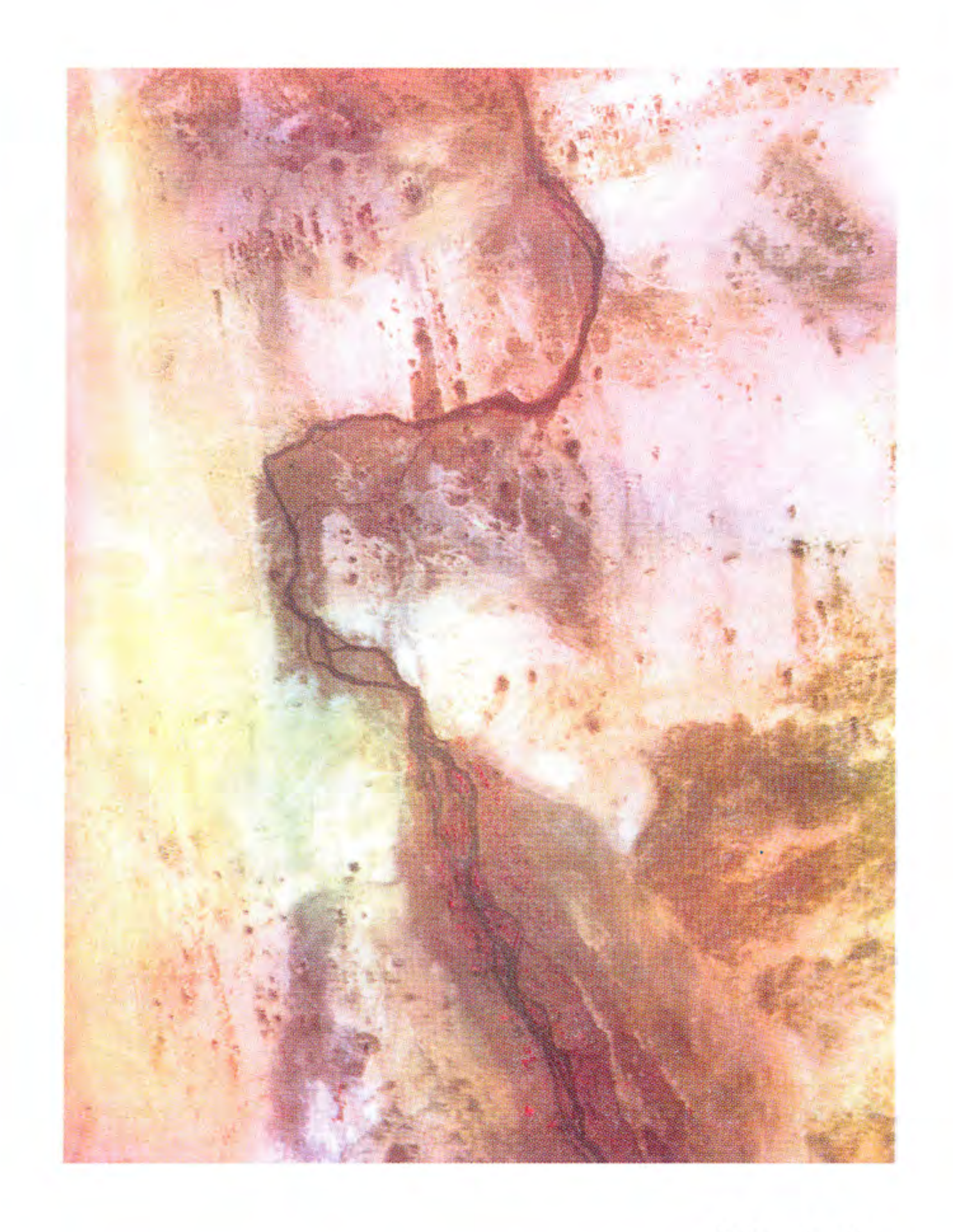
صورة جوية لمعبد تبو الكبير

البيئة الطبيعية بكرمه

١- الموارد الطبيعية :

يمتد طمى النيل بالقرب من موقع مدينة كرمة على مساحات واسعة على ضفتى النيل حيث يغطى صخوراً رملية قديمة من العصر الكريتاسى يعرف باسم الصخر الرملى النوبى . أما ما بين الشلالين الثالث (عند طمبس شمال كرمه) والثانى عند وادى حلفا يخترق النيل أرض جرانيتية قاعدية بنى عليها الفراعنة قلاعهم فى الدولة الوسطى . ولم تتغير طبيعة طمى النيل منذ بدايات حضارات كرمه وحتى الآن (شكل رقم ١٩). فهو مكون من رواسب ناعمة ، مفتتة أو متصلبة ، خفيفة الوزن (طينه صلصالية) ، غنية بمادة الحديد والمواد العضوية . صنع منها السكان طوب البناء ، كما كونت المادة الخام لصناعة السراميك ، حيث يشهد عليه الكميات الهائلة من الفخار المنزلى ، أو الجنائزى ، وهو انتاج محلى كما تثبته وفرة اماكن صناعة الفخار وصنعت أيضاً الأعداد الكبيرة من التماثيل الصغيرة . والتحاليل المختبرية اشارت الى أنه بينما يصنع الطوب من طمى النيل مباشرة ، فانه يضاف الى طين الفخار فتات نباتية تتفحم عند الحرق وقد تمكن الدارسون من تحديد نوعية النباتات وبذا توفر لدينا معلومات علمية دقيقة عن البيئة الطبيعية القديمة .

ويتوفر عند كرمه الحجر الرملى النوبى ، ويكثر فيه وجود الأكاسيد الحديدية كمادة لا تتداخل بين حطام الصخور الصلبة الأخرى مكونة الفضة ، حيث تلتحم عدة خواص فى كتلة واحدة . كما توافرت ايضاً مادة صخور الأشجار المتحجرة . وكانت هذه الانواع من الصخور مادة مناسبة للبناء ، سواء فى المدينة القديمة وملحقاتها أم فى المقابر . وصنعت أدوات عديدة كالمساحن والمطاحن والدقاقات والفؤوس ، ورؤوس الدبابيس ، والمكاشط وأدوات الصقل والأطباق و أدوات أخرى عديدة .



شكل رقم (١٩)
التضاريس الطبيعية لمنطقة كرمة

وتوجد صخور الجرانيت بكثرة في كرمه والمناطق المجاورة لها ولكن يندر استغلالها كمادة بناء ، بل صنعت منها أدوات صغيرة كالمساحن والمطاحن وتوجد قطعة طويلة علي شكل مسلح كان ضلعاً لباب مبنى هام . وعثر علي قطع متناثرة ربما كانت جزء من مبني اندثر .

يدخل حجر المرمر في هدة استعلامات زخرفية في البناء وأدوات الزينة ، وأنوعه كثيرة وألوانه متعددة . فهنالك امثلة لقواعد أعمدة خشبية سواء بالمدينة القديمة ، أو الدفوفة الشرقية ، وبقية الجبانة . ويوجد حجر المرمر كمادة خام بالقرب من الشلال الثالث ، وفي الصحراء الغربية ، غرب النيل من كرمه ، وفي هضبة جبل ابيض القريب .

وانحصر استعمال حجر البازلت علي المقابر ، تقوية وتدعيماً للاكوام الترابية بواسطة بناء حائط قصير ، ورصت الحجارة أحياناً لأشكال زخرفية على سطح الاكوام . فهو يتوفر في طمبس شمالي كرمه . وهنالك مجموعات أخري من الحجارة الكريمة ، بعضها أخضر ، ومنها العقيق الأحمر ، والالبستر المعرق ، صنعت منها أشياء متعددة كثيرة صغيرة ، ومنحوتات زخرفية ، مصدرها كلها محلي . وعثر سواء بالمدينة أو الجبانات ، علي أوعية تحتوى علي مواد تلوين حمراء وصفراء تخضب بها أرضيات وجدران بعض المباني والمساكن ، كما استعملت في المقابر كصبغة للجلود ، أو ملابس الميت ، ويندر استعمالها في تلوين الفخار . وتتوافر مواد التلوين والصبغه هذه بين صخور الحجر الرملى النوبي المتوفر محلياً بكرمه وبالنسبة للحجارة الكريمة فقد عثر علي العقيق الأحمر والبشت ، والجمشت ، والبلور الصخر ى ، ومانبت الأخضر ، صنعت في شكل الخرز ، والأسورة والعقود ، والتمائم اغلبها من مصادر محلية ، ومنها ما هو نتاج نشاط التبادل السلعى ، والتجارى مع شعوب أفريقية مجاورة .

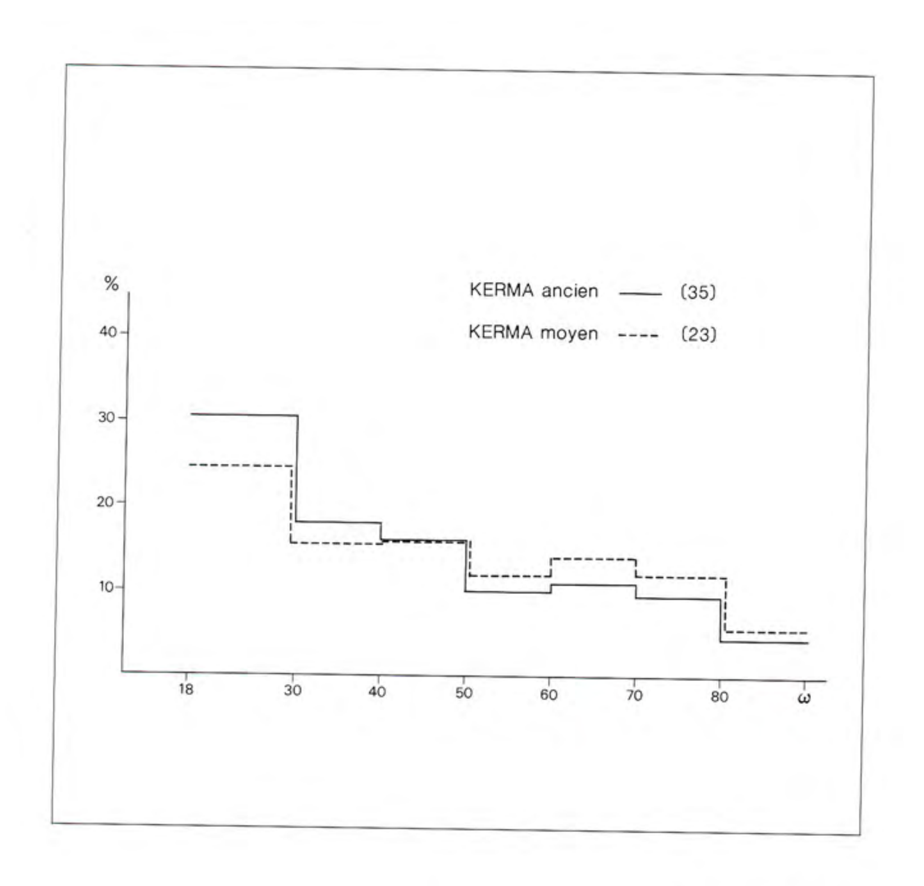
وفي الحقيقة يجب ان نشير الي مادة الجرافيت المتوفرة بين الصخور القاعدية غرب كرمه ، أما حجر الذيوليت فهو ياتي منجرفاً مع تيار النيل من الهضبة الأثيوبية في شكل حبيبات صغيرة الحجم يمكن حملها مع التيار .

سكان كرمه :

نعتمد فى دراستنا لمعرفة سكان كرمه على ما وجد من عظام الهياكل البشرية بمقابر كرمة ، وهى دراسة متخصصة فى علم الأجناس القديمة ، تقوم على دراسة تركيبة البنية السكانية ، والتى تشكل عدة متغيرات ، منها الجنس والأعمار ونسبة الوفاة أو معدل الحياة(شكل رقم ٢٠)، فتحديد الجنس يعتمد على دراسة الجمجمة ، فجمجمة الذكر تتصف بالصلابة وأماكن اتصال العضلات بالعظام بارزة . وعظام الحوض عند المرأة فى مناطق الحمل والولادة لها اشارات واضحة لتحديد الجنس ، بالاضافة الى مناطق أخرى فى بقية العظام . وبنفس القدر يمكن تحديد الأعمار من خلال سنون الرأس ، والأسنان . ودرجة التحام عظام المفاصل ، وبذلك يمكن إستخلاص نسب الاطفال والمراهقين والبالغين ، بجانب نسب الذكور والإناث . أما علم الأمراض القديمة فيعتمد على رصد الأنسجة الصلبة ، كالعظام ، والآسنان ، والأنسجة ، ويستعمل التحليل المجهرى ، والاشعاعى للتشخيص . وبذا يمكن دراسة أمراض الأفراد من ثم صحة المجموعة ككل . ودراسة حالة العظام (تافومى) تكمل بعد أمراض العظام ، تعطينا معلومات هامة عن البيئة ، والحالة العامة للعظام بعد الممات ، وهى اساسية فى دراسة الطقوس الجنائزية ، والتى يلعب فيها علم الأجناس الطبيعى دورا هاما . ووضع الهيكل العظمى لا يمكن تحديده الا من خلال معرفة جيدة بالتشريح الآدمى . ورصد أوضاع العظام ، تمدنا بدلالات كثيرة ، حول طبيعة النظام الجنائزي وتشكيل القبر . ويتناول علم التشكيل التغييرات فى شكل الهيكل العظمى للانسان ، بواسطة مقاييس ومعايير ونسب عددية ، تمكن الدارس من تحديد تطورات لشكل الشريحة الانسانية احيائياً ودراسة المقارنات بمثيلات لها .

واذا طابقنا هذه المعايير على سكان كرمه نجد الاتى :

من خلال الحفريات بالمقابر أمكن الحصول على ١٦١ هيكلاً عظمياً بشرياً ، اجريت عليها دراسة احصائية كانت نتيجتها ان ٣٤ ٪ من اجمالى العينة كانت من الأطفال و٥٨٪ من البالغين ، وكانت ٥٨٪ من الرجال و٤٢٪ من النساء . هذا اذا قدرنا ان سن البلوغ هى ١٨ سنة كما نعرفها نحن اليوم فى الدراسات السكانية ، وإن كان ذلك قد لا يطبق على



شكل رقم (٢٠)
رسم بياني يوضح نسبة عدد الوفيات في كرمة

السكان في الماضي . ومن جانب آخر اذا قارنا هذه النسب بنسب السكان في الفترات المتأخرة التأريخية نلاحظ أن نسبة البالغين كانت مرتفعة للغاية مقارنة بنسب الأطفال .

عينة سكانية من كرمه القديمة والوسطى

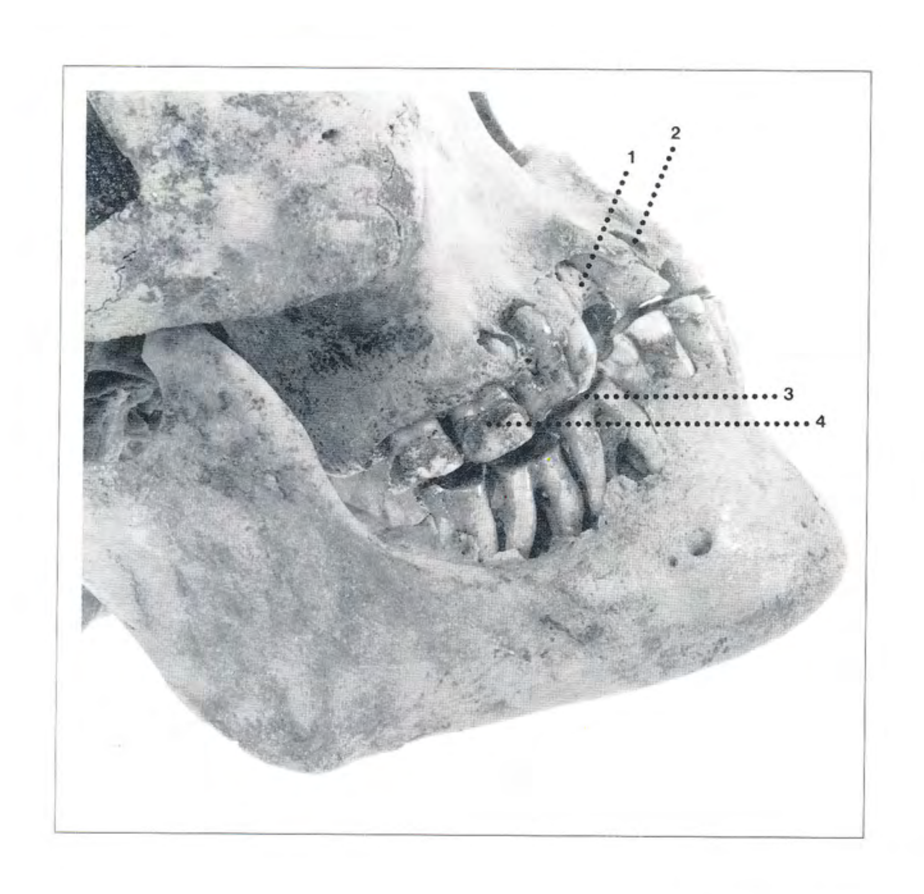
الأعمار	٠ - ٤	٥-٩	١٠-١٤	١٥-١٨	البالغون	المجموع
عدد الأشخاص	١٩	٩	١٣	١٥	١٠٥	١٦١

ربما كانت هذه النتيجة منطقية تتماشى مع عادة دفن الاتباع كقرابين آدمية مع الشخصيات القيادية ، حيث يغلب علي هؤلاء ان يختاروا دوماً من البالغين . ونشير هنا ايضاً الى انخفاض نسبة النساء الى الرجال وإن نسبة أعلى من الأطفال فى القطاع العمرى ١٠-١٤ ممن يمكن أن يكن نوجات منتجات جنسيا . ودراسة العينة عمرياً اشارت الي ان متوسط الأعمار تترواح ما بين (٢٢-٢٣) سنة وتندر الأعمار الكبيرة عند الذكور خاصة.

أمراض الاسنان :

أمدتنا دراسة الحالة الصحية لأسنان بعض افراد كرمة ، بمعارف أساسية هامة . فالضعف الشديد الذي رصد على ميناء الاسنان ، نتج عن اضطرابات أثناء التكوين وارتبط بمشاكل التغذية أو الأمراض ، مثل تسوس الأسنان ، والخراج ، وجذور الأسنان وفقدها . وقد قدرت حتى الآن دراسة مائة جمجمة من كرمه القديمة والوسطى ، حيث أشارت النتائج الأولية الي تدني نسبة تسوس الأسنان ، وزيادة كبيرة في وجود خراج الأسنان بجانب التكلس ، والتهاب اللثة . ويكثر تآكل الأسنان بجانب التكلس والتهابها بدرجة كبيرة ، مما يبرر وجود الخراج كعامل أساسي هنا . وتوجد امرأتان كانتا تعانيان من ألم المفاصل الذي أدي الي تشوه الفك الأسفل (شكل رقم ٢١).

كما رصد وجود فقدان القواطع الامامية ، سواء العلوية أو السفلي بواسطة الخلع المتعمد، ويبدو مما تقدم ان هؤلاء السكان اعتمدوا علي غذاء يفتقر فيه الي العناصر التى



شكل رقم (٢١)
منظر يوضح الجانب الايمن لفك أمرأة من عهد كرمة

تسبب تسوس الأسنان ، ويحتوى في نفس الوقت علي كميات من الرمال ويحتاج فيه الي مضغ شديد (شكل رقم ٢٣) .

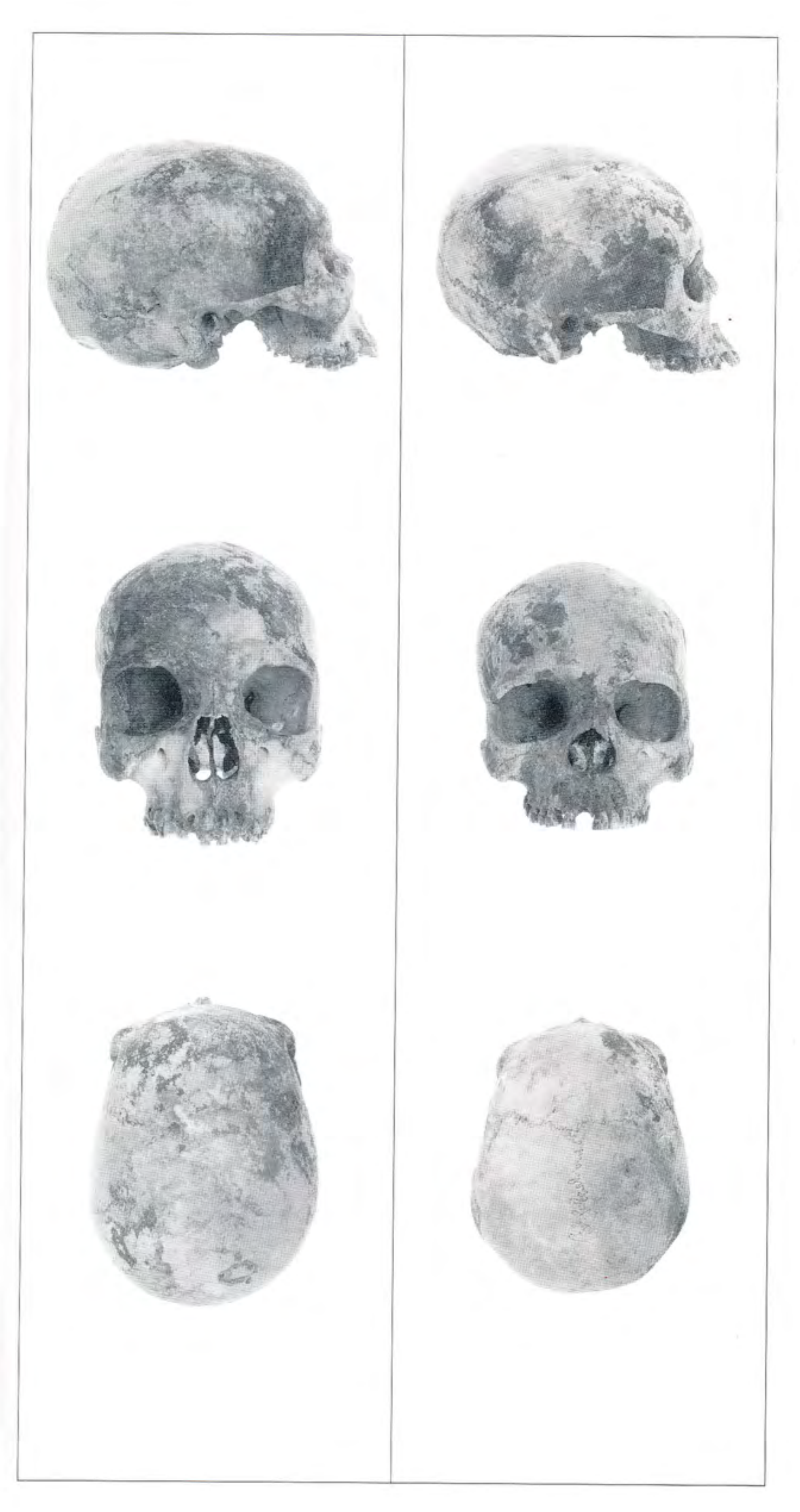
تفونومبي :

وجدت في بعض القبور جثث محنطة طبيعياً ، إحتفظت بكل خصائصها جافة بما فيها الخلايا الرخوه ، والجلد والشعر . ولكن على عكس عادة التحنيط التى مارسها الفراعنة بمصر . ولا يوجد بكرمه أي أثر لمادة العطرون - المادة الأساسية المصاحبة لعملية التحنيط - كما ولم تستأصل الأحشاء ، كما يفعل في المومياء المصرية . لقد اخذت بعض العنيات لعمل التحاليل المعملية المتطوره المتعدد كالكمياء الاحيائية ، وفيزياء احيايئة ، الامينية ، والعنصار الاولية الاخرى ، ثم بقايا الدهنيات ، وهرمونات الاسترويد . وقد اثبتت هذه الدراسات التفاوت الكبير في احتفاظ الانسجة لمكوناتها نتيجة لاختلاف في التكوين الكميائى ، ومكانيكية التحلل لكل نسيجة لوحدها . وجرت تحليلات عديدة لمحتويات الامعاء والمعدة ، لمعرفة نوعية الطعام لاهل كرمه . كما جرت اختبارات لوجود مادة الميلانين المادة الملونة للجلد والشعر والعظام ، او تتتبع المكونات الجينية .

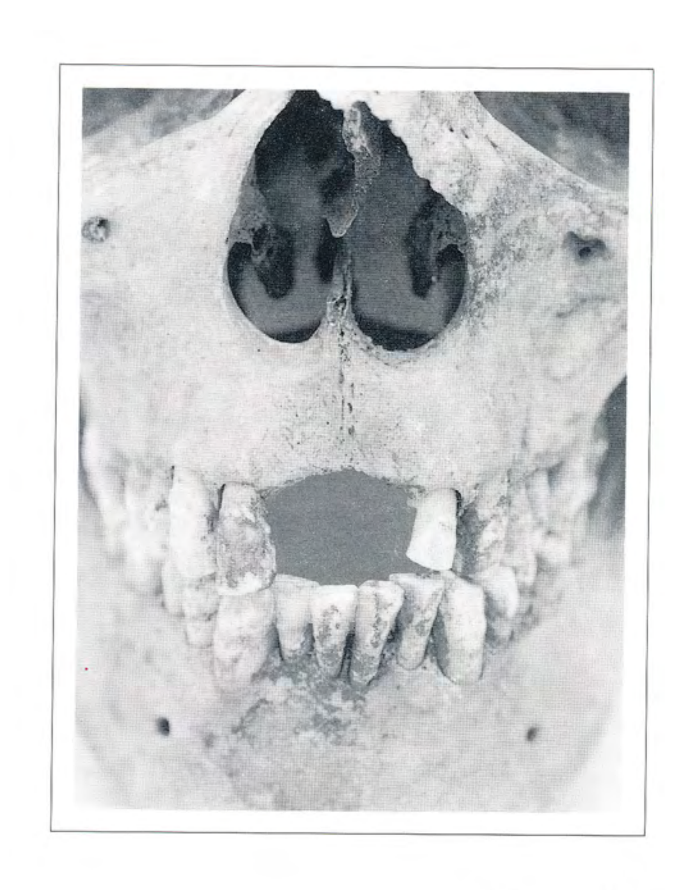
التحليل المورفولوجي :

وهي بحث في الشكل الخارجي ، وفي تركيب الأجزاء فيها . وقد تناولت الدراسات محاولة وصف الشكل الخلقي لثمانين شخصاً من سكان كرمه ، حيث أبانت الدراسات انه يغلب علي الرأس الاستطالة ، مع علو فيه ، وكانت وجوههم مستطيلة وأنوفهم واسعة ، وبروز الفك للامام واضح ، خاصة الفك الاعلي . واتصفت هذه الرؤوس أيضاً بالكبر والمتانة ، من وجود نتواءات واضحة ، علي اماكن اتصال العضلات بالعظم كان الشعر مجعد عامة مع وجود حالات لشعر سبيبى مموج يتدلى على الرقبة والجوانب . بنية الجسم قوية تميل الى الطول حيث يظهر متوسط طول الرجال ١٧٥ سم وفى النساء بلغ ١٦٥سم . الأطراف كانت طويلة وقوية ، لكن السواعد قصيرة مقارنة بالأرجل . وهذه المواصفات تتطابق مع مواصفات سكان النوبة المعاصرين لكرمة وقتها (شكل رقم ٢٢) .

ولابد أن نشير إلى وجود الإختلافات الكبيرة من وقت لآخر وتتصف العينة هذه بدرجة



شكل رقم (٢٢)
نماذج لبعض
الجماجم البشرية
تمثل انسان
حضارة كرمة .



شكل رقم (٢٣)
عادة خلع الاسنان العليا الامامية

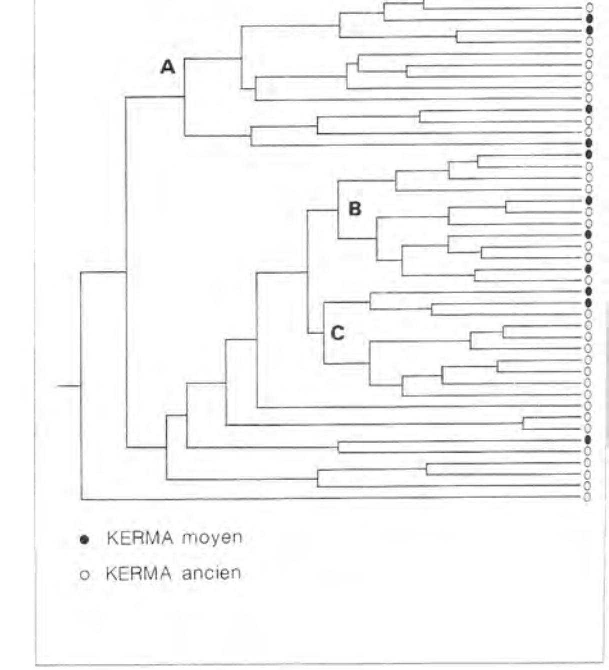
كبيرة من التباين الشكلى بين أفرادها .

لقد تمت دراسة المقارنات على مستويات متعددة . فقد تم إختيار ثمانية قيادات على الجمجمة ، والأوجه . و.. التباين والتشابه ، وأمكن تجميع مجموعات رئيسية أطلقت عليها الحروف الأبجدية (أ ، ب ، ج) تمت بعد مقارنة لجوانب أخرى على جماجم من كرمة الوسطى ، وكرمة الكلاسيكية وتجد المقارنات الداخلية للعينة وأخرى من كينيا ، والهدف كان عن مؤثرات خارجية سواء من الشمال (من مصر) أو من الجنوب وعندما وزعت هذه القياسات على المجموعات الثلاث من كرمة (شكل رقم ٢٤)

لقد تم بعد ستة حالات للخلع المتعمد للأسنان الأمامية – القواطع العليا أو السفلى أثناء فترة البلوغ . وهى عادة ممارسة اليوم بين كثير من القبائل الأفريقية عند بلوغ الفرد سن العاشره الى الثامنة عشر سنة ، تصاحبها عادة ضمور فى الفك ، وتمارسها كذلك بالسودان القبائل النيلية ، كما رصد – أقدم سكان لجبل مويا (جنوب الجزيرة قرب سنار) . وعليه فإن هذا المؤثر الثقافى الأفريقى يتواتر بكرمة بنسبة ٦٪ مما يشير الى العلاقة المتينة بين كرمة وجيرانها من الجنوب الشىء الذى أثبتته نتائج التحليل القياسى البيولوجى . (شكل رقم ٢٥)

الضحايا الآدمية

لم يكن تقديم الضحايا الآدمية مقصورا على كرمة (المترجم : كان سيدنا اسماعيل أول من قدم كضحية . وفداه ربه بكبش ثمين ، كما جاء فى كتب السيرة أن عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم قدم ابنه عبد الله ذبيحا وافتداه بمائة من الابل) وهى طقوس مورست فى شتى بلاد العالم فى مختلف الأزمنة الماضية . واشتهرت فترة كرمة الوسطى بممارسة هذا الطقس ، وحفرت البعثة السويسرية حوالى العشرين قبرا بها مثل هذه العادة وشملت القرابين بكرمة الرجال والنساء والأطفال . وبلغت نسبة القبور التى بها أطفال ٢٠٪ .. أحيانا عدة أطفال وتختلف أعمارهم ما بين حديثى الولادة والرضع الى أطفال تتراوح أعمارهم بين ٧–١٥ سنه . لقد تم رصد أوضاع هياكل الضحايا حيث أوضحت كثير من المعلومات الهامة . ففى القبر رقم ٩٥ لوحظ أن الجثة رقدت على شقها



شكل رقم (٢٤)

احـصـائيـة لمـجـمـوعـة سكان

من فـتـرات حـضـارة كـرمـة

القـديمـة والوسـيطة

axe 2 15%

KENYA
EGYPTE
KERMA ANCIEN
KERMA MOYEN
KERMA CLASSIQUE

شكل رقم (٢٥)

دراسة مقارنة لجماجم انسان كرمة وجيرانه من افريقيا

الأيمن ، ولكن انقلب القفص الصدرى الى الجانب الأيسر ، والرأس والعمود الفقرى تعرضا لضغط ، مما يشير الى أن الجثة تعرضت الى الزحزحة بعد وضعها لتفسح المكان لوضع الجثة الرئيسية .

فى حالات عديدة تعرضت بعض الهياكل البشرية لضغط فى مناطق قاع الرأس والرقبة ، والأنفصال أحيانا ، أما القبر رقم ١٥٤ وجد به هيكل أمرأة أسجيت على شقها الأيمن ، تماما مثل الجثة الرئيسية ومعها جثة ثانية لشاب عمره ٢٠-٢٥ سنة ، وضع منكفئا على بطنه ، وجهه لاصق للأرض ويداه تحت الصدر ، وتمت اختبارات عديدة لتوضيح ان كانت هذه الضحايا لمجموعات أثنية مغايرة . وأثبتت هذه الدراسة عدم وجود إختلافات جوهرية فى تطابق اثنية المجموعة ككل . تمت كذلك محاولة استكشاف ان كانت الضحايا والميت الرئيسى ينتمى اليها - ولكن الدراسات لم تستطع السير فى هذا الخط الدراسى كثيرا والنتائج المتحصلة حتى الآن كانت سالبة .

الحيوان بكرمة

أبانت الدراسات أهمية الحيوان في إقتصاديات حضارة كرمة ، كما كان له دورا مناسبا فى الطقوس الجنائزية والدينية . وخلال حفريات إمتدت قرابة الخمسة عشر سنة الماضية تكونت لدينا فكرة جيدة عن العلاقة التى قامت بين سكان مملكة كوش بكرمة ، والأنواع العديدة من الحيوانات الأليفة والبرية . فبجانب العظام وكسورها فقد استطاعت البعثة السويسرية الحصول على جثث كاملة محنطة تحنيطا طبيعيا تحمل أدق التفاصيل ، حتى الشعر أو الصوف ، ومحتويات المعدة ، والتى امدتنا بدورها عند تحليل محتوياتها ، بمعلومات وافرة عن البيئة النباتية التى تغذت عليها مثل هذه الحيوانات .

أشارت هذه الدرسات ان ٩٠٪ من العظام الحيوانية التى أمكن التعرف عليها ترجع الى حيوانات أليفة ، وان ٦٦٪ منها كانت للضأن والمعيز وان ٣٤٪ منها كانت للماشية ، وقليل من العظام يرجع الى الحمير والكلاب ، ويبدو ان هذه النسب تغيرت مع الزمن ، فتفقد الماشية اهميتها من كرمة القديمة الى كرمة الكلاسيكية ، وتتخذ النسب اضطرادا عكسيا للضأن والمعيز وتندر الحيوانات البرية ،حيث وجدت بعض عظامها مثل الزرافة وفرس

البحر والفيل والأسد والغزلان والكبش النوبى البرى ، وان كنا لا نستبعد إن بعضها قد أستجلب من خارج منطقة كرمة . وجدت كذلك عظام القردة الأفريقية الشهيرة كما وجدت عظام الطيور ، وان كانت النعامة ممثلة بريشها وبيضها فإننا لم نعثر على عظام لها ، وهناك الأوز النيلى ، والتمساح ، والسلاحف ، والأسماك .

الأبقار بكرمة :

تشكل الأبقار نسبة ٣٤٪ من حيوانات الحقل . فهى أكثر الأنواع تواجدا ، ولعبت دورا كبيرا فى إقتصاديات البلاد . وقد تم العثور على جماجم لها ، ثم أجزاء أرباع ثم بقايا الأكل . كما تم العثور على الجلود المحفوظة بشعرها . وهى ذات أجسام قوية تفوق ١,٥٠ مترا مابين الرقبة ومؤخر الظهر . كانت من ذوات القرون الطويلة . شديدة الشبه فى تشكيلها لأبقار النوير

الضأن والمعيز :

وهما يمثلان ٤٥٪ من الحيوانات ويغلب عليها الضأن . والخراف كانت من الأنواع العالية طول جسدها يزيد على ٨٠ سم ما بين الرقبة والظهر وأغلبها لها قرون ، منها ذات القرون الملفوفة والأخرى ذات القرون المستقيمة أفقيا مع الرأس . ومقارنة الأمثلة التى وجدت بكاملها فى المقابر تشير الى أنها أقرب الى الفصائل البرية منها الى الفصائل المستأنسة اليوم . ومنها الأسود و الأصفر والأبيض والمخلوط .

وبجانب أن لحومها كانت تؤكل ، فإن جلودها تمد الصناعة الجلدية بمادة ثرية للملابس . ولعبت الخراف الحية دورا هاما فى الحياة الدينية وقدمت كقرابين للأموات ، ووجدت المعيز بكميات ضئيلة للغاية . والفصائل التى أمكن التعرف عليها كانت من الفصائل الدقيقة القصيرة القامة . اشبه بما هو معروف الآن بالمنطقة – وألوانها منها الأبيض والأسود والأحمر وما هو خليط بين لونين .

الحمير :

وجدت بقاياها فى مبنى قديم لما قبل كرمة . والتقطت عظامها مفتتة بين أنقاض المدينة من المقابر ، ومعلوماتنا المتوفرة لا تمدنا بأكثر من أن نجزم بأنها كانت فصائل

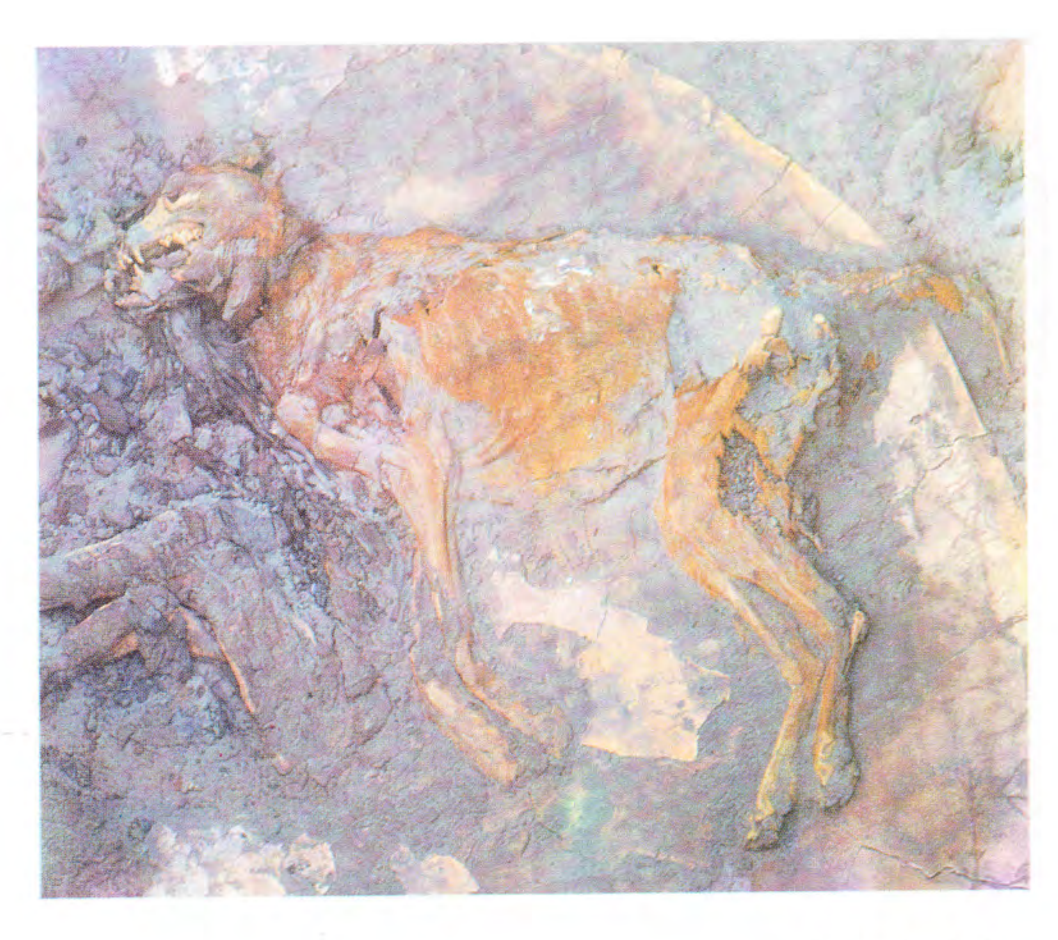
مستأنسة مما تجدر الإشارة اليه أنه فى نفس موقع كرمة توجد بعض الأدلة على أكل لحم الحمير وهى عادة وجدت كذلك فى مصر من موقع إلفنتين الذى ينتمى للدولة المصرية القديمة .

الكلاب :

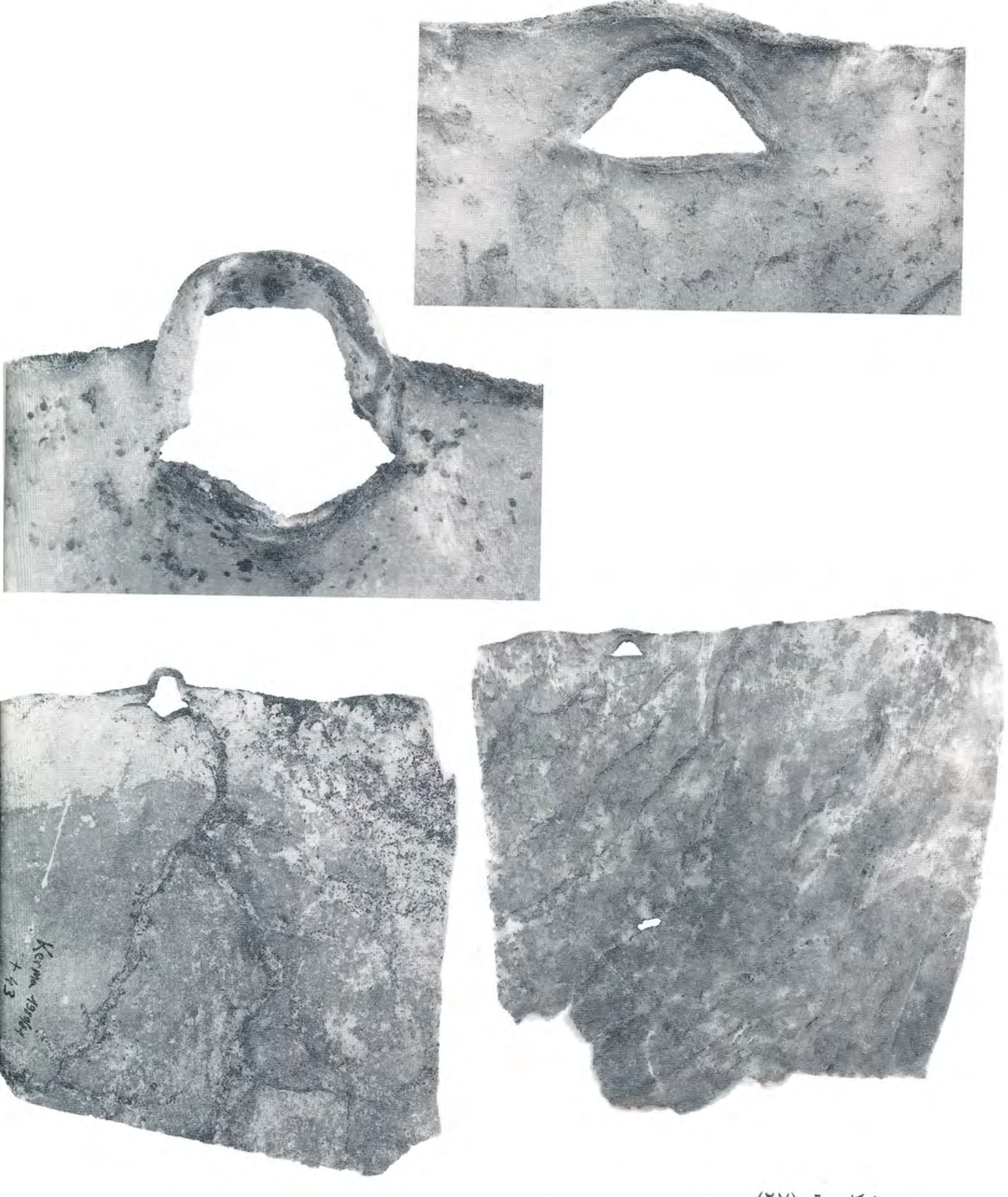
وجدت سبعة جثث لكلاب كاملة بالمقابر(شكل رقم ٢٦) ، كما عثر علي عظام صغيرة متفردة اثناء الحفريات . والانواع الغالبة هي نفس الكلاب المتوفرة اليوم بالمنطقة . واحد جثث الكلاب وجد مربوطاً من رقبته (مخنوقاً) .

الحيوانات والاموات :

بجانب دورها الإقتصادي والغذائى ، كانت لها أدوار ثقافية ودينية أخرى . ففي فترة كرمه القديمة (٢٥٠٠ - ٢٤٩٩ ق . م) . وفي واحد المرات عثر علي ميت كفن بجلد ثور مدبوغ . حافته تركت كشريط زخرفي من الشعر الاصلي ، وبه ثقوب حياكة من الواضح انه كان شيئا ما ، قبل ان يتحول الي كفن(شكل رقم ٢٧) . وكانت رؤوس الثيران وبها قرونها ترص لحماية الموتى (شكل رقم٢٨) . وبحلول كرمه الوسطى استبدلت الأبقار بالضأن والمعيز ، توضع جنوب وغرب جثة المتوفى كاملة ، اغلبها كانت من الذكور في عمر السنتين . وفي بعض الحالات يوضع الخروف داخل كيس من الجلد . وفي نهاية الفترة كثرت الرؤوس كبدائل عن الحيوانات الكاملة . وهذا ما ذاع وانتشر خلال الفترات اللاحقة كلها . اما في شمال حفرة الدفن فتوضع اجزاء مقطعة من الخراف . ويلاحظ هنا اختفاء الرؤوس تماماً . وبحلول فترة كرمه الكلاسيكية حوالى عام ١٧٥٠ ق . م تزايدت اعداد رؤوس الحيوانات التى في شكل قطيع به الثيران الذكور في المقدمة ، وتتبعها الإناث ، ثم العجول الصغار في المؤخرة . وتناقصت أعداد الخراف واستبدلت بتزايد اعداد الضحايا الآدميين ، وتوافرت كميات الطعام الأخرى ، حتى وانه في بعض الحالات بلغت كميات الطعام الإخرى ، الخمسة والسبعين قطعة لحم ، والقطعة الواحدة مكونة من أحد ارباع الخروف . أما الخراف فقد تأكدت أهميتها الجنائزية بالعثور على أعداد من الحملان بها حلي وزينة على قرونها ، أو رؤوسها ، ورقبتها . واتصفت نهاية كرمه بانخفاض كبير



شكل رقم (٢٦)
جثة كلب وجد مدفوناً مع صاحب المقبرة



شكل رقم (٢٧)
اغطية من جلد البقر المدبوغ يلاحظ تفاصيل الحياكة تدل علي استخدامها في فترة حياة المتوفي .



شكل رقم (٢٨)
جماجم وقرون الأبقار

في اعداد الضحايا الحيوانية . وتوسع انتشار عادة الدفن المركب – اي عدة اشخاص في قبر واحد .

وهكذا لعبت الحيوانات في حضارة كرمه دوراً مزدوجاً . سواء في المجال الاقتصادي الانتاجي او الجنائزي الديني رغم صعوبة فهمنا لدقائقه ، ومغازيه . فبينما تأكدت أهمية حيوانات الزراعة ، كالأبقار ، والغنم ، حيث كانت تمد السكان بالبروتين اللازم سواء كانوا زراعاً او رعاة . توافرت كذلك شواهد لوجود أصناف اخري من الغذاء ، كما تشير اليه ادوات ومعدات طحن الغلال وتخزينه . من جانب آخر فقد تأكد دورها في المجال الديني حيث احتلت دوراً كبيراً سواء في جانب شكلها الرمزي ، كقرون ورؤوس لحيوانات ، او في شكل قرابين حقيقية مقدمة كاملة ، او مقطعة الى ارباع ، توضع في داخل القبور . وبالمقابل فان الاعداد الهائلة لرسومات الحيوانات وتماثيلها المتعددة التى عثر عليها اثناء الحفريات لتؤكد ، بما لا يدع مجالاً للشك ، على أهمية الحيوانات ووجودها الحازم في هذه الحضارة التي ما تزال معارفنا عنها قليلة ، والتى تقع على حدود حضارة الفراعنة بمصر وعالم افريقيا السوداء .

أصول السكن والعمارة

يتجاذب تيارات صناعة البناء بكرمه . الأول يمثله البناء بالأخشاب كأكواخ دائرية أو مستطيلة معروفة ببلاد النوبة منذ فترات ما قبل التاريخ ، وفي الفترات التاريخية . والثاني البناء بالطوب ، لبن كان أو محروق . وكثيراً ما يشاهد الإثنان معاً في مبني واحد الشيء الذي يتولد منة طراز معماري مركب .

في البداية من المؤكد أنه بنيت المساكن من أعواد الخشب ومواد مستهلكة ضعيفة أخرى كمساكن ثانوية . ويلاحظ المرء فيما بعد وجود المنازل المبنية من الطوب مجاورة لتلك المبنية بالمواد الخفيفة ، وكثيراً ما تتجمع هذه في أحياء ، وقد يعيش الكوخ لأكثر من ١٤ – ٢٥ سنة، وهى سريعة التشييد . وكذلك في حالة تعرض المدينة لأي خطر ، فهي أول ما يتعرض للتلف ولا يبقى منها الا الرماد . ويطول زمن الإستيطان السكنى للمحل الواحد وتكثر بذلك، بل تتضاعف ، أعداد حفر الأعواد الخشبية مما يجعل دراستها كأحياء مستحيلاً .

تعدد فن البناء بالطوب تمثل لنا فيما تركه من أثر على أساسات المباني من مدينة كرمة ومنها استطعنا ان نستخلص الخارطة وتوزيع الفراغات في البيت الواحد ، وأمكننا تتبع التطورات التي حدثت خلال ما يقرب من الألف سنة . والمتطلبات الدفاعية تحكمت في تطور مدينة كرمه واعاقت توسعها . بعض المباني الدينية والادارية استفادت من وضعها المميز وخضعت لبعض التغييرات .

بالمقابل لم تخطط المساكن في شكل أحياء أو تتمدد راسياً . بل ظهرت بلد زراعي كل مالك يشكل الفراغات ويوزع المساحات لمزرعته . احياناً عدة منازل تتجمع حول ميدان واحد صغير ، وتكثر الممرات الصغيرة والأزقة والشوارع الرئيسية محاطة ومجزاءة ونادراً ما تسير مستوية لمسافات طويلة . من جانب آخر فانه تكثر قليلاً المساحات المحاطة بأسوار مستطيلة الشكل وكثيراً ما تحمى بواسطة جدار متعرج او دائري تفادياً

لعوامل التعرية .

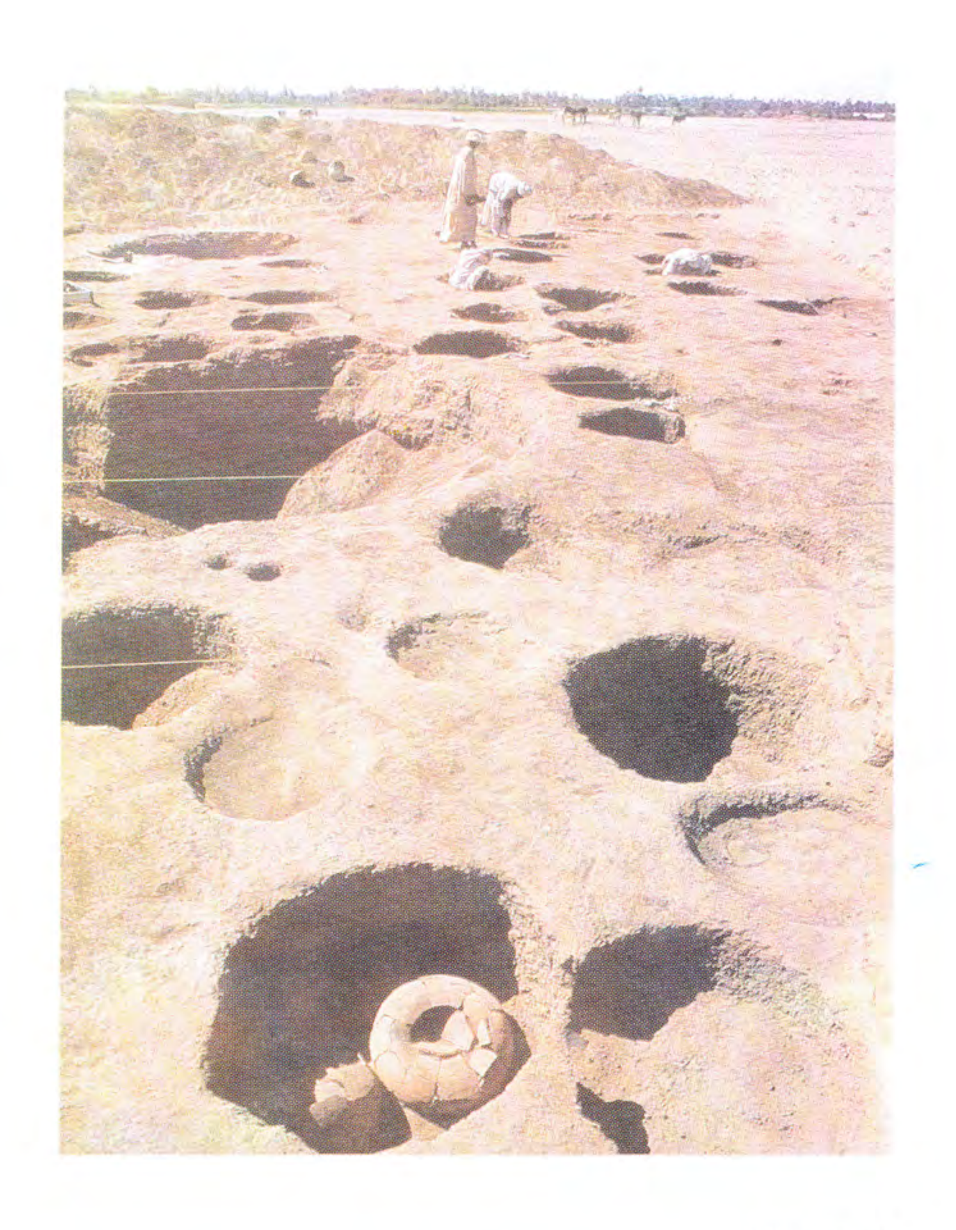
مستوطن ما قبل كرمه :

في منطقة تبعد حوالي أربعة كيلومترات من مجري النيل الحالي ، حيث شيدت مقبرة كرمه ، تم اكتشاف مستوطنة تعود الي الألف الرابعة قبل الميلاد . تغطى جلة المساحة الوسطى من منطقة مقبرة كرمه . ويقينا فان العمل فيها يحتاج لسنوات عديدة أخرى . وآثار هذا المستوطن عبارة عن حفر عديدة حفرت خلال الأرض الطينية بمختلف الأحجام . أغلبها صغيرة لا يتعدي قطرها ما بين ١٠ – ١٥ سنتمراً . وهى بالتأكيد حفر لقوائم خشب، ولاعواد لبناء الاكواخ ، حيث ترص علي شكل دوائر ، تتراوح أقطارها بين ٤ – ٥ متر وقد تبلغ الثمانية أمتار . ليس هناك آثر لوجود دعامة وسيطة (شعبة) لتسند السقف ، كما وجد عدة مرات أماكن النار لتحضير الطعام . وقد تم العثور علي بقايا مبنى مستطيل وهو بذلك فريد في هذا الوسط ، ربما أدخل هذا في وقت لاحق كثيراً لقيام المستوطنة . كذلك عثر علي حفر أخرى أكبر حجماً وأقل عدداً تبلغ حوالى ١٤٠ حفرة تتراوح اقطارها بين ٢٠ – ٤٠ سنتمترا (شكل رقم ٢٩)، تنتشر في شكل مجاميع معينة . يرجح انها كانت داخل الاكواخ ، كمخازن غلال (مطامير) مثلما هو معمول به اليوم في مناطق دارفور وكردفان . لقد كان تأثير عوامل التعرية الطبيعية ، بالاضافة لمفعول الأرضة ، ان اختفت أو تضررت كثير من المعالم مما يصعب عملية الاستنتاج لمعرفة التنظيم الإجتماعي .

ويلاحظ عامة أن بجدار الحفر الكبيرة احمرارا من أثر النار. وعثر علي جرار واوعية من الفخار (شكل رقم ٣٠) في بعضها كانت تحوي طعام سائل . والفخار الذي وجد يختلف عن فخار كرمه القديمة . كما وانه شبيه بفخار المجموعة النوبية الأولي (المجموعة أ) والتي كانت معاصرة لها بلا أدنى شك . ولم يعثر علي أثر لفخار مصري مستورد ، كما هو حاصل في حالة المجموعات النوبية المذكورة . وعليه يفضل استعمال «ما قبل كرمه» تمييزاً لهذه الحضارة . وحسبما توفر لدينا من معلومات حتى الآن نستطيع ان نقول ان السكن بهذا المستوطن استمر لفترات طويلة رغم اننا لم نعثر علي مقابر هذه الفترة بعد . كما وأن هذا المستوطن يرجع الى حوالى ٣ ألف سنة قبل الميلاد ، حيث أن مواقع السكن



شكل رقم (٢٩)
احد المواقع السكنية من فترة ما قبل كرمة



شكل رقم (٣٠)

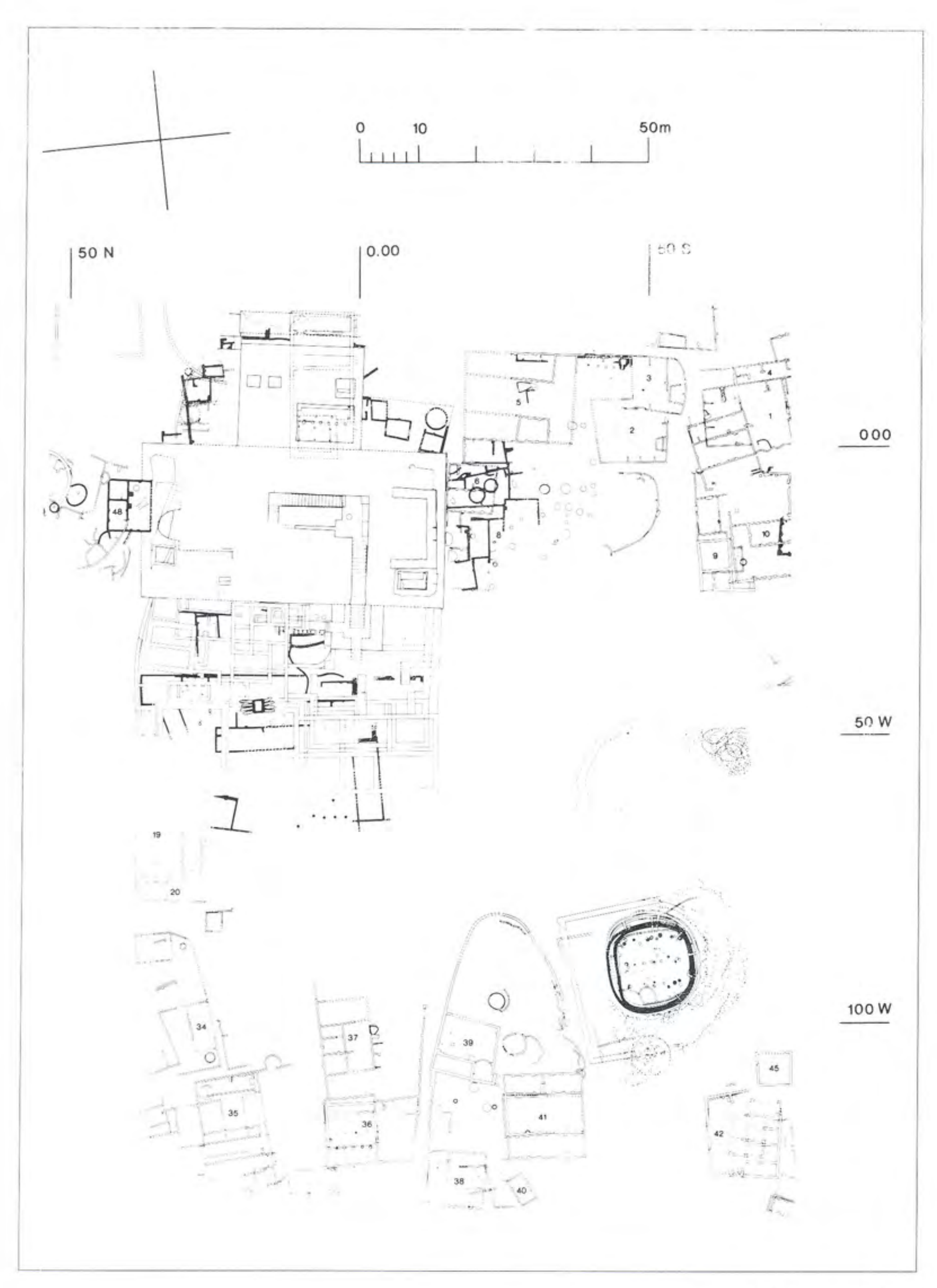
موقع يمثل مجموعة حفر واواني فخارية كانت تستعمل في تخزين الغذاء من فترة ما قبل كرمة .

ظلت تتحول ناحية الغرب مع تحول مجرى النيل حتى وصل لمستواه الحالى .

المبانى الخشبية بالمدينة القديمة :

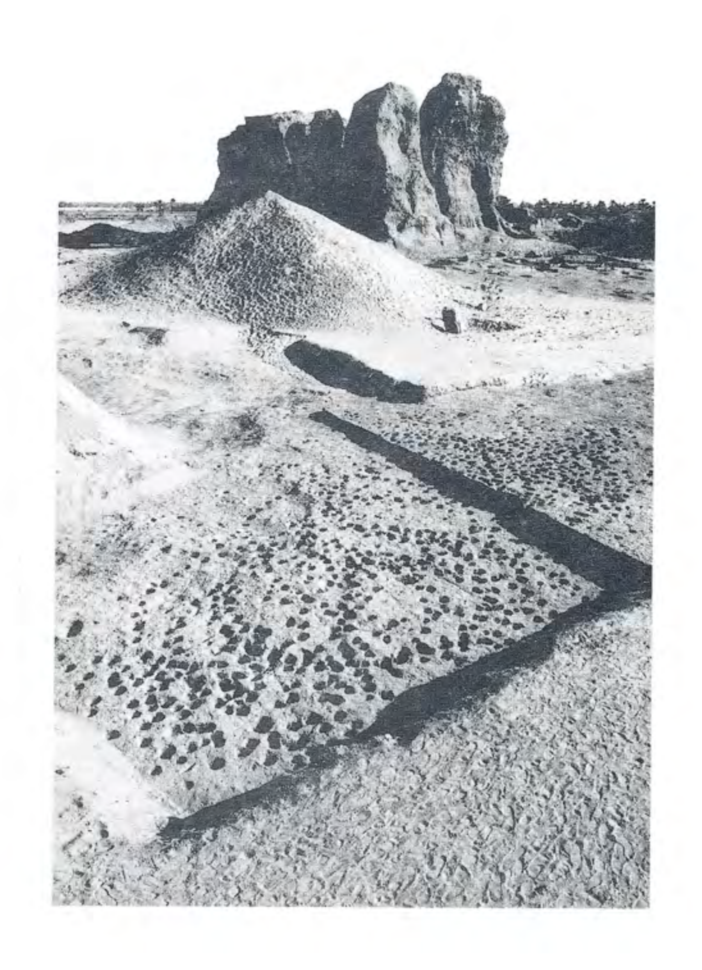
نتيجة للجفاف الذي بدأ يدب في السهل الشرقي ابان النصف الثاني من الالف الثانية قبل الميلاد زحفت الحركة السكنية نحو الغرب الي قرب مجري النيل . وظهرت آثار أكواخ دائرية في شكل مجموعات مكونة أحياء جديدة يتراوح ما بين ٤٣٠ - ٤٧٠ سنتمتراً وعلي طبقات بعضها فوق بعض (شكل ٣١) . فعلي طبقة الأرض البكر تم الكشف عن آثار ستة اكواخ متتالية شيدت في نفس ذات المكان ، وتتوالي السكنى والتشييد في هذا المكان خلال فترات لاحقة بعد هذه الطبقة بنفس المواصفات حتى نهاية كرمه الكلاسيكية مع القرن الخامس عشر قبل الميلاد (شكل ٣٢) ، مما يشير الي استمرارية طويلة لهذا العنصر السكني حتى عندما تم تشييد بيوت رحبة ذات أبعاد مستطيلة من الطوب قريباً من هذا الموقع ، وفي أثناء السكن التقليدي ويبدو أن هذا النوع من الإسكان كان منتشراً علي مساحات شاسعة جنوب كرمه وشرقها وغربها خلال السهول الممتدة بالسودان .

من جانب آخر ، فالدراسة التفصيلية لآثار هذا السكن تمكننا من معرفة أشياء كثيرة ، فلم نعثر علي ما نستدل به على وجود عامود ركيزة للسقف وسط الكوخ . كما ان العثور على بقايا ألوان حمراء عالقة على مابقى من أوتاد الخشب في الحفر يشير الى ان هذه الدوائر لم تكن زرائب للحيوانات فقط ، والا لما حملت هذه الزخرفة الملونة . كما ان هناك نوع من الفخار له أوصاف تشكيلية واضحة ويغطى سطحه بألوان ومناظر براقة، كان من اواني فخارية هامة لها غطاء تبرز جوانبه كما يبرز سقف الكوخ التقليدي مما يشير الى الإيحاء المعماري لشكل الكوخ في شكل الإناء . وهكذا فربما كون سكان هذه الأكواخ عنصراً نشطاً في اتصال وتفاعل مع بقية سكان كرمه بما فيهم القبر الملكي في الكوم الثالث بكرمه ، حيث عثر علي الإناء كاملاً (معروض بمتحف الخرطوم الآن) - (هذا الإناء يشبه كذلك إناء من نوع ينحت من الأخشاب له الشكل والزخرفة يستعمل لحفظ العطور الجافة المتصلة بالمناسبات الهامة ويعرف بالحق أو الربعة) . من كل ما تقدم نستخلص الى حقيقة هامة وهى أنه بكرمه توجد عناصر ذات تقاليد متعددة تتعايش سوياً في تداخل



شكل رقم (٣١)

خارطة عامة لمدينة كرمة خلال الفترة القديمة والوسيطة



شكل (٣٢)
منظر جانبي لفناء احد الاكواخ التي وجدت في المدينة القديمة بكرمة

وتواؤم ، مما يؤكد علي الخصائص الحضرية لهذا الموقع .

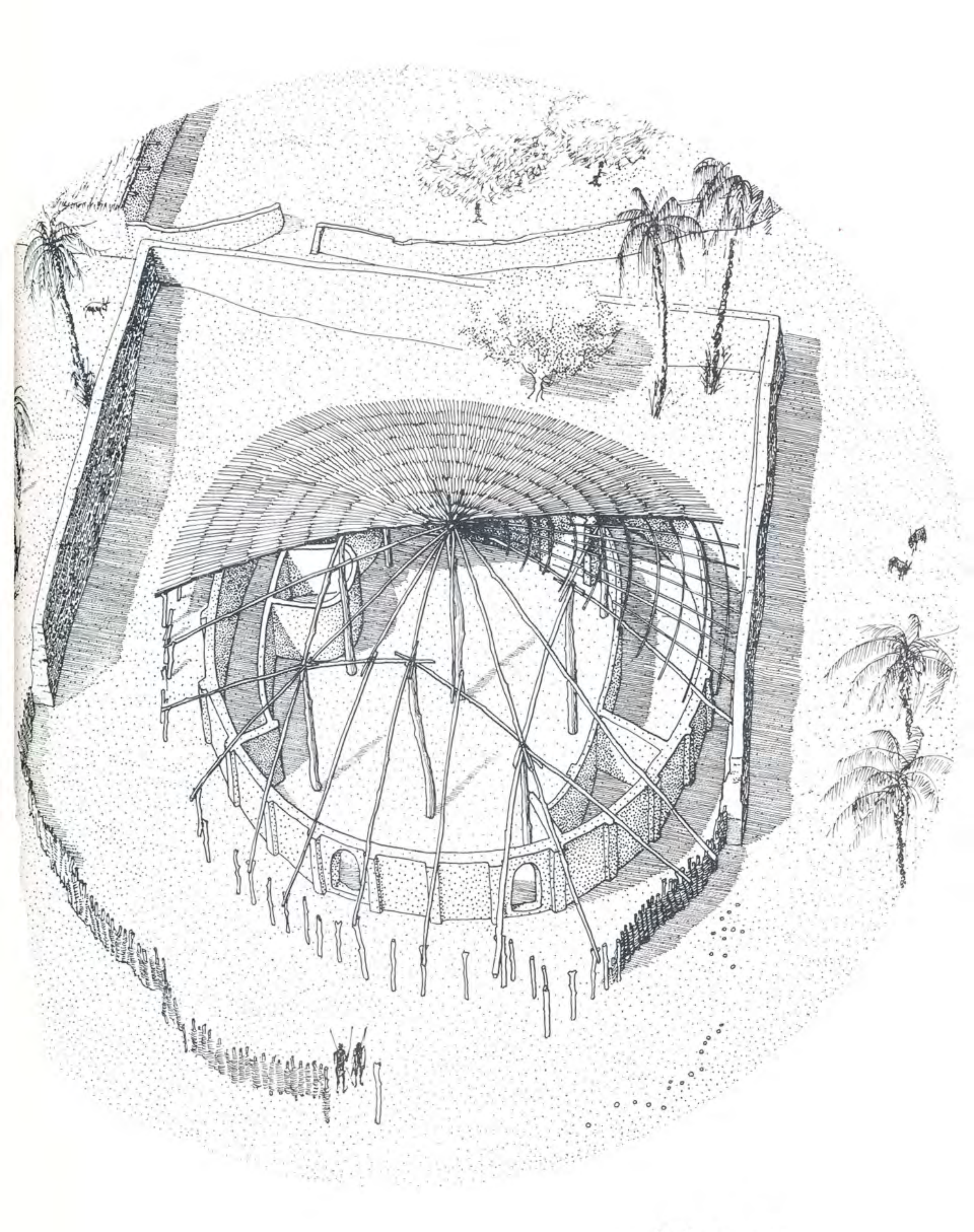
حوالى عام ٢٠٠٠ ق . م تمركز وسط مدينة كرمه حول منطقتين أساسيتين الأولي الحي الديني بما فيه الدفوفة الغربية والى الجنوب الغربي منها بناء دائري ضخم يتجاوز سقفه علواً ما حوله من مبانى، اذ يبلغ حوالي العشرة امتار ارتفاعاً، ويحدد هذا البناء من ذلك العهد البعيد ، والذي يجمع ما بين مواد بناء الحطب والطين ، معالم الخطوات الأساسية في تطور فن المعمار الافريقي ووقوعه ملاصقاً لحي الاكواخ تجعل امكانية حمله بعض ملامحها شيئاً لايمكن الشك فيه . حمل سقف هذا المبنى الدائرى المهيب على ثلاثة صفوف من الأعمدة الخشبية المثبتة وعلى حائط دائري مبنى من الطوب اللبن - وربما كان مخروطي الشكل . والعثور علي حفر كثيرة عند المدخل تشير الي وجود رواق شيد من أعمدة خشبية . وبالداخل قيست المساحة بين غرفة كبيرة تبلغ مساحتها الإثنى عشر متراً مربعاً ، وملحقاتها من غرف أصغر ، وممرات ضيقة في أواخر أيامه من الطوب الآجر الاحمر . ويحيط هذا السور من جوانبه الثلاثة سياج من خوازيق خشبية أمام البوابة الجنوبية (شكل رقم ٣٣). ومما يجب ان نشير إليه أنه لا يوجد ما يشابهه سواء بمصر أو وسط أفريقيا. مع ذلك كان هذا الطراز من المباني منتشراً في بقية القارة الأفريقية كما نشاهده في قاعات الاستقبال لسلاطين دارفور والفونج وبين زعماء وسلاطين جنوب السودان(شكل رقم ٣٤) .

النمو الحضري :

تقع النواة الحضرية الأولى لمدينة كرمه في الطبقات تحت الدفوفة ، وترجع لفترة كرمه القديمة ، أى حوالي أربعة الف سنة مضت ، شيدت منازلها بالطوب اللبن بشكل غير منتظم وفيه شكل شبه المنحرف، ويبلغ كل جانب ما بين ٣ الى ٤ أمتار ، سمك الحائط حوالي ١٨ سنتمتراً ، وله دعامات جانبية لتقويته . ولا يتعدى ارتفاع الحائط المترين ونصف . ويتألف سقفه من جزوع النخيل وجريده وسعفه ، وتمكنا من استنتاج بعض النشاطات التى كانت تجرى داخل هذه المنازل - فتوجد تعريش امامية (راكوبة) ، ومحل للنار واماكن لتخزين طعام أو قوت الأسرة، مخزنة في صوامع لها قاعدة صلبة دائرية .



شكل رقم (٣٣)
أحد الاكواخ الضخمة «غرفة مجلس الملك؟»



شكل رقم (٣٤)
تصور إعادة انشاء الكوخ

(شكل رقم ٣٥) .

تشبه هذه البيوت بيوتاً عثر عليها في مواقع فرعونية من الدولة القديمة، في كل من مدينة بوهين القديمة وأخرى قرب اسوان ، وكذلك بالجيزة . ومما لا شك فيه فان كرمه قد تأثرت بجارتها مصر ، لكن يبقى لنا تحديد هذا التأثير من خلال مقارنة بيوت كرمه مع ما اكتشف بمصر ، وبيان مدى الإختلاف او التوافق . وكانت الوحدة السكنية بمصر تحتوي علي شكل مبسط ، عرفناه في رسم حرف الهاء الهيروغليفي ، والتى اطلق عليها بعض الدارسين وصف «المنزل الحلزوني» وبكرمه فقد عاشت الوحدة السكنية المؤلفة من قطعتين، نسبة للتشابه الشديد فربما يعزى المرء الاصل الاولي الي مصر ، ولكن متطلبات الحياة المحلية بكرمه أوجبت إدخال العديد من التعديلات والتحويلات .

فكلما توسعت المدينة ونمت توسعت معها الوحدة السكنية مساحة. فيدخل الفناء ، وتدخل الشونة (القصيبة) بديلاً للصومعة ، ويخصص مكان لزريبة المواشى ويحاط الكل بسور متعرج . وكثيراً ما تتلاصق مجاورة هذه الوحدات في مجاميع كالأحياء . وقد تتوسع الوحدة السكنية ، مكونة غرفتين مستطيلتين تفتح احداها علي الجانب الشمالي الداخلي مكونة غرفة الاستقبال ، أما الثانية فهى غرفة الأسرة محجوبة عن الأنظار، ويدخل اليها من خلال باب في النصف الشمالي . وتدعم الجدران الرقيقة بدعائم خارجية تستغل ايضاً كمساند لحمل عوارض السقف الخشبية (مروق). ويكتفى السكان الأقل حظاً بغرفة واحدة مستطيلة مقسمة الى جزئين ويتبع فيها نفس التوزيع السابق والملحقات التابعة . احياناً يشيد سور حاجز أمام الأبواب ليحجب ما بالداخل . وتوجد ايضاً سقيفة امامية (راكوبة). ويوضع مكان تحضير الطعام في الخارج على مرأى فرن صغير مقام في احد أركان الفناء (شكل رقم ٣٦) .

ابان فترة كرمه الوسطى ظهر البيت الواسع . فبنيت الغرفتان منفصلتان تماما ، بينهما فناء داخلي يحدده سور محيط . وتزداد الأجزاء سعة مما يضطر معه رئيس البناء (الاسطى) من ادخال دعائم لتسند السقف (شعب) . كما تقام دعائم على جنبات المداخل . بعض جنبات الفناء الداخلي تسقف لتستوعب بعض النشاطات المنزلية لتحضير الطعام ، ومزيرة لمياه الشرب، واقامة الاجران، ومكان لممارسة أحد الحرف (شكل رقم ٣٧) .



شكل رقم (٣٥)

منظر عام لمنازل من حضارة كرمة

100 E
50 E
0.00
50 W
100 W
150 W

200 N
150 N
50 N
0.00
50 S
100 S
150 S
200 S

0 10 50m

شكل رقم (٣٦)   خارطة عامة توضح مدينة كرمة القديمة والتي تعود الي الفترة الكلاسيكية

كما توجد عدة أماكن للنار متفرقة حتى بداخل الغرف ، وكانت الغرف تعطر باستعمال المباخر لحرق الأخشاب العطرة (البخور) ، كما توجد زخارف بالوان براقة .

أما في فترة كرمه الكلاسيكية ، فان الدلائل المتوفرة لدينا تشير الي قيام مجتمع طبقي مركب يعيش في مدينة لها كل مقومات العاصمة ، فقد توسعت الوحدات مجدداً ، واضيفت عليها اضافات في بعضها والأخرى بقيت كما هي . ونجد مثل هذه المفارقات في القبور . وفي أثناء فترة كرمه الكلاسيكية عم استعمال الطوب المحروق ، حيث شيدت به أبراج مدورة وغطت به جدران مباني أخرى هامة، تقوية لها بزيادة سمكها ، أو إمعاناً في زينتها ، وغدت المنازل عالية جداً وسطحت سقوفها . وشهد المنزل الحلزوني التقليدى تطوراً جزرياً فغدا الجزءان عريضين ، وزادت مساحتاهما وادخلت دعائم للسقف داخلية من الخشب (شعبه) . وتحولت كثير من الأسوار العالية مكونة أزقة وممرات طويلة ضيقة . وقد تم مؤخراً العثور علي مثل هذا في موقع معاصر آخر في كدروكه ، جنوبي كرمه ، وهو موقع ريفي شيدت فيه قوائم من الطوب اللبن او الاعواد لتسند السقيفة الامامية (الراكوبة) . وتزايدت أحجام الشونة (القصبية – الجرن) ، وقسمت الي جزئين بحائط عرضي (قاطوع) . كما نشير هنا الى سور شيد شمالي المدينة ، ربما كان حظيرة لقطعان البهائم أو جنينة كمزرعة (شكل رقم ٣٨) . احياناً تحجز القطعان الكبيرة بين الأحياء داخل حظائر من الشوك (زرائب) ، وقد تم العثور علي عدد من هذه الزرائب ، معها آثار سير الحيوانات على الأرض متجهة نحو النيل .

وهكذا بالرغم من تعدد التأثيرات من الشمال أو من وسط القارة الافريقية فما يزال المعمار بكرمه يعرض لنا عدة نواحي ابداعية محلية (شكل رقم ٣٩). ووقوع كرمه في منطقة لا توجد بها محاجر لقطع مواد البناء يفسر لنا ندرة مباني من الحجر . ومن خلال كشفنا لمساحات واسعة امكن الحصول على الخطوط العريضة لتاريخ تطور مدينة كرمة حيث تم تصنيف أولى للمساكن المختلفة . بالرغم من ان المدة الزمنية طويلة للغاية مما أكسب التطورات المعمارية غاية التعقيد والتركيب . كما ان المدينة تعرضت للعديد من عوامل التخريب والتعرية . ويجب أن نشير ان المنطقة المسكونة الآن تغطى مناطق تفوق كل ما تم الكشف عليه حتى الآن . مع ذلك فما تم الكشف عنه يعطينا صورة حية لتاريخ هذه المدينة التى نرجو ان نعثر على موقع آخر من نفس الفترة لمقارنتها بها .

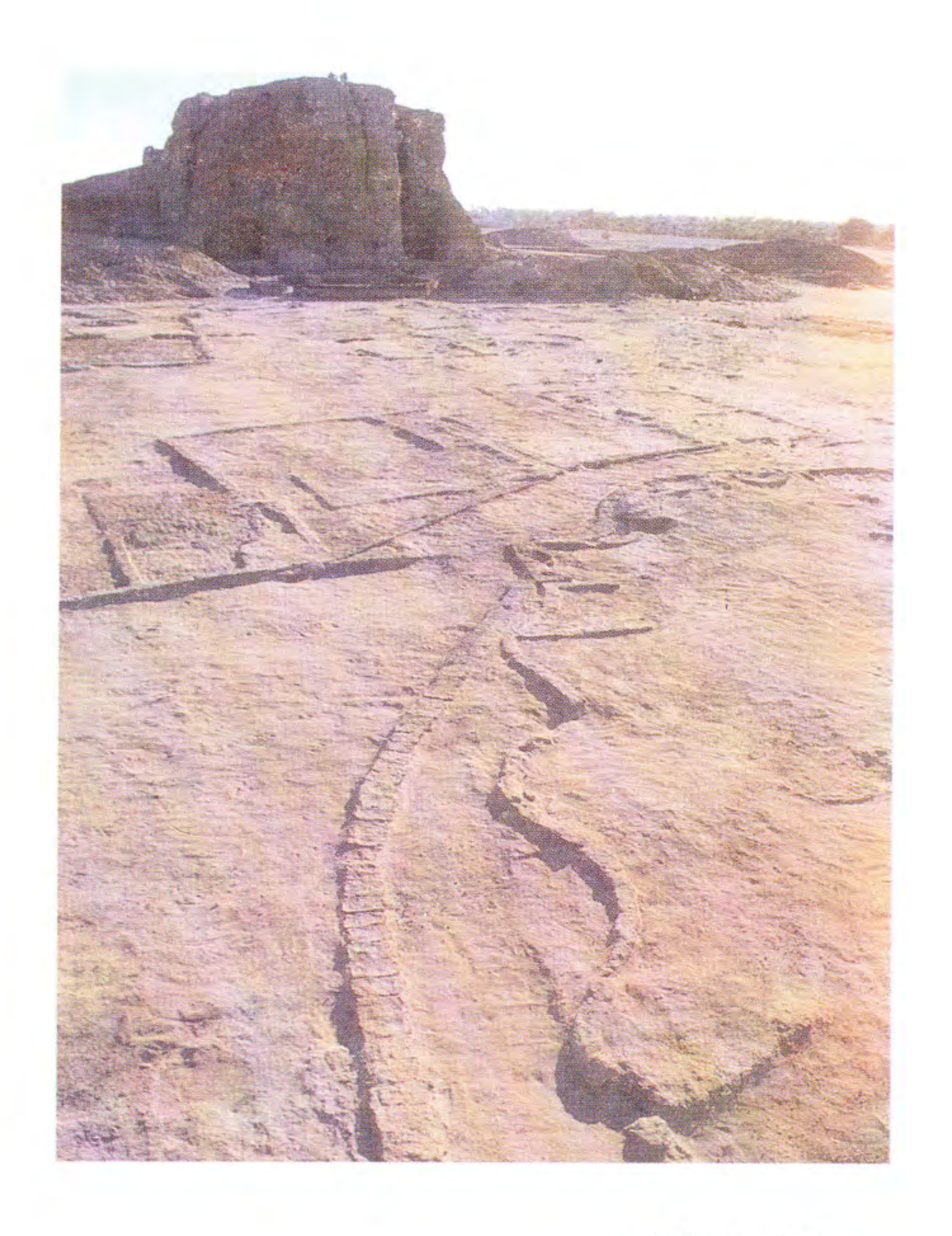


شكل رقم (٣٧)

المنزلين رقم ١٣ ، ١٥ علي جانبي احد الشوارع القديمة

شكل رقم (٣٨)

شكل يوضح تصور لإعادة بناء الحي الشمالي الغربي من المدينة القديمة



شكل رقم (٣٩)
اثر لبقايا سور طويل

إستحكامات كرمه وتحصيناتها

إهتم سكان كرمه بحماية أنفسهم ضد هجمات أعدائهم . ومنذ فجر تاريخهم فقد شهدنا تشييدهم للسياجات الخشبية المصنوعة من مواد متعددة ، كما يبدو ذلك سواء أكثر متانة أو أقل قوة . وقد اشتهر النوبيون بشدة مراسهم في الحرب . ففي الدولة المصرية القديمة كون الرماة النوبيين القوة الرئيسية في سلاح الشرطة والخفر كمرتزقة . ومن خلال دورهم هذا تعرفوا علي فن الاستحكامات الحربية الفرعونية وكانت كرمه المستفيد الأول من التطوير والتحديث الذي تقوم به الإستراتيجية الحربية المصرية . ومن جانبهم لم يكن المهندسون النوبيون ينقلون النماذج الشمالية بحذافيرها ، لكنهم طوروها وادخلوا فيها العديد من التغييرات لتلائم متطلباتهم المحلية .

حمى ملوك الامبراطورية المصرية حدودهم الجنوبية بواسطة سلسلة من الحصون المنيعة . ومن بين مهام الجند المرابطين بهذه الحصون ، مراقبة السكان النوبيين ورصد تحركاتهم . لعبت المدن التى شيدت دوراً مزدوجاً لادارة هذه القلاع وخلق آلية لتبادل تجاري . هكذا شيدت معسكرات على طول مجرى النيل عند الشلال الثاني . وفي حالة كرمه على أعلى الشلال الثالث ، قلما يهيىء السهل المنبسط امكانيات الدفاع والحماية . وهذا ما عمل له حسابه المهندسون . من جانب آخر ، فقد اجبر موقع عاصمة المملكة مخططي المدينة ليأخذوا في الاعتبار مناطق السكن ، والاعمار الواسعة نسبياً ، ولاحاطتها باسوار وخنادق لحمايتها . وقد أدى الضغط السكاني القوى ابان فترة كرمه الوسطى الى التوسع في الانشاءات الدفاعية بجانب المباني العامة الهامة .

كشفت لنا الحفريات عن آثار وبقايا كتل من الخشب ذات اقطار كبيرة على الجزء الجنوبى من الدفوفة تشير الي ان المركز الحضري الأول لكرمه كان محاطاً بسياج يحميه ، وسوف يمتد البحث حتى بقية الأجزاء لاثبات هذه النظرية . وقد شيد في وقت لاحق سور محصن حول المدينة ، عرضه عدة امتار ، يمكن تتبع آثاره على مدى الموقع، ومن الجانب الخارجي ، توجد حفر يستدل منها على وجود سياج من أعواد الخشب لحماية البناء من التقويض . ولتنفيذ هذه الحماية الضخمة استعمل الطين والطمي ، بدلاً من الطوب الذي

شاع استعماله بالمساكن ، وهذه طريقة بناء ما تزال متداولة حتى اليوم بالمنطقة وما حولها وتعرف محلياً باسم «البناء بالجالوص» .

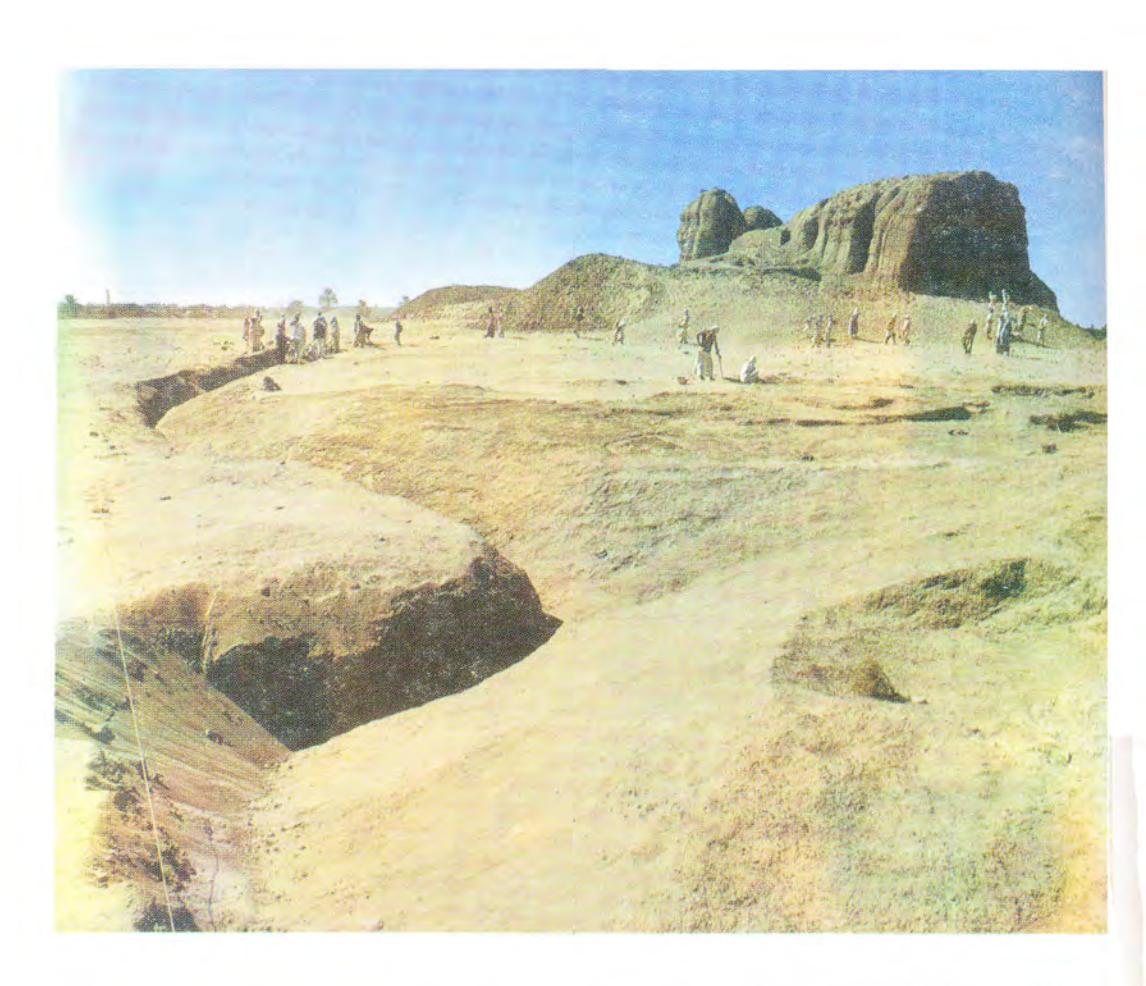
وبحوالى عام ٢,٠٠٠ ق . م ابان كرمه الوسطى ، اتخذت المدينة ابعاداً هامة . امتدت الخنادق الجافة على طول السور ، وتشير اثارها على شكل غير منتظم توجد به ابراج نصف دائرية قطرها يتراوح ما بين ٣٠ الى ٥٠ متراً . وكان تراب الخنادق التى امتدت حسب تمدد المدينة يذهب لبناء أسوار التحصينات هذه . وكانت هذه الخنادق تحفر بعمق من ٣ الى ٥ أمتار وبعرض يتراوح ما بين ١٠ – ١٥ متراً (شكل رقم ٤٠).

وقد اندرست هذه الخنادق بواسطة اطلال المبانى المندثرة ، والرمال التى تحملها الرياح وأحياناً بما تحمله مياه النيل . وتوجد صنوفاً من الحفر علي الحوافي الداخلية للخنادق ، كانت توضع بها أعواد لحماية أساس السور المحيط . ومقارنة وما يعمل الآن في أعالي الأسوار الحالية يمكننا على أقل تقدير من تفهم تفاصيل الأنظمة الدفاعية ، والتى لابد وانها مرت بتطورات كثيرة .

ابان فترة كرمه الكلاسكية (١٥٨٠ ق . م) حدثت تطورات كثيرة متعددة في تقنية المنشآت العسكرية بدولة كوش . ان هذا المعمار لم يكن ليستجيب فقط للإمتدادات السكنية والتمدد الحضري بل أتى بنظام دفاعي لا يقل عن عدة نقاط من النظام الذي طوره عدوه المصري .

لقد أبرزت الخارطة العامة للمدينة الأهمية التى أوليت الي المداخل التى تقود الى وسط المبنى . ولتأكيد حماية الممرات العديدة التى تعود الى الأبواب الرئيسية تركت مساحات واسعة كفضاء . ومن هنا وهناك فقد زيد في ارتفاع الاسوار بحيث يسهل مراقبة الدخول والخروج ورويداً رويداً نمت الاحياء الجديدة بينما كانت الخنادق القديمة تندرس من جراء اطلال المنازل واجزاء اخرى تحفر كامتداد او توسع في الأنظمة الدفاعية . وتمددت المساحات الفضاء خارج البوابات مما اعطى المدينة شكلاً متقطعاً .

نحو شمال الطريق الذي يقود الي الأحياء الشرقية ، اعد مكان كأساس متين من الحجارة يكون احد نقاط الدعم للنظام الدفاعي لكرمه في الفترة الكلاسيكية . لقد شيدت



شكل رقم (٤٠)

منظر لخنادق المدينة القديمة

هذه الوحدة على بقايا خندق قديم مدفون . وتحتوى على جدار سمكه حوالى ١,٥ متر دعمت بدعامات غير متساوية. أحد الأبراج متقدم والآخر بارز لمسافة ٤٠ متراً ، والثالث له جدار عريض ، والرابع بنى ليحمى القلعة من ناحية الجنوب. بنيت الاساسات من الحجر الرملى النوبي ، بحيث برزت فوق سطح الأرض في شكل قاعدة متينة مقاومة، جاءت حجارتها من المحاجر التى تبعد ٢٠ كيلو متر . خفضت منطقة المدينة السكنية التى اقيمت على الخنادق التوزيع والترتيب الحربي حيث اقيمت في احد زوايا البرج مخابز يقدم انتاجها كقرابين للمعابد ولاستهلاك المقر الملكي .

وطريقة حراسة المدخل الجنوبي للمدينة توضح مدى تصعيد الدفاعات مرتكزة على برج دائرى ، وعلى خندق قديم من فترة كرمه الوسطى ، اقيمت أسوار من الطوب اللبن بطول ١٣ متر وعرض ٧ أمتار(شكل رقم ٤١) . ومن الجانب الشرقي نجد أن السور له جزء بارز ثم يغطى بعضه بطوب أحمر محروق . وتثبت هذه الزخرفة بواسطة سلسلة من الدعامات العرضية التى تزيد من متانة السور الرئيسي . وفي وقت لاحق بنى حائط امام الاستحكامات التى وصفت آنفاً ،كان أساساً من الحجارة ، بارتفاع أكثر من ثلاثة أمتار وتسند دعامات قوية على هذا الحائط الجديد ، الذي يجاور أحد الخنادق (شكل رقم ٤٢).

وتوضح لنا هذه العناصر الجهد الكبير الذي بذله الملك وأعوانه لحماية مدينتهم . فان اختفت الآن كثير من المظاهر العسكرية تماماً فذلك كان من جراء الخراب المنظم الذي تعرضت له أثناء الحرب . وقد ثبت لنا هذا التلف الحي من خلال آثار الحرائق وتحطيم الأسوار . وتمدنا هذه الخنادق بمدى الجهد الذي بذل عبر القرون ، حيث توضح لنا كيف ان المجمع كله احيط من جميع جوانبه بنظام دفاعي ، وان مداخله كانت محمية بأسوار سميكة ، حيث كانت تعلو حوالي العشرة أمتار ، مما يجعل هذه العاصمة منيعة . ومجمل ما تشير به النصوص الخطية ، هو ان مكان ما ، ذا اهمية تهيب الجيش من الهجوم عليه ، وان هذا لا يمكن ان يكون الا الجيش الفرعوني . ان هذه المخاوف يبررها الإحتلال الذي جرى فى فترة الأسرة الثامنة عشر ، بل إن التغييرات المتأخرة التى جرت في أنظمة الدفاع بكرمه تعرض لنا بأن الغزاة لم يستطيعوا ان يدركوا غاياتهم الا بثمن غالي وصعوبة فائقة .



شكل رقم (٤١)

بناء من الطوب اللبن ينتمي للاستحكامات العسكرية

شكل رقم (٤٢)

بقايا حائط من استحكامات المدينة

العمارة الدينية

المحاريب :

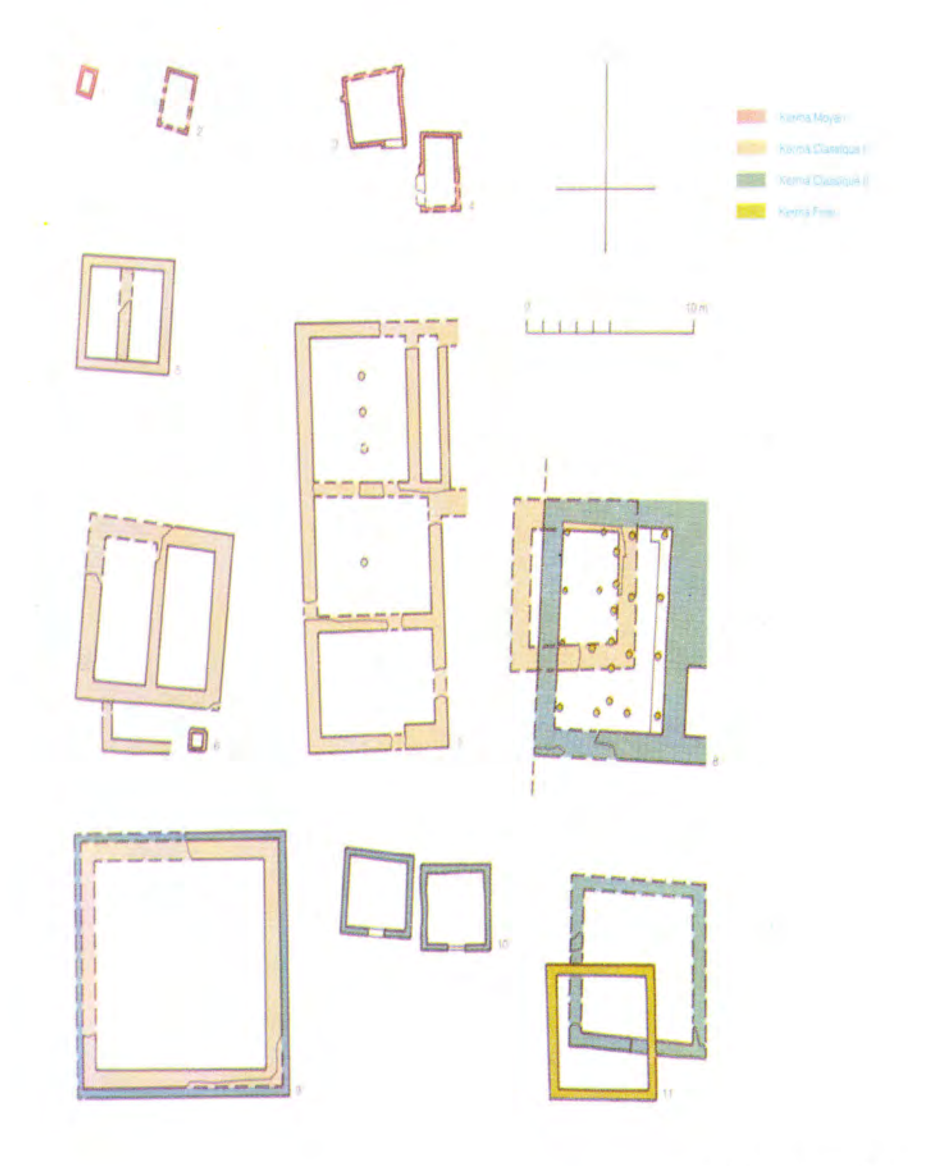
أدت الأعمال التى جرت مؤخراً بكرمه الى زيادة كبيرة في معارفنا عن المباني الدينية . فأوضحت لنا دراسة المبانى الجنائزية بالمقبرة المراحل البارزة للتطور المعماري ، حيث تتطابق مواصفات هذه المبانى مطابقات لها بالمدينة ، رغم أن هذه المقارنة لا تمكننا من فهم الغرض الذي من أجله بنيت هذه المبانى . فوق ذلك فان المبانى الدينية بكرمه تختلف تماماً عن ما هو معروف في الشمال أي مصر . وتشير المقاصير الجنائزية المتبعة بمقابر النوبة السفلى الى أن المعايير المعمارية التى طبقتها كرمه اصيلة وتختلف عن معايير حضارة المجموعة ج (المجموعة الثالثة) . وفي النهاية قد يتساءل المرء عن مدى تأثير البنائين المصريين في صناعة البناء النوبية ، كما انعكست لنا في عاصمة مملكة كوش (شكل رقم ٤٣) .

المقاصير الجنائزية :

إن البساطة التى تميزت بها المبانى القديمة تجعل البحث عن مؤثرات خارجية غير ذات مغزي . وفي حالات خاصة ، يمكننا ان نلاحظ نمو متصل كما في زيادة التعقيد في الخارطة ، وهو بلا شك ظاهرة متصلة بتطور الممارسات الدينية والطقوس الجنائزية . وابان كرمه الكلاسيكية يظهر بوضوح التأثير المصري . ونعرف ان ملك كوش لم يتحرج في استخدام احد الخبراء المصريين لتشييد احد المعابد المهمة (فى بوهين) . وفي النصف الأول من فترة كرمه الوسيطة ، بنيت الاكواخ ، والعشش ، التى كانت مخصصة لإجراء طقوس وإبتهالات للأموات بالطوب اللبن (شكل رقم ٤٤) . عثر كذلك علي حفر عديدة أمام هذه المبانى في هذه المنطقة من المقابر ، تعود الى فترات قديمة ، تشير الي وجود أماكن طقوس وطريقة عبادة بدائية ، شيدت من الأخشاب والقش ، شكلها غير معروف لدينا . واقدم مبنى حتى الآن يقع بالقرب من القبر ك ١١٥ ، وهو قبر دائري ، قطره يبلغ ستة



شكل رقم (٤٣)
صرح الدفوفة الغربية بكرمة



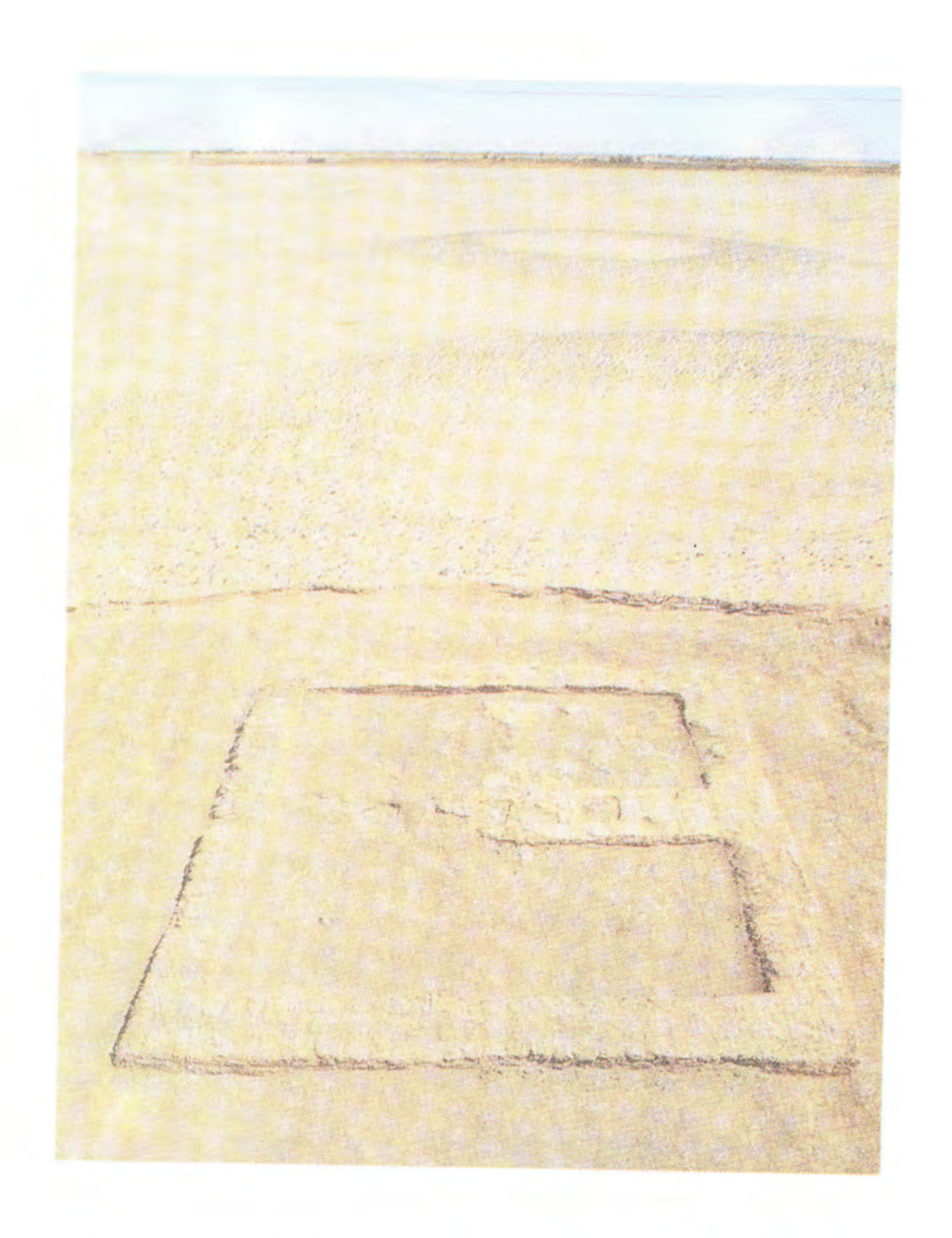
شكل رقم (٤٤)

خارطة مقارنة لمقاصير المدينة (٣,٤,٦,٧,٨,٩) والجبانة الشرقية (١ , ٢ , ٥ , ١٠ , ١١)

أمتار، محاط بدائرة من الحجارة السوداء. وعلى الجانب الشمالي دفنت ١٢٩ رأس للأبقار ،وفي الجهة الغربية وجد أساس بناء مستطيل طوله ١,٤ متراً وعرضه ٠,٩ متراً، يبدو أنه كان لاغراض جنائزية، يمتد شمال / جنوب وبابه يتجه نحو الجنوب غالباً. وعلى بعد مائة متر يقوم مبنى بلغت أبعاده ٢,٨٨ متر طولاً، و ١,٩٠ متر عرضاً. وهو يرجع لفترة متأخرة كثيراً، ويمتد أيضاً شمالاً وجنوباً، بنى من الطوب اللبن، وكان له مدخل يقع على محوره الرئيسي.

وهو يطابق، في شكله ومساحته، مبنى آخر بجزيرة صاي، ويؤرخ بفترة كرمه الوسيطة. وتقع في وسط مقبرة كرمه ثلاثة مقابر دائرية، ذات أحجام كبيرة للغاية بالنسبة لفترة كرمه الوسيطة، وعلى الجانب الأيسر من كل قبر عدد من جماجم الأبقار، مما يشير الى الصفة الملوكية لأصحابها. وعلى الجانب الغربي للقبر الأوسط توجد غرفة مربعة طول ضلعها يبلغ ٤,٢٥ – ٤,٢٨ متراً، ويبلغ عرض حائطها حوالي ٠,٦ متراً، مما يشير الي ارتفاع كبير لسورها (شكل رقم ٤٥). ويسند سقفها بواسطة صف من الأعمدة علي محور شمال – جنوب وسط دعامات من الطوب. وكانت الأرضية ملونة بلون أحمر. وعلى أحد زوايا المبنى غرست انبوبة من الذهب، كذلك قطع من الفخار الدقيق النادر. ويقع بابها على جهة الجنوب، ويخترقها ممر من الطين المطروق (المدكك) في وسطها يقود الى صف أعمدة. وهو ميزة معمارية تنتشر في مباني كرمه الدينية كنسق بنائي. وتكون القواعد الدائرية من حجر المرمر، والتى تحمل أعمدة خشبية. ونسبة لندرة هذا النوع من الحجر فقد خصص للمباني الدينية.

وعلى نفس هذا النسق توجد غرفتان مربعتان متجاورتان في منطقة كرمه الكلاسيكية تم الكشف عنهما شمال غرب القبر ك ١٤٧ الملكي. تبلغ أبعاد كل منهما ما بين ٣,٣٠ – ٣,٥٠ متر، وعرض الحائط ٣٦, متراً، ولها باب نحو الشمال. ويشير وعاء صغير من الفيانس (القاشاني) وعدة أواني فخارية، حطمت عن عمد اثناء عملية تقديم القرابين السائلة، الى طبيعة استعمال هذه الغرف المزدوجة ابان فترة كرمه الكلاسيكية. وتوجد غرفتان متشابهتان، عثر داخلهما على قطع من الطين عليها ألوان حمراء، وسوداء وبيضاء



شكل رقم (٤٥)
مقصورة جنائزية بالقرب من مقبرة أمير من فترة كرمة الوسيطة

ثبت أن بهما رسومات ملونة (شكل رقم ٤٦). وعثر رايزنر قبل ذلك علي اثني عشر غرفة متشابهة في الجهة الجنوبية من المقبرة . احداها بها صف من أربعة أعمدة وبعضها له عمود واحد ، أو بلا أي أعمدة علي الاطلاق . وتشير الحفريات الى آن الغرفة ذات الأعمدة بنيت على أنقاض غرفة سابقة ، وبابها من جهة الجنوب يفضي مباشرة الى صف الأعمدة .

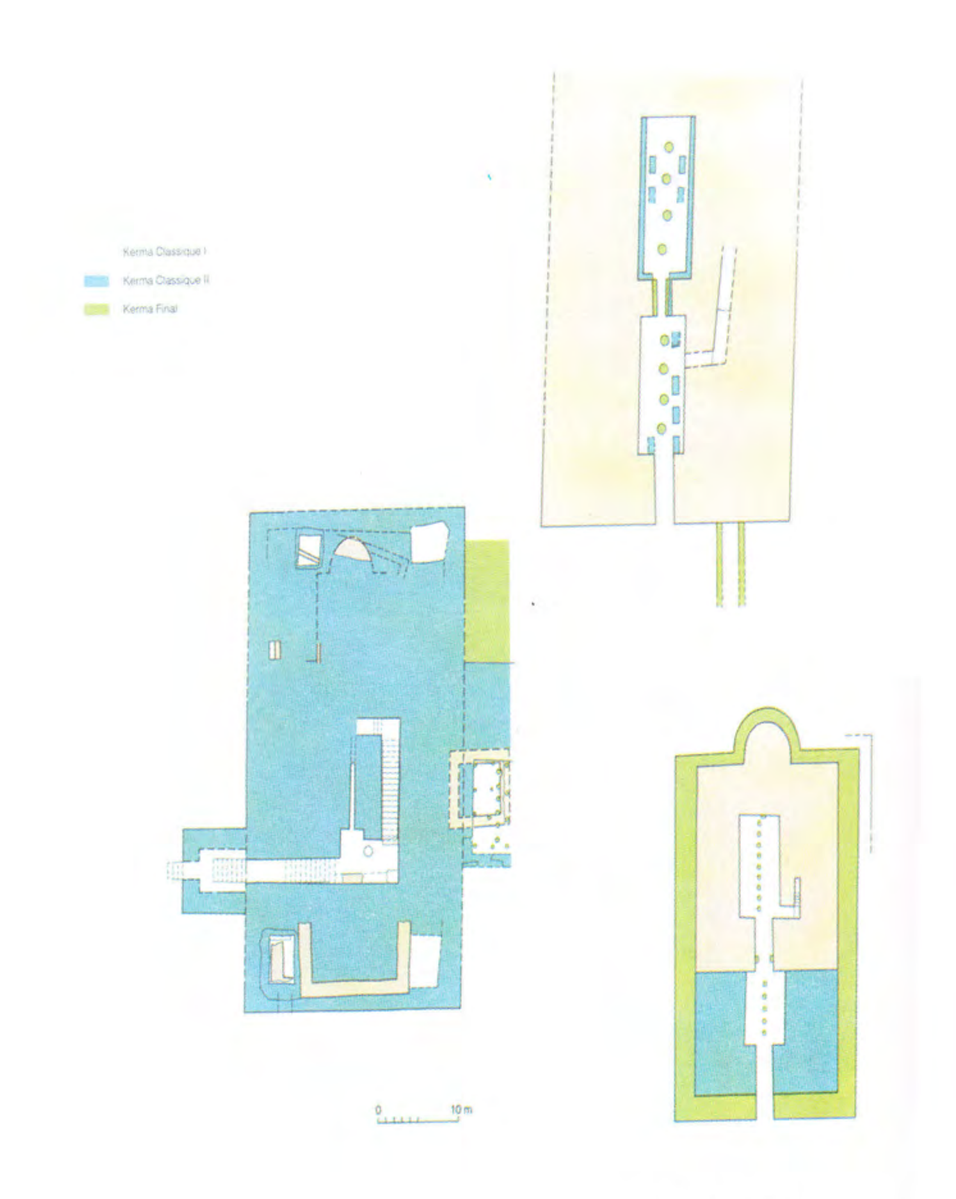
وتتطابق هذه المقاصير الجنائزية الأربعة مع مباني متشابهة لها في بقية المدينة . كما وانه في النصف الثاني من فترة كرمه الوسيطة استبدلت بعبادات منفصلة سواء بالمقابر أو بالمدينة ، حيث تحسنت اشكالها سواء في حجمها أو جدرانها أو واجهاتها .

وشهدت فترة كرمه الكلاسيكية ازدهاراً بالمملكة مما انعكس كذلك علي الإحتفالات الجنائزية . فشيدت المقصورتان (ك ١١ و ك ٢) بالقرب من الأكمة الملكية ، الى جهة الجنوب من أماكن الدفن . على شكل كتل ضخمة من الطوب اللبن متأثرة بالنموذج المصري ، سواء المصطبة أو المعبد ، واستغل البناء السقفي المقبب من الداخل (شكل رقم ٤٧). وتهيئ لنا المقصورة رقم ١١ المثال الحي للتطور المعماري . بنيت المقصورة أولاً كغرفة واحدة ضيقة من جراء زيادات في سمك جدرانها من الداخل . وتنتهي في الجهة الشمالية بشكل محرابي مستدير . وفي الزاوية الجنوبية الشرقية توجد فتحة توصل الى درج يقود الى غرفة فوق سطح المبنى . فان كان المحراب يحدد الإتجاه عامة شمال – جنوب فان المدخل والتنظيم الداخلي بالمقابل يتجهان نحو الغرب . وقد يعزي ذلك نتيجة لوضع بعض العناصر الداخلية ، مسلات او ربما ناوس ، مما استوجب هذا الميل الذي أدى الى تغيير في المحور الرئيسي (شكل رقم٤٨) .

ولحين تكامل صورة التحليل المعماري في ك ١١ ، يمكننا ان نتخيل وجود عقد داخلي قياساً على ما بالدفوفة الشرقية أو ك ٢ . بلاشك انه على أواخر فترة كرمة الكلاسيكية ، أو فى الجزء الثاني منها ، أدخل صف واحد من تسعة أعمدة . وفي النهاية يمكن أن نلاحظ أن المبنى أعيد تدعيمه بواسطة بناية ما تزال آثارها باقية . وعثرنا على بقايا عارضة مثبتة على طول الواجهة الشرقية . طبعا كلما زاد المبنى ارتفاعاً كلما زادت خطورة سقوطه ، وأيضاً تتحول العوارض المرصوصة أفقياً لتتخذ دور دعامات للبناء . أما من الخارج



شكل رقم (٤٦)
قبر ذو مقصورتان جنائزيتان



شكل رقم (٤٧)

خارطة مقارنة المقاصير الكبيرة «الدفوفة الغربية ، الدفوفة الشرقية والمبني ك ١١»



شكل رقم (٤٨)

المبني ك ١١ ، صرح ديني من فترة كرمة الكلاسيكية

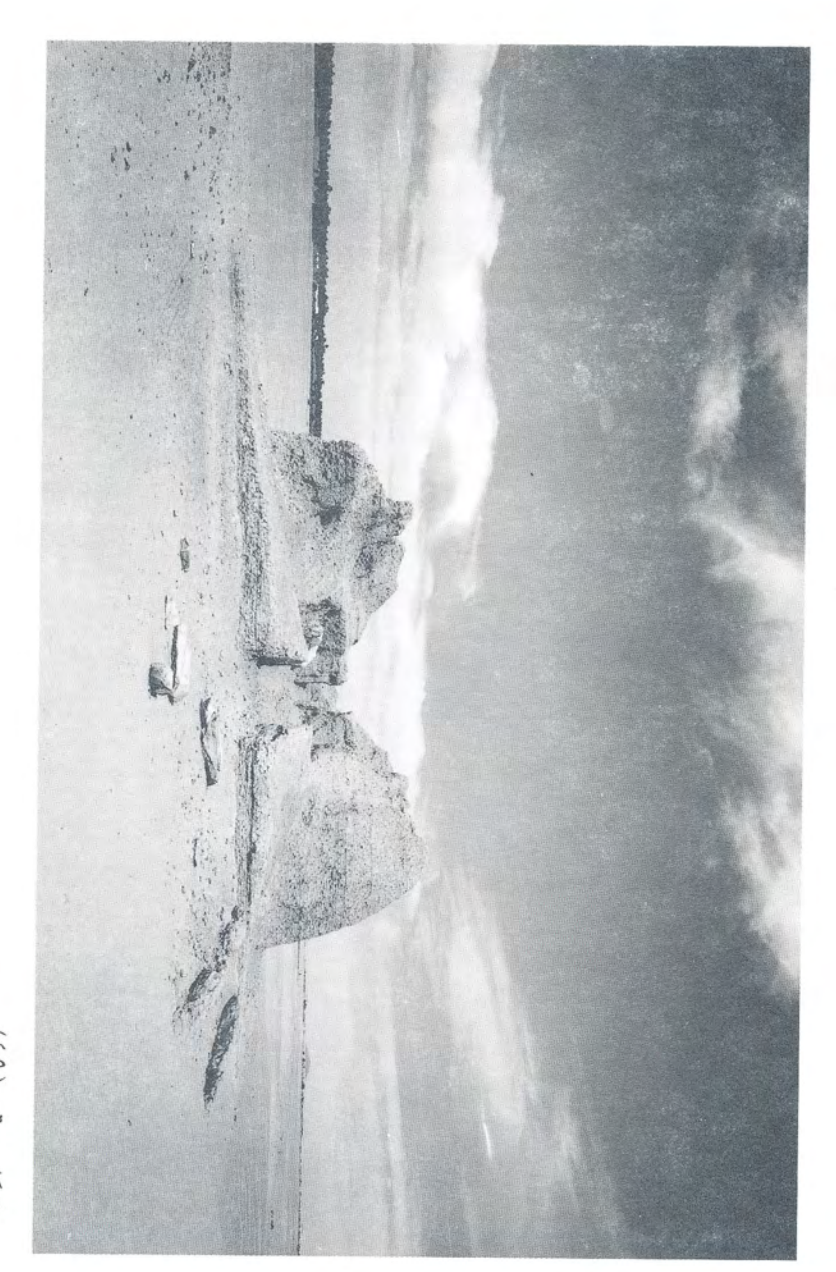
فتدعم الجدران الخارجية وتغطى واجهاتها بطبقات من الطين .

أضيفت قطعة أخرى امام المقصورة الكبيرة ، بنيت هذه الاضافة على نفس النسق المعماري ، مكونة من غرفة واحدة ذات أطوال متواضعة - اذا قيست بالمبنى ككل . وشهدت عدة ترميمات شملت إدخال صف واحد من الأعمدة ثم تبليط الأرضية ، كما في الدفوفة الشرقية (شكل رقم ٤٩)، حيث بلطت الغرفة الجنوبية عند نهاية كرمه الكلاسيكية . وأدت شدة رياح الصحراء الى تآكل وتعرية للمبنى مما استوجب أعمال هامة . فطليت الواجهات الخارجية للبنيان ورمم مرتان ما حول المبنى كله - الأولى كان من الطوب اللبن ،أما الثانية فكانت من الحجارة الرملية موزعة بطريقة غير منتظمة .

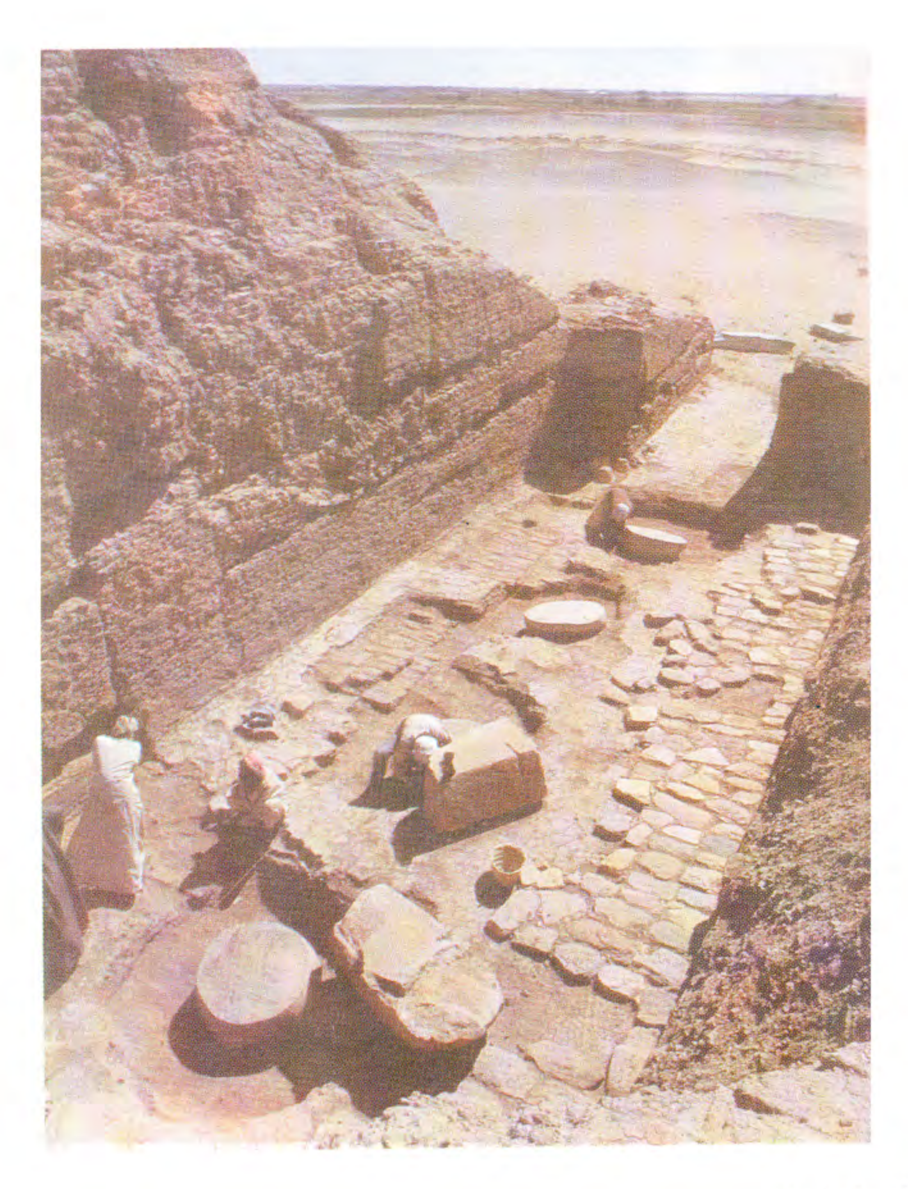
- الدفوفة الشرقية :

ربما كانت الدفوفة الشرقية صومعه جنائزية لأحد القبور الكبيرة ولكن يصعب تحديد طبيعة الطقوس الجنائزية التى كانت تجرى في هذا المبنى الكبير ، ويلاحظ أنه قد تم إستبدال أرضية الغرفة الجنوبية جزئيا بمسلات من مقابر كرمه القديمة ، وكأن القصد من ذلك اشراك هذه المآثر القديمة في طقوس مشهودة تقام داخل هذا المبنى (شكل رقم ٥٠). ان التعديلات المتعاقبة التى مرت بالمبنيين ، بجانب الادلة الى طول الاستعمال، تشهد على أهمية وظيفتهما . وتشير أنواع الفخار الذي عثر عليها ، وعينات التاريخ بواسطة كربون الشمع الى امتداد ذلك حتى بداية عصر الدولة الحديثة ، بعد غزو جيوش تحتمس الأول . وهذا يتماشى مع علامات الحريق ، الذي غالباً ما تعرضت له أثناء الهجوم ثم إحتلال المصريين للمنطقة كلها .

تقف الدفوفة الشرقية الآن ، على إرتفاع عشرة أمتار ، شاهداً على مقدرة تخطيطية ، ومهارة تنفيذية في البناء ، والمحافظة على النسب ، واختيار الزخرفة المناسبة ، وبعد كشفها رايزنر ، عرفنا انها مكونة من غرفتين مستطيلتين. يوجد في الغرفة الأولى على الجهة الشرقية ، سلم يقود الى أعلى سقف المبنى ، وتعرض هذا البناء من الطوب الى التآكل من فعل الرياح الشمالية . واذا أمكننا تحديد عرضها ما بين ٣٠ - ٤٠ متراً فان طولها قد ضاع تماماً ولم يبقى منها إلا المحراب الذي يحدد طرفها الشمالي فقط .



شكل رقم (٤٩)
الدفوفة الشرقية بكرمة



شكل رقم (٥٠)

يوضح اعادة استخدام اجزاء من المسلات القديمة في ارضية الغرفة الجنوبية بالدفوفة الشرقية

ونستدل على حجم الفراغات الداخلية ، ونسبها من خلال وجود عقد مقوس علي ارتفاع ٥,٧ متراً ، ويتبين لنا منه أن أعلى نقطه في العقد تبلغ ٩ أمتار ، وقطره ٠,٥٥ متراً ويتكون المنفذ من درج يصعد الى اعلي السقف حوالي خمسة امتار ويعكس الممر الذي يربط بين الغرفتين نفس المواصفات السابقة .

تشير التصورات الأولي للدفوفة الشرقية الي انها بنيت لغرض مقصود ، بدليل القبر الضخم المجاور ، والذي تفضى اليه . وزخرف داخلها برسومات جدارية تمثل مواكباً من الحيوانات وأطواف المراكب ، وبعض مناظر الحياة اليومية بلا شك ، كتلك التى ظهرت علي جدران ك ١١ . ومن المؤسف له ان الرسومات سواء في ك ١ و ك ٢ التى كشفها رايزنر قد اختفت تماماً ولم يبقى منها الا آثار الوانها الباهته .

فإن اقتربت هذه الرسومات من ناحية فنية مما يمكن ان يجده المرء بمصر ، نجد ان المضمون والشكل يرجعان الى تقاليد وتراث محلي مؤكد .

وظهرت أصالة التنظيم الداخلي في الزخرفة الفنية من الفيانس (القاشانى) الأزرق والأسود(شكل رقم ٥١) ، ثم بعد ذلك من الأعداد التي لا تحصى من شقق الفخار المغروزة في الطين الذي كون الأرضية الأخيرة للمبنى . كثير منها التصق بطوب محدب مستوى وبعضها غير محدد الشكل. واستطاع رايزيز تحديد شكل أسدين برأسين آدميين . وتعلق أعداد من هذه الزخارف داخل جسم خشبى كحواجز (شيش) ، وبعضها ثبت من جوانبها بطين جاف ، ربما الي السقف كحلية . والجزء الأخير، كما يقترح رايزنر، يرقد على أواني كبيرة من الطين المحروق ، توضع بالقرب من الزاوية الشمالية الشرقية من الغرفة الجنوبية . وبين الأنقاض وجدت كذلك العديد من الأشياء التي تلحق بهذه الزخارف مثل الحواشي والكنارات المثقوبة بالعرض ، والتى تتواجد بين جذوع الأخشاب ، وقطع من الحجارة المشغولة ملحقة بأجزاء خشبية ومقواه بالبرونز، ثم أسلاك من البرونز رقيقة للغاية. ويوجد كذلك العديد من رقائق الذهب ، التى وجدت بعضها ما تزال ملتصقة بقطع الفيانس . ويصعب الان استعادة تركيب الزخرفة او تحديد وضع صحائف الفيانس والكثير منها له وجه مزدوج ، أو ملتصق ببعض أجزاء الأثاث . ونشير هنا الى أجزاء



شكل رقم (٥١)
شكل زخرفي من القاشاني من الدفوفة الشرقية

مخروطية سوداء ركبت على حامل أزرق عريض (ارتفاعه ٠,٥٠ متراً) ومجموعة صحائف مموجة ، ومثبتة كل واحدة منها الى الأخرى بواسطة سلك من البرونز ، مكونة تصاميم بشكل الحرف الهيروغليفي «جد» او «ماء» تحيط بما يشبه سقف النخيل ، بجانب طيور وحيوانات أخرى .

كان بناء الدفوفة الشرقية بشكلها هذا هو حل معماري ليواكب مطلب مزدوج ، وبدرايته آزمع المهندس المعماري على اتباع خرطة بخط مائل . فحافظ علي الاتجاه التقليدي شمال جنوب ، حسبما تتطلبه الطقوس ، رابطاً بذلك الممر المركزي للقبر الملكي ك ٣ بمحور مدخل المبنى الجنائزى .

ومر هذا المبنى باربعة مراحل بناء تشهد بعزم أكيد للمحافظة علي المبنى بحالة جيدة . وكانت المشكلة الأساسية هى الضعف الشديد للعقد المقوس فى المبنى بسبب الرياح والأمطار . ولمعالجة ذلك تمت إضافة واجهة جدارية داخل الغرفة الشمالية ، وصف من الدعامات المربعة محازية لجوانب الحائط(شكل رقم ٥٢) . هذه الأعمال الأولية لم تحمي العقد من الانهيار ، ولم يبقى الا المدخل الداخلي الذي يغطيه العقد الأصلي ، واحياناً عند ما تظهر تشققات فجأة تقوم الدعامات حالاً بتضييق فجوات الشقوق هذه . وعلى أثر حريق هدد بانهيار عقد السلم، الذي زخرف بخطوط بيضاء وسوداء ، تم بناء وقفل الفراغات الداخلية بالطوب(شكل رقم٥٣) . وأقيم سلم جديد على الواجهة امام المبنى . واثناء فترة متأخرة ادخل صفان من الأعمدة ليرتكز عليها السقف الخشبى في الوقت الذي أدى تضييق جديد للباب الداخلى الى تقلص في إرتفاعه .

المبانى الدينية بالمدينة :

اتخذ التطور المعماري لاماكن العبادة خلال مراحل تطور المدينة الحضري أهمية قصوى بحيث غدا أساساً لقيام احياء ، أو مناطق دينية . وفي عصر كرمه الوسيطة كونت هذه مراكز اكتسبت مكانة متميزة في الموقع الحضري كله . ويلاحظ كذلك أن تحت الدفوفة الغربية أي معبد كرمه الكلاسيكية ، كانت المساكن الأولي نقطة بدأت منها المنازل الأخرى، ويضم المبنى محراب أولي ، ولكننا لا نستطيع التعرف علي هذه المحاريب تحت



شكل رقم (٥٢)
سلم لأحد الممرات بالدفوفة الشرقية



شكل رقم (٥٣)
الغرفة الشمالية بالدفوفة الشرقية.

المبانى القائمة حالياً ، فالدفوفة الآن ترتفع الي ١٨ متراً ، كما ان التعاقب الذي طرأ علي المدينة أحدث تغيرات عديدة في جغرافيتها ، وعليه جرت دراسات للطبقات حول وتحت مبنى الدفوفة الشاهق ، حتى نحصل على معلومات عن أقدم المراحل . وتبرز المبانى الحالية التغييرات الكثيرة التى خضعت لها في هذه المنطقة . فتشير الأسوار المتعاقبة الى الرغبة والإصرار على فصل مجموعة مبانى لتكريسها للعبادة ، وأحيطت أحد هذه الأسوار المقامة على قاعدة رملية بمستودعين لفخار متعدد الأحجام ، وأقواس أو سيوف من البرونز بل وحتى المغرة الحمراء منثورة أو محفوظة داخل الأوعية المذكورة ، وجرت العادة أن مثل هذه الأشياء توضع تحت أساسات المعابد المصرية أو ملحقاتها ، وعليه فان هذين المستودعين يمثلان جانباً من طقوس متصلة بتكريس أماكن عديدة للعبادة . وتوضح مقصورة صغيرة مرتكزة على حائط طقوس وضع الأساس وجدرانها تآكلت في أجزاء منها تدل آثار النار والفحم على وجوه التطهير الأولية ، بل وايضاً الوجبة الجماعية التى يمكن ان تصاحبها . ودفنت مسله في الزاوية الشمالية الغربية من المبنى ، تحمل على واجهاتها سطر واحد بالهيروغليوفية والتي تمثل الدلائل الأولي لاستعمال الكتابة بكرمه. وتوقد النار في الحفر الجديدة، ووجدت بها عظام كثيرة مدفونة بين الرمال كعظام الخراف ، والزراف (لأول مرة في المدينة) . وقرون الغزلان ، والوعول البرية وكذلك الأبقار . ووجدت أيضاً شقفا من اواني فخارية دقيقة ، وقطع بيض النعام ، تشير الى انها كسرت خصيصاً أثناء عملية طقس ما . كما تم العثور ايضاً على حجارة ملساء خضراء اللون . بعد دفن هذه الاشياء كلها بين حائط المقصورة وملحقاتها ، عولج سطح أرضية المكان بالطين الجاف ، ثم بالمغره الحمراء . وربما تضاف فيما بعد مجموعة أعمدة في صف يخترق وسط الغرفة المربعة الشكل . وبالقرب منه مبنى ثاني له ملحق محوري ، وله مقصورة لكنه لا يعكس نفس طقس الأساس . بشكلها المربع وعلوها البسيط فانها تتناسق مع مفهوم استمر في الإستعمال لمدةطويلة ، ذلك حيث تم ترميمه وإعادة تخطيطه عدة مرات في نفس المكان قبل أن يختفي تماماً ، عند اعادة تنظيم الحي كله . ويمكز للمرء أن يقارن هذه المبانى بالمقصورات في المقابر الشرقية في بساطتها وضعف جدرانها ، جعلاها

عرضه للتأثر الشديد ، مما أوجب تكرار ترميمها وإعادة بناءها أو حمايتها من عوامل التعرية بأسواره .

وهكذا يوضح انه تطور ، ابان النصف الأول من فترة كرمه الوسيطة ، حي ديني نحو وسط المدينة ، وبسرعة شديدة . وتؤكد المرات العديدة لإعادة بناء حائطه الشمالى الأهمية التي أوليت لهذا الحي . وشهدت المدينة فترات دمار متكررة ، كما نعرفه من كثافة طبقات الرماد والحرائق . وفي هذه الطبقات وجدنا مئات الحفر لمبانى خشبية خفيفة . وهذا الوضع يصعب معه تحديد العلاقة والإستخدام الديني لمثل هذه المبانى .

ما زالت الأبحاث جارية في هذه المنطقة ، حيث حفظت عدة طبقات للسكن سابقة للدفوفة الغربية ، والتي تبدو كأنها تمثل نقطة ارتكاز تتحكم في نمو مباني هذا الحي الديني ،الذي يحيط بها . من جهة أخرى ، وحسب المعطيات المتوفرة لدينا عن بدايات كرمه الكلاسيكية، فان المجموعة كلها غدت منطقة تغيرات دائمة . كان المعبد الرئيسى في توسع مضطرد، ونشأت حوله المقاصير . ويفصل ويعزل سياج المحاريب المختلفة وملحقاتها ومصانع كمصانع البرونز مثلاً والتى لابد وانها كانت تحت سيطرة الكهنة .

نمت المدينة القديمة على ما يبدو تدريجياً حول حرم صغير مقدس يقع الآن تحت الدفوفة الحالية . فقد تم التعرف علي عدة طبقات سكنية تشير الى وجود فترات أوغل تاريخياً ، سابقة للدفوفة . أما الدفوفة الغربية نفسها فهي حقاً نتاج تطورات معمارية عديدة حيث أمكن الآن (من التحقق) من وجود مراحل بناء بلغت الإثني عشر مرحلة ، وهذا ما سوف نستعرضه الآن .

الدفوفه الغربية :

الناظر الى الأجزاء السفلى للدفوفة (شكل رقم ٥٤) يمكنه أن يلحظ العديد من الاختلافات في ترتيب الطوب اللبن فيغطى الواجهات الحامية لجدار الجانب الشمالي بناء مستدير كأنه برج أو محراب مصمت تتطابق أبعاده ومقاسات المبنى الذي ظهر في ك ١١ (الجبانة الشرقية) . وقد عمل التآكل المستمر علي تعرية تدويرة المحراب حيث نرى فيه حالياً تخفيضاً شديداً في مقاساته وأبعاده الأصلية وتحديد اتجاهاته شمال جنوب . فكان



شكل رقم (٥٤)

منظر عام لمدخل الدفوفة الغربية الذي يقود الي سطحها

عرضه ٩ أمتار وطوله لا يتعدى الإثنى عشر متراً ، مما يوحى ببناء عظيم يطل علي المدينة . ومنذ مدة طويلة تم حفر خندق أفقى (على شكل نفق) بلا صعوبة في جسم البناء لدراسة البناء المحرابي . وقد أمكننا ملاحظة استعمال الطوب المحروق أيضاً في بناء الجدار القديم . وهذا بلا شك ، رغم بساطته أول إشارة لإستعمال الطوب المحروق في تاريخ وادي النيل وبطريقة منتظمة، حيث غدت مادة بناء خلال فترة كرمه الكلاسيكية . أما الخنادق الأخرى التي حفرت خلال أعمال النهب القديمة بجانب تحديد ارتفاع الدفوفة ، تمكنا بواسطتها ان نخلص الي ان بناء المحراب مدد بزيادات من ناحية الجنوب ، ثم الجوانب . ويتصل جسما البناء بواسطة مدخل جانبي علي الواجهة الغربية . وأمكن من خلال الترميمات العديدة المتعاقبة ربط الأجزاء الملحقة الكثيرة بجسم البناء الكلي (شكل رقم ٥٥) .

ويقود باب صغير من الخشب يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من المكان الي سلالم طويلة تنحرف بزاوية قائمة ثم تفضى الى الشرفة الموجودة على السقف (شكل رقم ٥٦). وعدد من الآثار التى وجدت على أعلى المبنى ، تشير الى وجود منشاءات أو بناء علوي خاص للعبادة .

لقد أثار هذا المبنى اللغز من المناقشات ما يجعل من غير المفيد ايرادها هنا . بيد أن الشيء الذي أدى الى المحافظة عليه هو تلك الهاله التى أضفتها عليه أدواره الدينيه وعكس آسوار استحكامات المدينه الضخمة التى دوما ما كانت تخضع للهدم ، لم تتعرض الدفوفة للخراب والدمار . من جهة أخرى ، بلا شك قد توحي طلعتها للخيال بصور المعابد المصرية ببوابتها الضخمة ، وما توحيه اسوارها . كما أن وقوعها في وسط المدينة له مغزي . وبالمقابل فان ما يسترعى الإنتباه إتجاهها نحو الشمال ، الذي يؤكده المحراب الواضح ، والمدخل الجانبي ، والتوزيع الداخلي وكلها تؤكد خاصيتها النوبية في المقام الأول . وعلى أي حال ، ما توفر لدينا من معلومات عن فن العمارة المصرية بالطوب اللبن ما بين ٢,٠٠٠ - ١,٥٠٠ ق . م شحيحة ، وعليه حتى الآن فانه يمكننا أن نجزم بان الدفوفة الغربية ستظل بلا مثيل حقيقى لها .

شكل رقم (٥٥)
يوضح مدخل «واجهة» المحراب بالدفوفة الغربية



شكل رقم (٥٦)
شكل السلم المؤدي لسطح الدفوفة الغربية

الحي الديني :

يقوم الحي الديني الممتد شرقاً وغرباً بخدمة المعبد مباشرة . فيمر مدخل الدفوفة عبر مجموعة غربية لها بابا علي الجانب . وفيما مضى ، كان هناك بهو كبير يفضي الى معابد متعددة تكون الحي ويغطى مدخله سقف عالي ، بينما انتشرت فيه أعمدة ضخمة . كان البهو في شكله الاول ضيقاً ، والدعامات تعيق الحركة فيه . ولكن فيما بعد أزيلت الدعامات ، واصبح المكان رحباً ، وتحول الى قاعة استقبال ، بل مكاناً لتجمع المواكب (شكل رقم٥٧).

يعبر المرء البهو ليواجه مدخل الدفوفة في شكل ثلاث قاعات ، والقاعة الشمالية كانت أصلاً محراباً لصومعة ، وأعيد تشييد صف الأعمدة المحوري بثلاث قواعد غرست في أرضية مرصوفة بالطوب والطين دهنت بطلاء أحمر . والى الشرق يقود درج الى سقف الصومعة أو الى سقف البهو المسنود ، بعناية بنيت الصومعة وملحقاتها من الطوب الأحمر. أن الإنتظام والتناسق الذي ظهر علي حرق الطوب ، يشهد بان ذلك لم يكن اعتباطاً، بل نتج عن حذق وتمكن في الصناعة مقصود لحد ذاته، واستغلت مادة الطوب الأحمر عند توسيع هذه المجموعة بعد التغيير الذي طرأ على بهو المدخل . فاستبدل المحراب القديم بستة غرف وملحقاتها ، فتضاعفت مساحة المكان بالتوسع نحو الغرب . ويربط ممشى ضيق ، ربما كان درجاً ، هذه المجموعة بصومعة أخرى . تم الكشف عن مبنين كبيرين مربعين بالزاوية الشمالية الغربية من الحي أكبرهما له فناء به رواق شيد جانبه الجنوبي من صفين من الأعمدة ، يبلغ طول الجانب العشرة أمتار ، وله سقف بلاشك من الخشب مرفوع على أعمدة ، وخلال مرحلة ثانية زيدت جدران هذه الصومعة ودعمت بينما حفرت في الفناء . وبالقرب من الدفوفة تظهر الصومعة الثانية بشكل يشبه المباني الجنائزية بصف من عمودين وضعا على دعامات تربط البناء . وما تزال ارضية الصومعة تحمل آثار الطلاء الأحمر . ويلحق بالمدخل رواق صغير يقود الى حفرة .

بين مباني الجزء الغربي الأخرى ماشيد ليخدم سكان المنطقة ، حين يتم الوصول اليها مباشرة خلال بهو المدخل . يوحى شكلها المعماري بانها منازل لعلية القوم ، شبيهة بتلك



شكل رقم (٥٧)
الجانب الجنوبي للحي الديني بكرمة

التى عرفت في أوقات لاحقة كثيراً ، مثل فترة نبته . يحتوى جزءه الأوسط على غرفاً للاستقبال تم رفعها قليلاً ، وتحيط به الأجزاء الخدمية وبئر للمياه، للشرب وتحضير الطعام . وقد تأكد وجود مثل هذه المساكن في أوقات لاحقة حيث احتفظت بنفس المكانة المركزية التى نشاهدها هنا . ومن البديهي ان يتصور المرء انها مساكن الكهنة ، كما وانها كانت تمد القصور الملكية ببعض الخدمات . واذا أخذ المثال المصري في الاعتبار نجد ان من الامتيازات الملكية انه يقطن في مسكن يقع في وسط حرم ديني .

وتتطابق الواجهة الشمالية لمدخل الدفوفة مع منفذ ثانوي لتسهيل الحركة ما بين المبنى الضخم والساكنين . ونذكر أن القاعة الوسطى هى الوحيدة التى لها صفين من الدعامات التى تحمل السقف . وما تزال العديد من قواعد الأعمدة المرمرية فى أماكنها الاصلية مما يمكن ان نخلص منها إلي أن الأرضية الأصلية تزامنت تاريخياً مع غرف المساكن .

ويرجع الجانب الشرقى الى عصر كرمه الكلاسيكية ، وكانت بقايا صومعتين وما يتبعهما من ملحقات مجال أبحاث جانبية ، حيث لم يكن البحث يجرى إلا من خلال حفر تجريبي ، اظهر كتلاً ضخمة من مبانى بالطوب . والى الشمال توجد بقايا جدران تشهد بوجود صوامع قديمة تعود الى فترة كرمه الوسيطة . ومقارنة بما نحن بصدده الآن يمكننا ان نلحق دوراً دينياً ، لهذه المبانى العتيقة ، والتى تتطابق تماماً مع صومعة ، ترجع الي فترات لاحقة كثيراً . وعلى الجانب الجنوبي توجد مجموعة مباني تتواري خلف احد الصوامع المربعة التابعة لها تحت الدفوفة . وعند حفر هذا الأثر ظهر جلياً الطلاء الأحمر ملتصقاً بالأجزاء السفلى للجدران ، وعلى الأرضيات وبحالة جيدة . وتؤكد قوة اللون وزهوته ان المكان ليس للعبور بل كان مخصصاً للعبادة (شكل رقم ٥٨) . ربما كانت الغرفتان المتجاورتان مخازن ، ويعد قيام صومعة جديدة فوق هذا الطلاء الأحمر مرحلة رئيسية جديدة فقد صمم المخطط كاضافة كبرى ، مرتكز على جدران عرضها ما يقرب ١,٥ متراً . وبالاضافة الى المقصورة . فقد اعدت الحفر المربعة داخل البناء بالطوب . ويعود هذا الأسلوب في البناء الي الدولة القديمة بمصر . فتبنى مصاطب المقابر بطريقة



شكل رقم (٥٨)

أرضية احدي الصوامع القديمة التي تعود لفترة حضارة كرمة الوسيطة ويظهر لون «الأوكرا» الأحمر

مشابهة جداً ، وتسير حفر المدخل الي القبور الي نسب مطابقة تماماً . وفي حالة كرمه كانت الحفر للتخزين . كما يبدو إستعمال المقصورة لاغراض جنائزية محتملاً .

واستعمال القبور المقوس للسقف قد يفسر لنا الحجم الكبير لهذه الاضافة . وكما هو الحال في الدفوفة الشرقية ، إحتمال حدوث التشقيق وارد . ولمنع سقوط المبنى شيدت ستة عشر دعامة غرزت في فجوات في الأرضية المعدة مسبقاً . وأثر حريق وبنيت جدران مساندة ، على طول الواجهات الجانبية . مع ذلك لم يقو القبو على الصمود ، فاستعيض عنه بسقف من نوع آخر ، حيث يشهد صف من قواعد الأعمدة على وجود قطع مطولة من الاخشاب كعوارض .وعملت الأرضيات المتتابعة من الطوب اللبن . وطلاء المغرة الحمراء . واكتنف المبنى حريق أخير . ولابد ان نتذكر ان خراب المبنى بواسطة حريق هو الذى أدى الى التخلص من الدفوفة الشرقية في النهاية .

والى شمالي هذا الموقع ، تقع خرائب الاضافة الثانية وهى تحمل نفس خصائص الأولى . فيحيط بها سور واسع شيدت أساساته من الحجارة . وتوجد دلائل تشير الى درج يقود الى السقف ، ولايبدو انه ممر لحماية المبنى .

ونشير الى مبنين تابعين للدفوفة ، فالأول اختفى تماماً ، ما عدا جزء يسير من المحراب الدائري ، شيد على طرفي البناء . أما المبنى الثانى ، فهو عبارة عن مبنى دائرى ترقد في وسطه قاعدة دائرية من حجر المرمر الأبيض ، مما يشير الى وجود سقف مخروطى الشكل ، يسنده عمود وسطي ، ودعامتين من الجانب . ويبدو المبنى شبيه بالأكواخ الدائرية المتوفرة ببقيةالمدينة . والفخار الذى وجد فيه يشير الى المكانه الرفيعة لهذا المبنى . إن استعمال الحجر الذي كان نادراً ، ومتانة بناء الحائط الدائري ، ونوعية الأرضية من الطوب يدعونا أن نفترض دوراً دينياً أيضاً . ويدعم هذا الافتراض كبر القاعة ، ومحاذاتها للسلم الداخلي للدفوفة . مع ذلك سيظل هذا المبنى الغريب ، الذي يرجع الى فترة كرمه الكلاسيكية فريداً .

يمكننا هذا الاستعراض للعمارة الدينية من إدراك مدى التعقيد والتشابك الذي يكتنف تنظيم المؤسسات الملحقة بالعبادة . فكما هو الحال بمصر ، يقع المعبد وسط مجمع كبير

للمعابد ، وما يتبعها من مخازن ومصانع ، وتشهد الأعداد الكبيرة المتنوعة من طبقات الاختام ، التى تم رصدها ، على التداول والتنظيم الإداري المتنوع ، كذلك على العمليات الطقوسية الخاصة بقفل وفتح الأبواب . من المحتمل ان التأثير المصري لم يقتصر على الطابع المعماري فقط ، كما نراه في مثال قرص الشمس المنحوت علي العتبة العلوية لمدخل الدفوفة الشرقية ، والتى نحتت من حجر الجرانيت ، بل تعداه وشمل أيضاً عمل المؤسسات الدينية بكرمه ، بالمقابل لم يمسح هذا التأثير المصري التقاليد والعقائد المحلية من بلاد اشتهرت وعرفت بتدينها الكبير ، بل وكانت هى الأصول الأولى التى إنحدرت منها بعض المعبودات التى ضمها مجمع اللاهوت المصري .

العمارة الجنائزية

مقابر كرمة :

تميزت جبانة كرمه عن بقية الآثار فى بلاد النوبة العليا بحجارتها السوداء والبيضاء ، التى رصت في شكل دوائر ضخمة ، تحدد مواضع المقابر . بعض الدوائر تركت آثاراً في طمي النيل المدكوك بعناية ، بلغ قطرها ما يقرب المائة متراً حيث احتفظت بشكلها الى عهد قريب (شكل رقم ٥٩) . عندما زادت الحركة الزراعية في حوض كرمه عموماً ، تمكنا من دراسة سطح منطقة المقبرة لو افترضنا ان تطور المقبرة في شكل خطوط ، تبدأ من الطرف الشمالي ، حيث توجد أقدم المقابر ، حيث تتابعت الى نهاية الفترة في الجهة الجنوبية . ومن جهة أخرى هذا تصور تخطيطي مبسط . أكثر مما يجب فهناك العديد من المقابر الكبرى ، تزاحمت حولها مقابر صغيرة تابعة لها في جسم التل الترابي ، واتخذت اعداد من المدافن الثانوية اماكنها في جسم التل الترابي ، وأمكن إدارك هذا التطور بالمقبرة وعاداتها الجنائزية ، من خلال التحليل (التوبوكرنولجي) الذى أبان التوزيع المتلاحق في الوسط الجنائزي . وقد تأيد هذا الإتجاه كذلك في ما لوحظ من تطورات نمطية في أنواع الفخار ، والأشياء الأخرى المقبورة مع الجنائز .

قامت هذه المقبرة في مكانها الحالي نسبة الى أن نفس المنطقة وجدت بها بقايا حضارة ما قبل كرمه ، حوالى الألف الرابعة قبل الميلاد ، التى احتلت نفس البقعة التى قامت بها المبانى العلوية الدائرية للمقابر . ورغم انه لم يعثر على المقابر التابعة لهذه المساكن بعد ، فلابد انها تقع قريبة منها . ويوضح هذا الوضع أنه خلافاً لما نجده في النوبة السفلى من إخلاء المنطقة ، وفترات الفراغ ، وعدم إستمرارية فان الوضع هنا يتميز باستمرارية السكن الدائم . ومما يقوى هذا الشعور بالاستمرارية الحضارية ما يلاحظه المرء من القرابة والصلة الوثيقة بين فخار ما قبل كرمه وفخار فترة كرمه القديمة .



شكل رقم (٥٩)
كوم علوي لأحد مقابر فترة كرمة الوسيطة

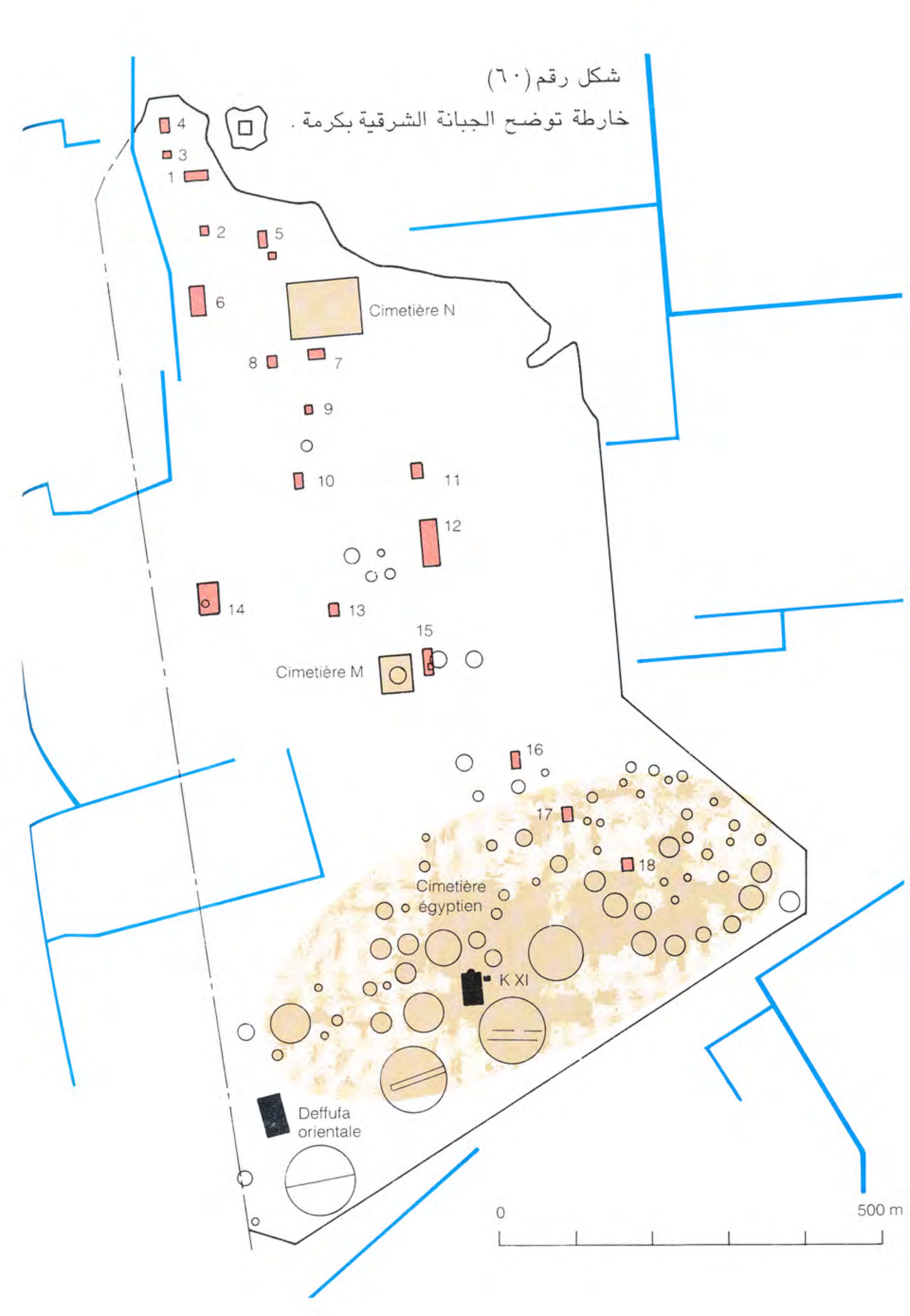
أجرى جورج رايزنر حفريات عديدة عند بداية القرن لهذا الموقع ، لمعرفة التطورات التى جرت في المقرة القديمة . وقدر أن الإحتلال المصري كان له تأثير على السكان بالمنطقة . وفي بداية عمله في القطاع الجنوبي ، والذي تم الحفر فيه بطريقة منتظمة اطلق عليه اسم المقبرة المصرية ، والى الشمال تقع المقابر النوبية التى اتصفت بفقرها الشديد .

ومكنت الدراسة التى قامت بها الآنسة برجيت جراسيان الباحثة الفرنسية عام ١٩٧٠ لمقبرة كرمه بجزيرة صاى ، التى تقع على بعد ١٥٠ كيلو متراً شمال كرمه ، ما بين الشلالين الثاني والثالث ، من ايجاد تصنيف مبتدع لحضارة كرمه . كما أبانت أن ما سماها رايزنر المقبرة المصرية تتعلق حقيقة بالفترة الكلاسكية لحضارة مملكة كوش . إن آثار كرمه الوسيطة والقديمة توجد حول المقابر رقم (م) أو رقم (ن) . وتشير هذه النتائج الأولية إشكالية العلاقات المصرية والسكان الذين يقيمون على مجرى النهر . وتتصف العادات الجنائزية النوبية خصائص تختلف كثيراً عما كانت تجرى عليه العادة بمصر . ويصبح من المفيد حصر التتابع التاريخي اعتماداً على ما يمكن جمعه من معلومات من المدينة (جراسيان واكونور) .

كان هدف بعثة جامعة جنيفا الأساسي هو البحث عن أصول الحضارة السودانية . وهكذا في محاولة لالقاء الضوء على هذه الاشكالية فقد تم حفر ما يربو على العشرين خندقاً تجريبياً خلال المقبرة أثناء السنوات الماضية . إن هذه الحفريات والتصنيف الذى تم على امتداد ١٠٠ – ٨٠ متراً الواحد تلو الآخر ، يجب أن يستكمل الأعمال السابقة ويبين لنا من خلال دراسة المادة المكتشفة العلاقات والصلات الكوشية مع جيرانهم . وقد امدنا كل قطاع بنماذج للمادة العضوية التى اخضعت للتحليل ، مثل استعمال طريقة كربون ١٤ المشع للحصول على سلسلة من التواريخ لفترات حضارية متعاقبة . وقد هيأت لنا كذلك الحفريات العثور على عدد من القبور يتراوح ما بين ٦ – ١٢ قبراً تميز كل خندق تجريبي حفر (شكل رقم ٦٠) .

نطاق الدفن ابان فترة كرمه القديمة :

تمركزت قبور كرمه القديمة على الطرف الشمالي من المقبرة . فان بدت لنا المساحة



شكل رقم (٦٠)

خارطة توضح الجبانة الشرقية بكرمة .

التى تغطيها صغيرة فان ذلك نتيجة للكثافة الكبيرة للقبور . ففي الفترات الأولية كانت الحفر تتسع فقط لجثة فرد واحد . وهنا نجد ان تكرار الدفن في نفس البقعة عدة مرات . وقد يرجع ذلك الى الفرق الكبير وقد يكون نتيجة للاختلافات السكانية . وتميزت مجموعة قبور قديمة بأحجامها الصغيرة والمنتظمة لكننا نستدل من حفرها على المقام الإجتماعي لبعض الشخصيات .

ويمكن تقسيم الأجزاء العلوية للمقابر القديمة الى نوعين . احداهما على شكل داوئر من حجارة الرمل الأسود مثبتة بتراب الطمى دعمت بواسطة الحصى(شكل رقم ٦٢،٦١) . أما النوع الثاني فيتكون من مجموعة مسلات من الحجارة مرصوصة على شكل دائرة بحيث تملأ وسطها الداخل بالحصباء ، ويتراوح قطرها ما بين ١,٢٠ – ١,٣٠ متراً (شكل رقم ٦٣). وتتميز المقابر خاصة بوجود الفخار المدفون حولها . وفي البداية كانت السلطانيات الخاصة لحضارة كرمه القديمة ، لها جزء أحمر وحافة سوداء ، وأحياناً مزخرفة باشكال هندسية نقشت بدقة . ويصاحب النوع الثاني من المقابر نفس الفخار بزيادة سلطانيات سوداء غطت جزعها زخارف محفورة مظهرة باللون الأبيض الذي يملأ حزوز الزخرفة ، وهو بذلك يربط هذا النوع بنفس النوع من فخار المجموعة «ج» بالنوبة السفلى ،والذى يتطابق شكلاً وزخرفه مع فخار كرمه هذا . وتعدد الإختيار للدفن بهذه القبور يشير الى أنها استعملت في أزمنة متأخرة نسبياً . إن هذين النوعين من القبور وما يتبعهما من نوعين مختلفين من الفخار قد يشير الى وجود تقليد بين حضارتين نتجا من هجرة مجموعة «ج» من النوبة السفلى أمام توغل هجمات المصريين في الدولة القديمة ، نتج عنه نزوح السكان واستيطانهم بين سكان كرمه . او ان مجموعة من النوبة السفلى على شكل عدد من الأسر نزحت جنوباً الى منطقة كرمه بغرض التجارة في منطقة مزدهرة ومنتعشة بغية تسهيل التبادل السلعى بين الفئتين من السكان .

ترقد الجثة في حفرة عمقها حوالي ١,٦ متراً على مفرش من الجلد المدبوغ ، والذي كان له قبل الموت ، به ثقوب بالاطراف كانت يعلق به ، أو ربما كانت لا تزال الجثة الى أسفل الحفرة . أحياناً (شكل رقم ٦٤) تغطى الجثة بمفرش جلدي آخر لحمايتها . ينظف الجلد من



شكل رقم (٦١)
البناء الخارجي للمقابر القديمة من فترة حضارة كرمة القديمة



شكل رقم (٦٢)

يوضح وضع الحصي فوق القبور



شكل رقم (٦٣)
وضــع المسلات ، قبر يعود **لفترة** كرمة الكلاسيك



شكل رقم (٦٤)
وضـع الجثة في داخل احد
قبور كرمة القديمة

شعره تماماً ، ويترك شريط بعرض ٣ سم على الحوافي كزينة . ويرقد الجسد على شقه الأيمن مقرفصاً، ويداه عادة أمام وجهه ، ورأسه نحو الشرق باتجاه شرق – غرب . وتغطى الجثة بقطع من الجلد المدبوغ اللين وتحمل دائماً تنورة معقودة من الأمام ، مصنعوعة من جلد المعيز أو الضأن ، بحيث تحتفظ بالشعر ، بينما يظهر الزي في بقيته مبدوغاً أو خالياً تماماً من الشعر . وتثبت زينة من خرز الفيانس ، أو قشر بيض النعام ، على قطع الزي بواسطة سيور جلدية في غاية الدقة شبيه بشبكة الشعر من الجلد التى تغطى رؤوس بعض النساء . وتلبس على الرجلين نعلين ، هذا اذا لم تكن موضوعة على الجنب ، وتزخرف النعل غالباً بتصاميم هندسية محفورة . ويشير فقر مواد الزينة الى أن غالبية القبور كانت سليمة لم تنهب . مع ذلك فلابد أن نلاحظ وجود الأسورة والقلائد وبها فواصل من خرز الفيانس بشكل اللالىء ، وآخر من بللور الصخور ، أو الأحجار الصلدة ، أو العظام أو الصخر . (شكل رقم ٦٥) وينعدم تقريبا الأثاث الجنائزي فيما عدا بعض سلطانيات الفخار ودبابيس من الخشب ومراوح من ريش النعام ، أو أختام من الطين المحروق . ولم تظهر قوس وسهام المحاربين إلا في فترات متأخرة بعض الشيء وترقد عادة أوتار الاقواس بين يدي المتوفي . (شكل رقم ٦٦ ، ٦٧) ويحمل على رأسه ريشة مثبتة بواسطة شريط، وقد ظهرت هذه الاشكال بين رسومات الفراعنة للجند النوبيين ويبدو أن الأقمشة الموضوعة على الأجساد كانت اكفاناً .

رغم بساطة الأثاث الجنائزى ، إلا أن العادات الممارسة كانت غاية في التعقيد والتقدير . فأثناء طقوس الوفاة يعاد قفل القبر اثناء مراحل متعددة تتخللها موائد الأكل . وفي هذه الأحوال يبدو أن الأكل والشرب قسمة مع المتوفى ، نسبة لأنه وجدت العديد من أواني الأكل كسلطانيات منكفئة على الأرض بالقرب من القبر غالباً من وجهة الشرق، بعضها يحمل آثار السوائل . أما الأواني الأخرى فقد غرست في الطين الذي اعد لعمل الكوم وترص بعض رؤوس الماشية حول القبر مما يشهد بوجود نوع من طقوس تقديم الأضاحي في شكل حيوانات في المنطقة المحيطة . في أحد هذه القبور الأولى وجد هيكلان لرجلين موضوعين جنباً الى جنب يبلغ عمر أحدهما ٤٥ سنة والآخر ٥٥ سنة ، وكان رأس ووسط



شكل رقم (٦٥)
أدوات الزينة «الحلى» المستخدمة في حضارة كرمة القديمة





شكل رقم (٦٦) ، (٦٧)
قبر احد رماة السهام من فترة كرمة

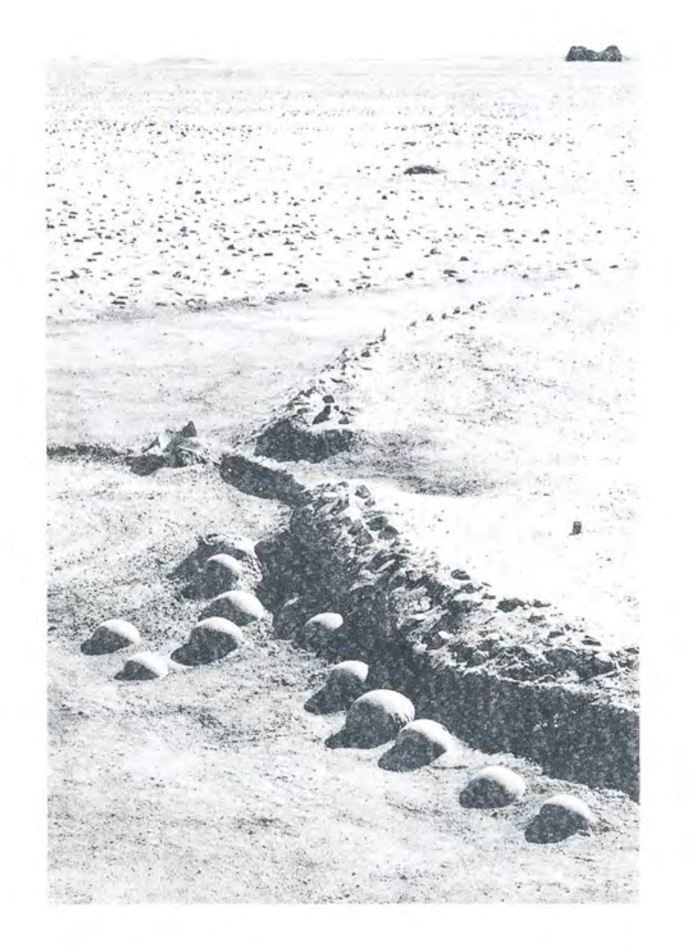
كل منهما قد تحول نحو الأرض . وهذا الوضع لجسمي المتوفين يطابق أوضاعاً مشابهة ترد باضطراد في الفترات اللاحقة مرتبطة بطقوس تقديم الضحايا الآدميين ، والذي يشير الى أن هذا طقس متواتر خلال حقب عديدة حتى شملت فترات أولي في العهد النيوليتي .(شكل رقم ٦٨) ويبدو أن عادة تقديم الضحايا الآدمية ، والتى تضاعفت أعدادها خلال التاريخ الطويل للمملكة، أو الحيوانية التى انتقلت إلي داخل حفرة القبر بشكل أعداد من الحيوانات كاملة لا أجزاء منها فقط ، كانت كلها تدور مع تطور تصور الحياة في العالم الآخر . ففي كرمه القديمة يتبع المتوفى واحد او اثنان ، ولكنه في الفترات اللاحقة ارتفع هذا العدد كثيراً حتى بلغ عدة مئات. ولايبدو أن هذه الضحايا كانت نتيجة مذابح على أثر قتال ، أو غزو عدو للمنطقة ، ثم ادخلت في التصوير الديني . وقد تبدو وحشية همجية هذا الطقس، ولكن اذا قبلنا الافتراض، آخذين في الاعتبار القرابين المتعددة ، لفكرة الحياة الآخرة يمكننا ان نعترف بان ذلك كله جزء من متاع يتبع المتوفي . ومن خلال تحليل عينات كربون ١٤ المشع يمكن تحديد القطاع ٤ – ٨ بفترة كرمه القديمة ، والذي يحتل مساحة هامة في المحيط الجنائزي . وتمثل بفترات حضارية متعددة عكست تطوراً مستمراً يشاد في طريق الدفن ، وفي ما يقبر مع المتوفى ، وما طرأ عليها من تحولات تدريجية . فيبدأ أولاً بتوسيع حفرة القبر ، ولايبدو أن هذا التوسع من جراء الرغبة في اضافة زيادات علي كمية القرابين التى تدفن مع الميت ، ولكن من المحتمل أيضاً لايجاد مكان مناسب لوضع مفرشين من الجلد ، احداهما يغطى المتوفى والثانى تحته .

وبدأ يظهر نوع جديد من الخزف ، يحتوى على سلطانيات كروية من طينة ناعمة ولونها رمادي علي بنى أو أسمر فاتح . ويتبعه زخرفة محفورة تحت الحافة ، ويصاحبها أحياناً ازار مطروقة مصفوفة . مثل هذا النوع من النقش البارز بشكل البسله ، يظهر أيضاً على فخار وسط السودان ، عثر عليه خاصة بكسلا . وأمدتنا منطقة واحدة محصورة في المقبرة ببعض الكميات من الأواني التى تحمل هذه الزخرفة والتي تشهد على النفوذ الأجنبي . بعض الأمثلة جاءت كذلك من فترات متأخرة قليلاً . أما ما يخص الفخار المستورد من مصر فلا أثر له في كرمه القديمة ، إلا من خلال قطع صغيرة نادرة . بعض



شكل رقم (٦٨)

مقبرة توضح احد الضحايا الأدمية



شكل رقم (٦٩)

بعض السلطانيات التي كانت توضع مقلوبة حول القبر في أثناء الطقوس الجنائزية

حفر المقابر توسعت كثيراً بلغ عمقها ٥ ر ١ – ٢ متراً وقطرها ٨ أمتار . وهى تمثل قمة التدرج في مجتمع وصل فيه الرئيس والحاكم الى أعلى فترات القوة . يتطلب العمل في تحضير مثل هذه المقابر جهداً كبيراً لأن الأرض صلبة كما ترص حول القبور الكبرى العديد من السلطانيات المنكفئة علي الأرض (شكل رقم ٦٩) . وكانت قبور الطبقات العليا ملحقة مباشرة بالقبور الرئيسية ، حيث رتبت على أطرافها دوائر الحجارة السوداء التى تعين فى تحديد للكوم . واحتلت بقية المقابر كل الفراغات المتاحة في هذا القطاع المتميز . يعضد الأثاث الجنائزي بالمرايا ، والخناجر البرونزية ، وتشمل الزينة المصاحبة للميت أشياء كأسورة العاج ، وحلقات الأذن من العظام ، أو الدلايات من الصدف البحرى الكبير . وعلى كل جسد توجد قلادات وأسورة من خرز الفيانس . وتزان الملابس التي من الجلد دوماً بتصاميم هنذسية مصنوعة من خرز الفيانس ، (شكل رقم ٧٠) أبيض أو متعدد الألوان . (شكل رقم ٧١)وأضيفت لاحقاً الأوانى الفخارية الي المواد التى تقبر داخل حفرة القبر ، وهى تحتوى على مواد مختلفة بلا شك بعضها للطعام والأخرى كانت للدهان والأصباغ . وتبين العديد من العناصر تطور الطقوس الجنائزية ، فما تزال الخراف توضع على جنوب المتوفى .

ويشير وجود الكلاب الى أن بعضهم كان يربى ويأخذ معه حيوانات منزلية في بعض قبور كرمه القديمة ، وتشارك الأعداد الكبيرة للخراف ، التى تدفن في المقبرة ، في طقوس مختلفة وتزان رؤوس بعضها بقرص مصنوع من ريش النعام ، ثبت على قطعة جلدية بحيث تقبع على قمة الرأس ، وتثبت القطعة كلها بواسطة جلد لف حول الرقبة ويمر حبل من الجلد خلال القرون المثقوبة سلفاً ، وينتهى بدلايات جميلة من الخرز الملون ، بتصاميم هندسية بلون أسود ، أو أبيض على أرضية زرقاء وتحمل هذه الخرمات زمام مجدول متصل بحبل ونثرت المغرة الحمراء بجانب حبوب الشعير على أصدافها .

إن الذى وصفناه سابقاً يجعلنا نعتقد أننا أمام مدفن رأس قطيع يمتلكه المتوفى . وأحياناً تكون هذه الحيوانات صغيرة السن جداً بالنسبة لهذا الدور الذي يفترض أن تقوم به . وعليه فربما جهزت خصيصاً لتأخذ مكانتها الى جانب الميت . ونشير هنا الى العثور



شكل رقم (٧٠)
حلية وجدت مربوطة
على قرن احد الخراف





شكل رقم (٧١)
تصور لإعادة تشكيل حلية لكبش وجد داخل احد المقابر

على تمثال لرأس خروف من حجر المرو ، في مقبرة رقم «م» بكرمه الكلاسيكية . والى العديد من تماثيل الطين للمعيز ، جاءت من بيوت تابعة لفترتي كرمه الوسطى والكلاسيكية وفي اثناء الفترات اللاحقة توضع داخل القبور ، في الجهة الشمالية ، قطع من لحم الضأن بينما تقبر أخرى كاملة في الجهة الأخرى من حفرة القبر . بالإضافة إلى ذلك فهناك تمييزاً ظاهراً بين قربان الطعام وبين القرابين المقدمة كضحايا آدمية ، أو حيوانية .

وقد نرى في وجود الكباش اصل عبادة أمون النوبي في شكل كبش (ليكلانت ١٩٧٣، ولوال ١٩٧٥) ، والذى الحقه بعض الباحثين بالماء والخصوبة (ويلدونج ١٩٧٣) ، و دراسة رسومات الصخور التى عثر عليها بالصحراء وبوادى النيل ، حيث ظهرت الكباش ، تدفعنا ان ننظر اليها من خلال تفسير ديني ، نسبة لأن القرص على الجبهة ، وما يصاحبه من انواط تتدلى من القرون ، والتى ترد باضطراد في عدة مناطق ، تعبر عن حلي لصيقة باحتفالات طقوسية مجددة . وفي نفس الوقت كان الخروف وعليه القرص لا يجسد رباً من الأرباب ، بل بالأحرى يلعب دوراً وسيطاً يقدم كقربان عند نهاية الطقس .

إن عادة الجمع بين قطع اللحم ، وخرفان كاملة في قبر واحد ، لتشير الى وجود نوعين من تقديم القرابين ذوات طبيعة مختلفة . وكثيراً ما تنثر المغرة الحمراء على أصواف هذه الحيوانات ، وقد نجدها أيضاً على أرضية المقاصير ، والمحاريب ، وعلى كثير من إبداعات النذور . ومن الواضح ان الخراف تشارك مباشرة في طقوس دينية أو سحرية . أما فيما يختص بأنها تمثل أحد الآلهة ، أو حيوانه المقدس ، أو أحد مظاهره ، فهذا سيظل تساؤل مفتوح .

ولا يخفى علينا أن ننبهه الى الصلة بين هذه القرابين ، وتكرار ما في شكل آلهة ، وما نجده في الوسط الجنائزي المصري ، من حيوانات كثيرة محنطة ، وفي القبور صارت الأقواس والسهام ، الخناجر والسيوف كجزء من الجهاز الجنائزي يعيد الى ذاكرتنا شهرة الجنود الكوشيين حيث تستكمل الفوؤس ورؤوس الدبابيس الحجرية ، عدة التسليح ، وتشهد آثار الجروح ، التى وجدت على عظام كثير من الأفراد ، عدم الإستقرار في هذه الفترة ، والهجوم العدائى ضد العاصمة ، حيث عثر علي العديد من آثار الخراب والدمار .

وتوفرت لنا رسومات تمثل الجنود النوبيين ، والذين جندوا في الجيش المصري من خلال نماذج من الخشب بالحفر البارز ، حيث تعرفنا علي رماة السهام ، عليهم أوزارهم المزانة بمربعات ، ومطلية بألوان براقة ، وقلادهم وأسورتهم المصقولة بخرز الفيانس .

مقبرة كرمه الوسيطه :

شهدت كرمه الوسيطة ازدياد الفروقات الاجتماعية ، حتى ولو لم يسمح الجهاز الجنائزي تمييز الطبقات السكانية . فتوسعت حفر الدفن ، وتنوعت المواد المودوعة في القبر وفي كل قبر يكون الشخص الرئيسي غير منتظم ، ومن المحتمل ان نستنتج ان الميت حمل معه حلى ذات قيمة عالية ربما كانت ذهباً(شكل رقم ٧٢) . ويتكون الجزء العلوي للقبر من حلقات الحجارة السوداء ، رصت على اكمة ، ثبتت حشوتها الحصا . وعلى الجانب الشرقي تتناقص أعداد السلطانيات ، وتغرز الأواني الصغيرة بين الفجوات ، وتتضاعف أعداد رؤوس الماشية في شكل نصف دائرة أو مستطيل على جنوب الأكمة ، حيث تم حصر خمسمائة رأس في أحد قبور الحكام (شكل رقم٧٣) . ويرتفع القبر من جهة الغرب على حسب مستوى المحراب التابع له (شكل رقم ٧٤) .

ويتراوح قطر حفرة الدفن ما بين مترين الى اثني عشر ، وعمقها بلغ ما بين ١,٥ الى مترين بينما يكون كوم التراب فوقها ممتداً اكثر من حجم الحفرة على كل الجوانب . وفي داخل الحفرة استبدل جلد البقر بسرير (عنقريب) يرقد عليه الشخص الرئيسى مقرفصاً (بشكل الجنين في بطن امه) . وتوضع الأطعمة المقدمة كقرابين في الجهة الشمالية . وتوجد أوانى لها بطن واسعة ولها فتحة كبيرة جداً ، وموضوعة على حوامل من الخشب ، وتتبعها كواري ، وجفان صغيرة حمراء بحافة سوداء . وتنصب جرار للحبوب ملتصقة بجوانب الحفرة في صف مع المرقد . وتحشر ما بين هذه الأوانى الفخارية كتل من اللحمة تحتوى على الأكتاف ، وأفخاذ وأقفاص صدر ، وأجزاء من فقرات العمود الفقري من الخراف ، وعلى نفس الجانب توجد صناديق وسحارات من الخشب الملون (شكل رقم ٧٥) والصنابير المعدنية ، وخطاف السمك من العاج ، وعدة عمل من الحجر ، ورؤوس سهام ، وسكين من البرونز(شكل رقم ٧٦) . وبالقرب من رأس المتوفى توجد أوانى



شكل رقم (٧٢) حفر احد المقابر بالجبانة الشرقية



شكل رقم (٧٣)
جماجم وقرون الماشية من عهد فترة حضارة كرمة الوسيطة



شكل رقم (٧٤)

شكل القبر ، بجواره محراب بالاضافة الي رؤوس الماشية يرجع الي فترة حضارة كرمة الوسيطة



شكل رقم (٧٥)
استخدام صندوق من الخشب ضمن الاثاث الجنائزي في مقبرة من فترة كرمة الوسيطة



شكل رقم (٧٦)

بعض من محتويات صندوق وضع داخل مقبرة

صغيرة بعضها يضم احياناً نماذج للخبز من الطين .

توجد الضحايا الآدمية والحيوانية على الجهتين الجنوبية والغربية وتوجد الكلاب على أطراف الأسرة (العناقريب) . أو تحت اللحة الخشبية المثبتة أفقياً على هيكل السرير لمد أرجل المتوفي اليها . وفي نفس المكان وعلى طول إمتداد السرير وضعت الخراف ، والتي سوف نراها مستمرة بانتظام في القبور . والعديد من القطعان الحيوانية المختلفة نثرت بحيث شملت في أحد القبور حوالي خمسة عشر عنزاً لفت رؤوسها الى الخلف . والقبور الكبيرة تتضاعف فيها هذه الحيوانات ، تحمل زينة كالتى وضعت سابقاً – قرص وريش النعام والحلقات .

إستمرت عادة تقديم الضحايا الآدمية – خلال فترة كرمه الوسيطة – وقلما يعرف كيف تقبل المسئولين عن الحكم استمرار تطور هذا الطقس الذي يؤدى الى نتائج محزنة لبقاء المجتمع .(شكل رقم (٧٧) ، (٧٨))فهذه الممارسة تشمل غالباً القطاع الشبابي من السكان ، حيث لا يندر وجود جثة امرأة مقدمة كضحية ، ترقد الى جانب شخص ذكر رئيسى ، وواحد أو عدة أشخاص من المراهقين بل وأطفال . ففي احد القبور من القاطع ١٣ نجد رجلاً يزيد عمره عن الستين عاماً قد تبعه شخص مراهق عمره ١٢ – ١٠ سنوات ، وثلاثة اطفال ما بين ٧ – ٦ سنوات ، وآخر فى عمر سنتين . يشير هذا التركيب الى محاولة لحفظ العناصر التى تكون الأسرة والمجتمع في الحياة الآخرة (شكل رقم (٧٩) ،(٨٠)) .

إن المساحة التى تغطيها مقبرة كرمه الوسيطة لجد كبيرة ، فجانب التوسع في حجم القبور ، فربما امتدت هذه الفترة زمنياً لمدة أطول مما قدر لها ، وربما امتدت لفترة تتزامن مع فترة الاضمحلال الثانية بمصر . رغم اعترافنا بأن التقسيم الداخلي لحضارة كرمه ما زال موضوع نقاش ، فلابد من أن نشير الى أن الفترة الإنتقالية ما بين كرمه الوسيطة وكرمه الكلاسيكية كانت جد قصيرة .

قبور كرمه الكلاسيكية :

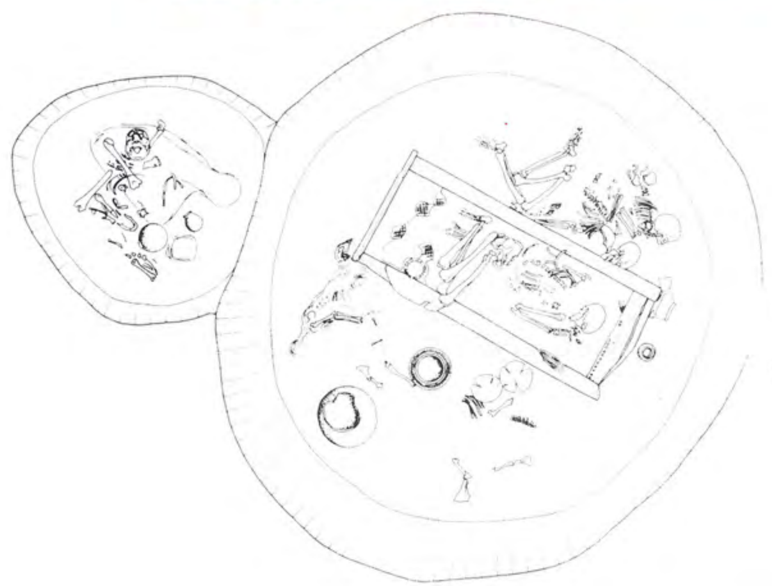
اثناء حضارة كرمه الكلاسيكية التى تميز قمة مملكة كوش ، كانت القبور معلمة بدوائر الحجارة السوداء التى رصت أحياناً في شكل زخرفي كالمثلثات أو خطوط رأسية .





شكل رقم (٧٧) ، (٧٨)
المتوفي داخل القبر ، ويلاحظ وجود
ضحيتان آدميتان بجانبيه
وخارطة لهذا القبر.



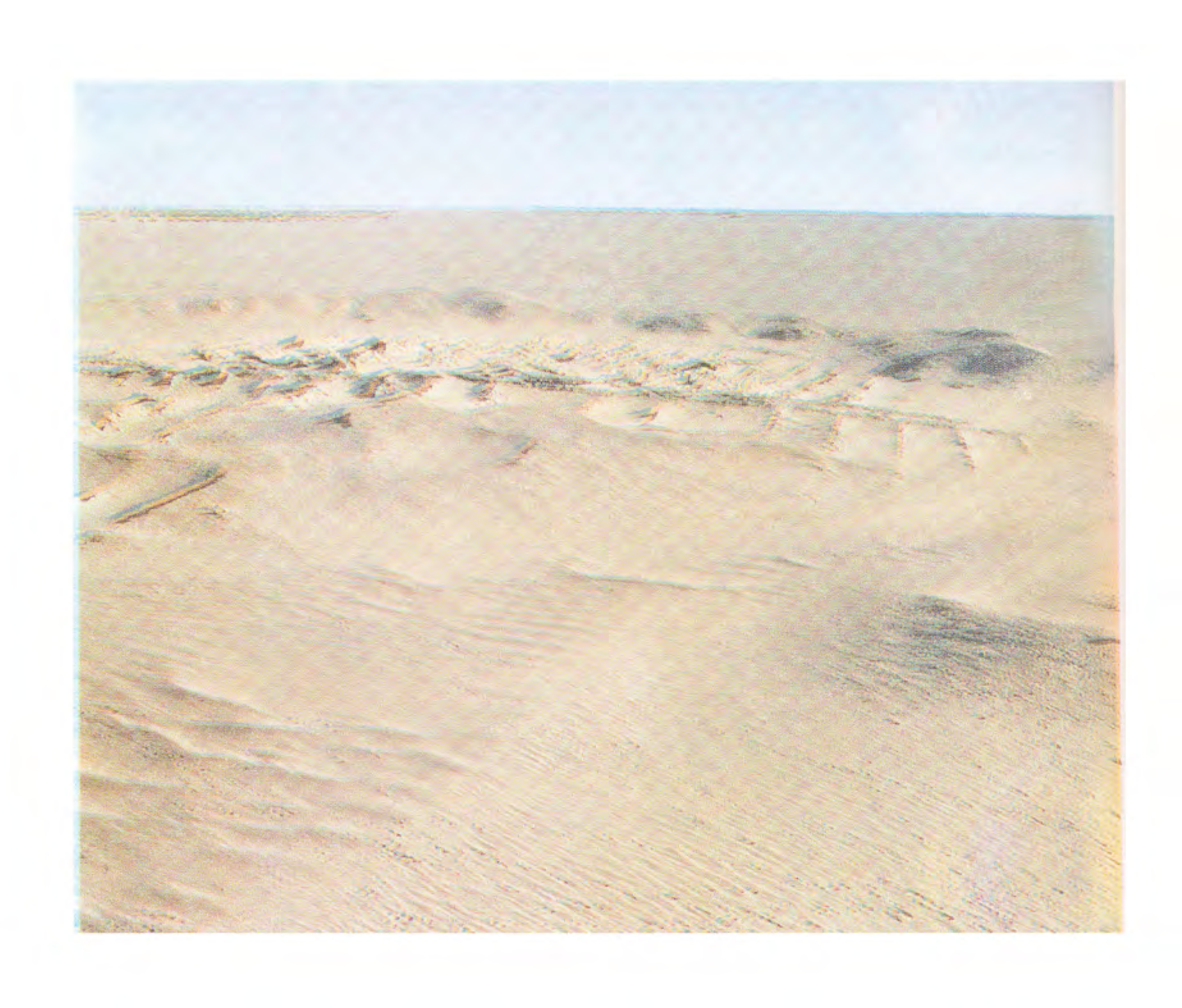


ں رقم(٧٩)، (٨٠)
ة الدفن . المتوفي
سي «صاحب المقبرة»
سريرد في وضع شبه
فص

خارطة توضح القبر ومحتوياته

واستمرت الحصباء البيضاء تغطى الفراغات كحشو . ولكن في حالة قبور الحكام ، يوضع زيادة على ذلك ، حجر من المرمر الأبيض ضخم بحالته الطبيعية . وفي القبور الكبيرة يشيد الجزء العلوي فوق شبكة من الجدران المتوازية ، أو بشكل أشعة لتثبيت جسم الكوم من عوامل التعرية . ولا نعرف إلا قبراً واحداً ، رصت أرضيته بالطوب حول فتحة القبر . والي الشمال الشرقي لهذا القبر شيدت مقصورة ، او مقصورتان ، ربما ارتبطت بالمدافن التى تفضى اليها بواسطة ممر . ورصت رؤوس الأبقار على الجهة الجنوبية للكوم في شكل نصف دائرى ، ولم تتبع عادة رص الأواني الفخارية بخارج القبر ، بالمقابل تشير الأواني التى عثر عليها في أماكنها داخل المقاصير ، وأمامها ، والكميات الهائلة من الشقق المكسرة على الأرض ، الى الشكل المعقد للطقوس التى تدار داخل هذا الجزء من المقابر . ومن المحتمل أنه خلافاً للفترات السابقة يكسر الفخار أثناء الوليمة الجنائزية ، التى تحتوى أيضاً على مشروبات ، مشاركه مع الميت . يمكن التحقق من هذه العاده التى ظهرت بكرمه فى فترات متأخره ، كما يحدث فى فترات مروى حيث تكسر جرار النبيذ في ممر القبر قبيل قفل حجرة الدفن الخاصة ، حيث تعمل هذه الشقق في قفل الباب .

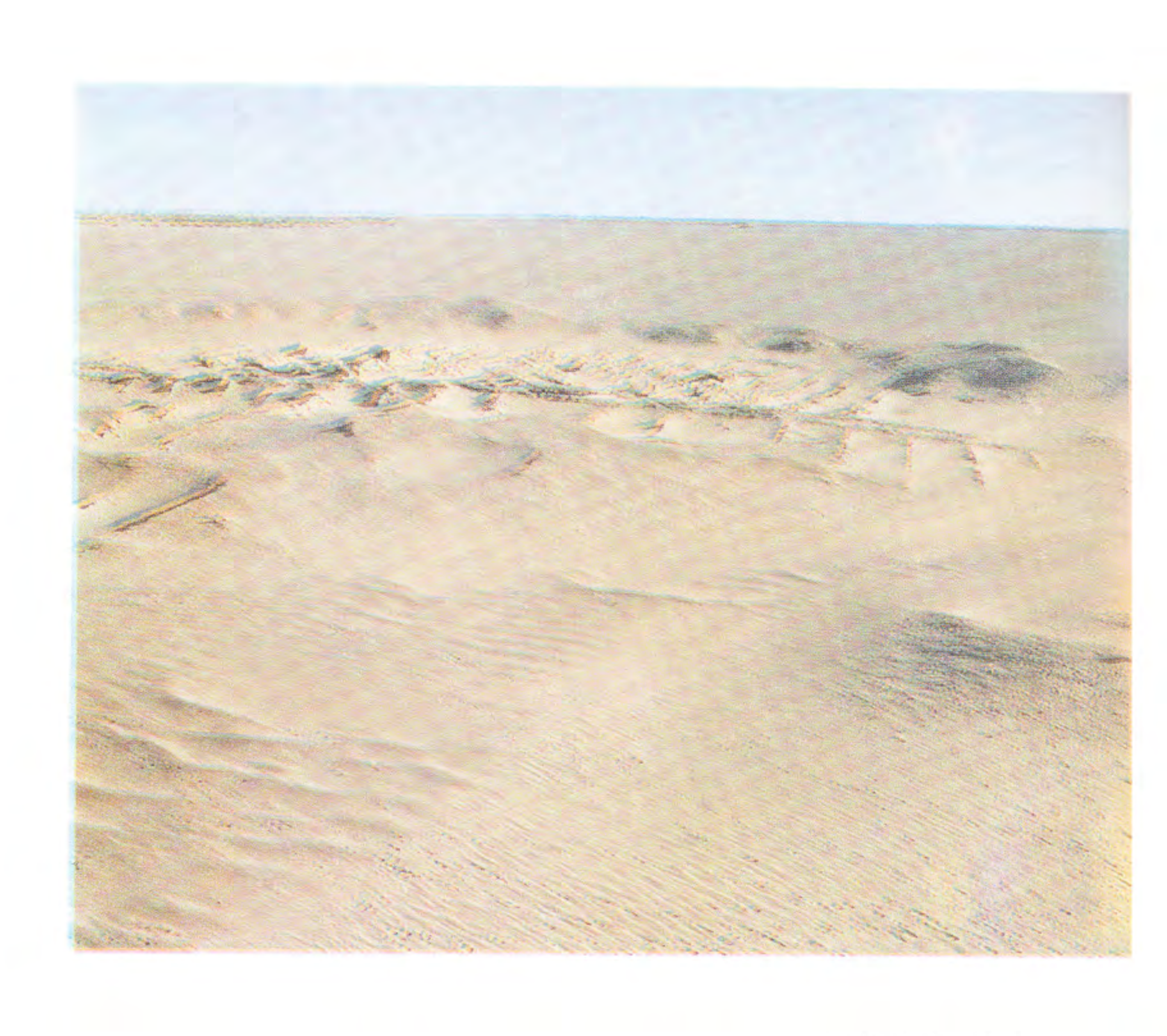
تحت الكوم الضخم لقبور بعض الحكام اكتشف جورج رايزنر وجود تنظيم يختلف عما هو معروف في بقية أجزاء المقبرة ، عبارة عن غرفة جنائزية مشيدة من الطوب اللبن . وقبل تشييد الكوم الترابي ، بنى ممر مقسم الى نصفين في وسط الكوم ، في اتجاه شرق غرب ، مقسماً المساحة الدائرية الى نصفين ، ويوصل الى غرف الدفن المحفورة بالقرب من مركز الكوم على جانب الممر (شكل ٨١). وعلى طول هذا الممر ترقد عشرات الضحايا بلغت في احد الممرات أكثر من ٤٠٠ شخص . ان منظر الرجال والنساء والأطفال وهم يلحقون بملكهم في الموت ليضفى على حضارة كرمه شيئاً من البربرية ، ومن المؤكد أن بعض الأشخاص ارغموا علي الخضوع لمصير مشابه لان وضع اطرافهم كانت في وضع وكأنها تحمى رؤوسهم . مع ذلك يجب ان نثبت ان غالبية الاشخاص كانوا يرقدون رقدتهم الأخيرة العادية ، وبلاشك قد تقبلوا طوعاً هذه التضحية الطقوسية ، والتى كانت هامة للغاية بحيث لا يمكن للفرد أن ينسحب منها او يرفضها .



شكل رقم (٨١)
منظر عام لأحد قبور الامراء ، فترة حضارة كرمة الكلاسيكية

واستمرت الحصباء البيضاء تغطى الفراغات كحشو . ولكن في حالة قبور الحكام ، يوضع زيادة على ذلك ، حجر من المرمر الأبيض ضخم بحالته الطبيعية . وفي القبور الكبيرة يشيد الجزء العلوي فوق شبكة من الجدران المتوازية ، أو بشكل أشعة لتثبيت جسم الكوم من عوامل التعرية . ولا نعرف إلا قبراً واحداً ، رصت أرضيته بالطوب حول فتحة القبر . والي الشمال الشرقي لهذا القبر شيدت مقصورة ، او مقصورتان ، ربما ارتبطت بالمدافن التى تفضى اليها بواسطة ممر . ورصت رؤوس الأبقار على الجهة الجنوبية للكوم في شكل نصف دائرى ، ولم تتبع عادة رص الأواني الفخارية بخارج القبر ، بالمقابل تشير الأواني التى عثر عليها في أماكنها داخل المقاصير ، وأمامها ، والكميات الهائلة من الشقق المكسرة على الأرض ، الى الشكل المعقد للطقوس التى تدار داخل هذا الجزء من المقابر . ومن المحتمل أنه خلافاً للفترات السابقة يكسر الفخار أثناء الوليمة الجنائزية ، التى تحتوى أيضاً على مشروبات ، مشاركه مع الميت . يمكن التحقق من هذه العاده التى ظهرت بكرمه فى فترات متأخره ، كما يحدث فى فترات مروى حيث تكسر جرار النبيذ في ممر القبر قبيل قفل حجرة الدفن الخاصة ، حيث تعمل هذه الشقق في قفل الباب .

تحت الكوم الضخم لقبور بعض الحكام اكتشف جورج رايزنر وجود تنظيم يختلف عما هو معروف في بقية أجزاء المقبرة ، عبارة عن غرفة جنائزية مشيدة من الطوب اللبن . وقبل تشييد الكوم الترابي ، بنى ممر مقسم الى نصفين في وسط الكوم ، في اتجاه شرق غرب ، مقسماً المساحة الدائرية الى نصفين ، ويوصل الى غرف الدفن المحفورة بالقرب من مركز الكوم على جانب الممر (شكل ٨١) . وعلى طول هذا الممر ترقد عشرات الضحايا بلغت في احد الممرات أكثر من ٤٠٠ شخص . ان منظر الرجال والنساء والأطفال وهم يلحقون بملكهم في الموت ليضفى على حضارة كرمه شيئاً من البربرية ، ومن المؤكد أن بعض الأشخاص ارغموا علي الخضوع لمصير مشابه لان وضع اطرافهم كانت في وضع وكأنها تحمى رؤوسهم . مع ذلك يجب ان نثبت ان غالبية الاشخاص كانوا يرقدون رقدتهم الأخيرة العادية ، وبلاشك قد تقبلوا طوعاً هذه التضحية الطقوسية ، والتى كانت هامة للغاية بحيث لا يمكن للفرد أن ينسحب منها او يرفضها .



شكل رقم (٨١)
منظر عام لأحد قبور الامراء ، فترة حضارة كرمة الكلاسيكية

حسب خطة العادة الجنائزية ، لا يمكن فصل قبور الحكام من المقابر الأخرى . فالدفن في مقابر كرمه الكلاسيكية جماعياً يتجاوز أحياناً عدد الأشخاص الضحايا العشرات . وكما ندركه من وجود سرير للمتوفى الرئيسي ، فقد اتخذت حفرة الدفن شكلاً مستطيلاً بلغ في مرات عشرة أمتار طولاً أو أكثر ، مما سمح لوجود العديد من النذور والقرابين . وتناثرت في نفس الوقت خلال الكوم الكبير المقابر الثانوية ربما هى أيضاً ضحايا ، ولكن المساحة المتاحة حصرت الحفر وجعلت المدفونين يترادفون فيها . وتناقصت أعداد الخراف الكاملة ، التى توضع بالقرب من المتوفى ، ومن ثم فانه لا نجد في حالة المقابر الصغيرة الحجم ، إلا واحد أو اثنين من هذه الخراف .

بالمثل فان الثراء المدهش للجهاز الجنائزي أدى الى تمييز هذا القطاع من المقبرة عن بقية القطاعات الأخرى . فعندما تكون المقبرة كاملة ، يدهش المرء من كميات الأواني الفخارية ، أو من الالبستر ، موضوعة في قعر حفر الدفن ، محتوية على الأطعمة أو أشياء للاستعمال في الحياة اليومية . وتكدس الأواني بعضها فوق بعض ، تعكس رغبة في تكوين مخزون من هذا الفخار . ولكثير من هذه الطاسات الكبيرة قاع مقعر تقريباً ، وبطن واسعة ، وشفة دقيقة ، وهى صفراء بالخارج سوداء بالداخل ولها شريط أسود بالحافة . ويزين الجزع شريط غير منتظم رمادي أو أبيض اللون . نستدل من كميات الآنية الوفيرة للأنواع الأخرى الى المستوى الزاقي الذي وصل اليه الصناع المهرة بكرمه الكلاسكية (شكل رقم ٨٢). وتشير المواد المصنوعة من الفيانس إلى ثراء التنوع ، الشيء الذي إنعكس أيضاً في صناعة الأثاثات . كما يظهر خواصه في مرصعات وتطعيم الأسرة ، والتى تشمل أحياناً أرجل بهيئة أظلاف الماشية(شكل رقم ٨٣ ، ٨٤) وتغطى بصفائح الذهب . ولوحات رصعت عليها تصاميم زخرفية بالعاج أو البرونز . تثبت الحلي والأسلحة التى يحملها الميت الرئيسى لبعض الضحايا ثراء مماثلاً . وتعلق بحزام في وسط المتوفى سكاكين مختلفة الأنواع ، (شكل رقم ٨٥) وخناجر وسيوف غالباً محفوظة في أغمادها الجلدية . وتوضع بالقرب من السرير مواد الزينة التى وصفت آنفاً ، منها الموسي التى تشبه امثال لها مصرية ، وأوعية من الالبستر مرمرية ، وأوعية فخارية لخضاب الحناء ،

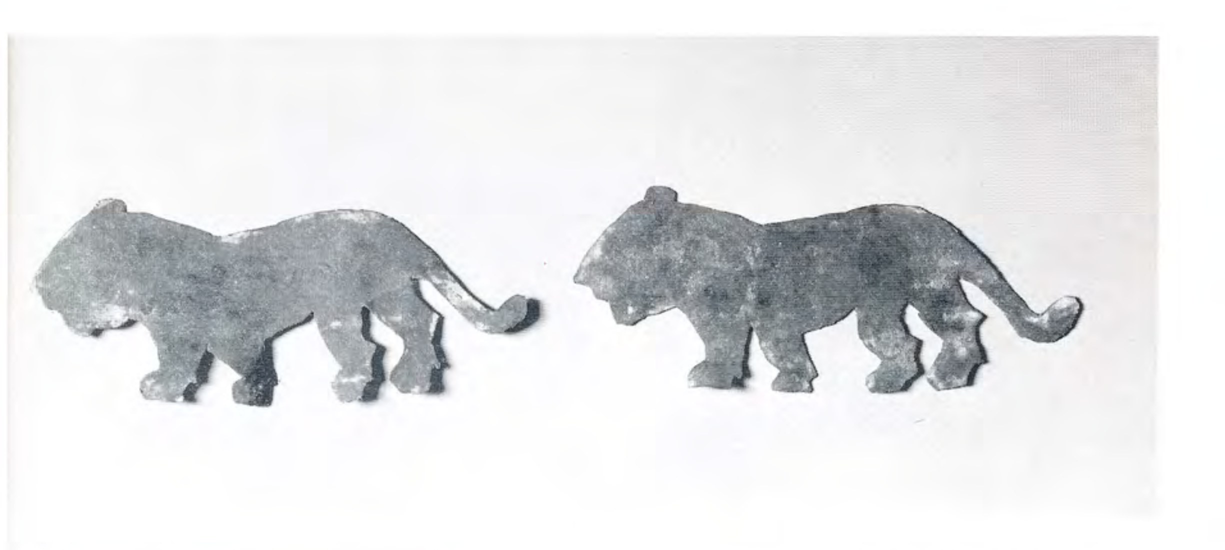
شكل رقم (٨٢)

ممخضة من الجلد «سعن» ، وسدادة من الخشب



شكل رقم (٨٣)

حزام مصنوع من سعف النخيل



شكل رقم (٨٤)

زينة علي هيئة أسد يزين بها السرير



شكل رقم (٨٥)

زخرفة علي هيئة شجرة نخيل

تستخدم في ترصيع الاسرة

وأمشاط ومرايا [illegible] ذات المقابض المزخرفة ، وتصنع الحلي من مواد ثمينة كالذهب ، والعاج ، والحجارة الثمينة ، أو الأصداف . ويبدو أن المقصد من الأسورة ، والعقود ، وحلقات الأذنين ، أو الزخارف من مادة المايكة مشكلة في تصاميم حيوانية أو هندسية أن تخاط على الملابس .

سمحت المشاكل العسكرية والسياسية التى مرت بها مصر ، اثناء فترة حكم الهكسوس، لجيوش مملكة كوش من أن تكتسح مناطق واسعة نحو الشمال . وأصبح من الإمكان الحصول على أشياء خلفت ، أو تم تبادلها مع المناطق المتاخمة للشمال . وبهذه الطريقة جاءت الى كرمه الكثير من التماثيل ، والأوانى ، عليها نقوش كتابية ، والمسلات لتوضع بالمقابر أو مقاصيرها . بلا شك ان هذه المادة المعاد استعمالها ، كانت ذات قيمة رمزيه بالنسبة للنوبيين الذين ضموا الى قرابينهم الجنائزية التماثيل ، والتى احتلت موضعاً مشرفاً في المقابر ، تشير الى التقارب الماثل للديانة الممارسة بمصر . ويجب أن نذكر أن التماثيل المقدمة كنذور بالمعابد المصرية والنوبية عادة مؤكدة تبين بان هذه المواد تحافظ على قيمتها ، رغم مرور وقت كبير ما بين إنتاجها والتصرف فيها ، والإستعمال الجديد الذى أنقص من قيمتها.

من المؤسف حقاً أن النهب الذي تعرضت له مقبرة كرمه الكلاسيكية ، والذى يؤدى دوماً الى ضياع الجزء الأكبر من الجهاز ، يؤكد لنا ان مقابر الحكام هذه تختلف عن المقابر الأخرى ، التى حفرت ببلاد النوبة . وتكفى الشواهد التى جمعت من الموقع لاثبات وجود نظام طبقى محدد واضاح ، في النطاق الجنائزي قرب العاصمة وفي مواقع المدافن بالمناطق الريفية والإقليمية .

بعد الإحتلال المصري ، لا يبدو أن النطاق الجنائزي قد هجر مرة واحدة . وتؤكد لنا آثار الحرائق والترميمات التى تعرضت لها الدفوفة الشرقية ، واحد المقاصير الغربية ، ان العبادة استمرت تمارس رغم المواجهات الأولى . وفي نفس الوقت فان احد الحكام أثناء هذه الصراعات فضل أن يدفن بالقرب من المدينة ليضمن الحراسة للمقابر . وهذا هو موقع

المنشاءات التى اقيمت على بعد ١ كيلو متر من المدينة القديمة على حافة نهر النيل التى تحتوى على آثار مبانى غريبه ترجع الى الفترات الختامية للمملكة .

شيد بناء دائرى ضخم على مستوى الأرض قطره ١٧ متراً من حجارة كبيرة مربعة .(شكل رقم ٨٦) وينغرز بناءه الحجرى في الأرض في شكل مداميك غير منتظمة لمدى خمسة امتار عمقاً ، مكونة بئراً مخروطية الشكل .(شكل رقم ٨٧) وفي الجهة الشمالية منه يوجد درج من الواح عريضة من الحجر الرملي ، ذي الأكاسيد الحديدية ، ينزل الى قعر المبنى بواسطة إحدى عشر درجة .(شكل رقم ٨٨) وتمثل القطع المكسرة ، والشقق العديدة ، التى تم العثور عليها وسط ردمية البناء ، أجزاءاً من جهاز ثمين وفاخر يحتوى على تماثيل ، وحلي ، وأوانى من الفخار . ومع أن النهب والدمار الذاتي للجميع تم بطريقة منتظمة ، فان أكداساً ، وأكواماً من الحجارة ، مبعثرة تحدد وجود مبنى علوي مستدير ، الحقت به مقصورة . شيد مكان التعبد فوق الدرج ، مستقلاً بلا شك حينئذ الاحتفالات والطقوس الجنائزية . وتشكل قطع من الفيانس الأزرق أجزاء من زخرفة لأشكال حيوانية كانت بالمقصورة ، عثر عليها في الردميات .(شكل رقم ٨٩)

إن الدمار الذي تعرضت له سواء بعض مقابر الخاصة . أو المحاريب ، أو المساكن ، يشير الى أن احتلال هذه المنطقة كان عنيفاً وشرساً ، تماماً كما تشير اليه المصادر المصرية . وهكذا استبدلت المدينة ومقابرها بمبانى ومقبرة بالقرب من النيل . وفي هذا الجزء الجنائزي توالي الدفن على الطريقة النوبية ، ومن المحتمل ان المحافظة عليه شجعت سكان كوش لاستخلاص استقلالهم حيث عملوا تدريجياً خلال القرون القادمة .



شكل رقم (٨٦)
بناء دائري ضخم بقطر ١٧متر من مداميك حجرية



شكل رقم (٨٧)

منظر بعد الانتهاء من حفر المقبرة الاميرية

شكل رقم (٨٨) درج البئر الدائري «المقبرة»



شكل رقم (٨٩)
حفرية انقاذية داخل المدينة الحديثة

العقائد الدينية

إن مستوى المعلومات المتوفر لنا من دراستنا للمباني الدينية والعادات الجنائزية لا تتيح لنا فرصاً كبيرة لتحديد منظومة الآلهة بكرمه . فالتأثير المصري واضح حيث عبدت بعض الألهة المصرية لكنها خضعت لكثير من الاقتباس والتحريف المحلي ، مما يقلل من جدوى المقارنة ، مع ذلك نجد من جانب، أن هناك نوع من الخوف والتوجس يبديه الفراعنة فيما يعرف بنصوص السحر والكهانة ، من تأثير السحرة السودانيين الذين أعتبروا نذير شؤم وتطير وشر مستطير ، ومن جانب آخر فهناك من يقول أنه مثلما يجرى النيل شمالاً من كوش الى أرض الكنانة ، كذلك سارت بعض الأفكار الدينية الى مصر من السودان ومن بينها بعض الآلهه المصرية وان الأصول السودانية مثل الربة إزيس ، وعنوكه السودانية ، وآمون العظيم . وقد أبانت الحفريات الأثرية بكرمه الدور الأساسي الذي اطلعت بعد المعابد والمحارم العديدة في الإحتفالات والطقوس الدينية . ففي أحياء المدينة ، أو في المقابر تكشفت لنا تفاصيل الطقوس المقررة لتمجيد وتقديس المعبودات التى تتحكم في الحياة الدنيا ، وفي العالم الآخر ، (شكل رقم ٩٠) وإبان سيطرة كرمه الكلاسيكية لقلعة بوهين ظهر اسم إله مصري هو حورس بوهين . أقامت أسرة مصرية كانت في خدمة ملك كوش باسمه معبداً. فلابد أن هذا المعبود كانت له مكانة سامية بكرمه ، فهو ومعه رع حسب الأسطورة الفرعونية ، موكلان بحفظ الطمأنينة والسلام ضد قوى الشر الممثلة فى الإله ست. ويدعم ذلك وجود قرص شمس مجنح نحت من الحجر بعناية فائقة ، ووضع على أعلى مدخل الدفوفة الشرقية ، وتم العثور أثناء الحفريات على العديد من نماذج المركب نحتت من الحجر، أو شكلت من الفيانس أو الطين المحروق ، تذكرنا بالفلك السماوي اللازم للرحلة الكونية للإله رع ، او للطقس الجنائزي الذى يشير الى رحلة الموتى للعالم الآخر بمصر، بالإضافة الى الخصائص المعمارية للمباني الجنائزية ، حيث تبدو ممارسة عبادة الشمس محتملة . وهكذا فليس من المستغرب أن يكون لبعض أشكال عبادة الشمس مكانة



شكل رقم (٩٠)
نظافة أحد المقابر بالجبانة الشرقية

ببلاد كوش ، وهذا ما تشير اليه دلائل الإله رع .

نحتت بعض الحيوانات الأسطورية واستعملت في فن التطعيم لزخرفة بعض لوحات الأسرة بكرمه الكلاسيكية . بعض الأشكال العاجية – مرصعة بشكل فرس النهر ، والذى يمثل إله الخصوبة عند الفراعنة .(شكل رقم ٩١) وظهر هذا الحيوان كذلك كتمثال مثل التمائم التى كانت تقوم بدور تسهيل عملية النفاس عند النساء .

وفى منزل مهجور من الربع الجنوبي للمدينة ، وجد فندق من الحجر الرمل عليه رسم حيه ، وهى تمثل احد المعبودات التى ترجع الى تاريخ أقدم مما ذكرناه . ومن أمثلة المعبودات بشكل إنسان أحداها برأس بقرة . عليها شعر طويل مستعار ، تظهر بكثرة منحوتة اصلاً على مسند المقعد الأسفل ، وأمامها العلامة «عنخ» ، (شكل رقم ٩٢) وهو حرف يرمز لنفخ الحياة بواسطة الآلهة للجسد الآدمي خاصة الملوك ، ربما كان التمثال صيغة محلية ، وترجمة سودانية ، للربة هاثور من ممفيس (القاهرة حالياً) ، والتى كانت من بين خصائصها الرمزية انها تمثل الأم الكونية المقدسة واهبة القوت .

وعرفنا من حفريات رايزنر المناظر الملونة التى اكتشفها على جدار المقصورتين الجنائزيين حيث لاحظ وجود صفوف منها ، لكنها كانت في حالة سيئة . والرسومات التى وجدت لاتفيدنا عن الديانة النوبية كثيراً ، نسبة لانها لا تصور الحيوانات المرصوصة ، الواحد تلو الآخر ، ومراكب مشرعة ، ومناظر طبيعية عادية تحتوى على حمار ، يقاد نحو بئر ووعاء ، وثور على وشك ان يشرب الماء ، وحيوانات غير مميزة ، ومناظر نيلية ، وأخرى تكرر الأشكال والحيوانات التى نحتت على العاجيات التى وجدت بكثرة في كرمه . إن هذا الفن التصويرى ، باسلوبه التشكيلي الواضح واستلهاماته من الفن المصري ، يؤكد على الأهمية التى احتلتها هذه الحيوانات التى تمثل رموزاً تحمل قدرات لاهوتية ، كما في مصر . وهكذا تتشارك وتتقاسم المنطقة المصرية والمنطقة السودانية ببلاد كوش العديد من الافكار والأخيله السحرية والدينية ، منذ تلك الحقب الموغلة من التاريخ .

إحتل التمساح مكانة هامة بين منظومة الآلهة المصرية ، واستعمال شكله بكرمه يعطينا فكرة عن مدى المكانة المميزة التى اكتسبها هذا المعبود ، بحيث تكرر ظهور رسمه على



شكل رقم (٩١)

زخرفة علي هيئة فرس النهر من العاج من فترة حضارة كرمة الكلاسيكية



شكل رقم (٩٢)

نحت يوضح أحد المعبودات ، وأمامها علامة «العنخ» رمز الحياة.

الأواني الفخارية التى كانت تستعمل كمرضعات للأطفال ، وقد تم العثور علي عدة تماثيل من الطمي للتمساح موضوعة تحت أساس أحد المنازل في الحي الديني ، كما عثر على عدد من التمائم بشكل تمساح فى الأضرحه . وبهذه المناسبه يبدو أن هذه المكانه قاومت الدهور كلها ، فما زلنا حتى اليوم نرى جسد التمساح ، او رأسه محنطاً وموضوعاً على مداخل بعض المنازل الحديثة في منطقة كرمه ، وغيرها من مدن السودان .

وقد ذكرنا سابقاً ، عندما وصفنا العادات الجنائزية وطقوسها ، ورود عادة وضع خراف كاملة ، حيث تم العثور عليها محنطة في بعض القبور . ويجب علينا أن ننظر الى هذه العادة من خلال منظور ديني واسع شامل ، يأخذ فى الاعتبار رسومات كثيرة وجدت على صخور الصحراء الغربية تتطابق مع ما وجد بكرمه . إن كل هذا بلاشك يشير الى أشكال طقوسية تنم عن مفاهيم عقائدية . وعليه يمكننا ان نجزم ان انه انتشرت بعض العقائد الدينية أو المممارسات السحرية التى كان يمارسها سكان الصحراء قبيل كرمه .

قبل مدة قليلة من الزمان أشار بعض الكتاب الى وجود التشابه الشديد ، بل التطابق في بعض الوجوه بين سكان الصحراء والمجموعة النوبية الثالثة (المجموعة ج) ، وحضارة كرمه . وتتطابق في كثير من الوجوه ، ملابس ، وطريقة صيد الزراف في ماظهر بهذه الرسوم الصحراوية وبين ما ظهر بكرمه . وكان وجود الحلي التى تعلق على قرون الكباش ، ثم القرص المدور المصنوع من ريش النعام ، ومثبت على رأس الكبش في مقابر كرمه ، الذي ظهر بوضوح في الرسومات الصخرية الصحراوية كان له دلالة خاصة في هذا الشأن .

تشارك هذه الكباش المقدمة كضحايا الميت فيما يقدم له من قرابين وطقوس ، مما قد يوحى بوجود نوع من التعبد . وهذا ما يقوى الافتراض القائل بالأصل الكوشي لأهم معبود مصري وهو آمون «ابو الألهة» ، ورب الارباب ، والمقدم عليها جميعاً في الدولة الحديثة (١٥٨٠ – ١٠٨٠ ق . م) والذى اتخذ في بعض خصائصه وأشكاله، الأشكال التي ظهرت اولاً بين مناظر صخور الصحراء . ومما يشير جدلاً ، أكثر حدة من ذلك ، تمثال صغير لكبش من حجر الكوارتيز وجد في أحد المقابر الملكية بكرمه ، كأحد مراسم طقوس جنائزية . وهو شكل ظهر بمصر قبيل قيام الدولة الحديثة وانتشر فيما بعد . وهذا يفسر لنا

عراقة هذه المفاهيم الدينية ، المتصلة بأهم معبودات الفراعنة في عصورهم الذهبية ، كما يعلل لنا أيضاً شغف الكوشيين ، والمرويين فيما بعد بهذه المنظومة التى جعلوها أهم مصادر الطقوس والعبادات . وهذا مثال حي للتداخل العقلاني والحضاري في الأصول الحضارية بمصر والسودان .

إن الديانة التى نشأت ، ويمثل فيها الكبش كإله ، ربما تطورت بكل من مصر والسودان بشكل مستقل . وقد يرجع تطور الممارسات الدينية هذه لاصلين مختلفين ومتزامنين ، ومن ثم يبدو ان الاتصالات ، والتى إنحصرت في نطاق ضيق من الدولة الحديثة ، ادت الي قيام نوع من التوافق والتوأمة . وهكذا فان العقائد الدينية ذات الأصول المتعددة تقاربت ثم امتزجت .

وعادة دفن جثث الخراف في المقابر الشرقية ، ابان فترتي كرمه القديمة والوسطى ، يمكن ان تنشأ مرتبطة بحياة الرعى حيث يمكن ان نرى فيها تجلي عبادة أمون .

فإن بدت لنا الأسس الدينية لهذه العادات مؤكدة ، فانه لم يقم بعد تعريف واضح للعبادات . ورغم ما يبدو من توجه سكان كرمه نحو مصر ، فقد استطاعوا ان يستنبطوا تقاليدهم من المحيط النوبي ، ومن الصحراء الغربيه ، ومن وسط السودان . فقد قامت عقائدهم على عبادات محليه قديمه ، تأثرت بتيارات وفدت من الجنوب – وسط السودان – او من الغرب – من الصحراء مضاف اليها ما ورد من مصر شمالاً . وقد مهد الطقس المطير الذي كان سائداً ابان الالف الثانية وبداية الثانية قبل الميلاد الى ايجاد فرص الاتصال الموسع والتبادل على مدى مناطق واسعة . فلم يكن وادي النيل معزولاً بالصحراء ، والتى هى الآن في توسع مضطرد واضح واتخذت كرمه موقعاً وسطاً . فالبحث عن اصول العقائد النوبية قد يشمل مناطق قصية ، وربما خلال حقب سابقة لحضارات كرمه . ولابد أن نأخذ في الإعتبار أيضاً المكونات الأساسية للبيئة من شمس ونيل وصحراء وحتى عادات الأكل والشرب عموماً .

الحياة الاجتماعية

يبدو أنه من السابق لأوانه الآن أن يحاول المرء وصف الجهاز الاداري الذي تحكم في سكان كرمه . لأن الدراسات ما تزال في بداياتها ، بعكس الوضع في بلاد النوبة ومصر المجاورة ، حيث توفرت لنا معلومات جمة عن الحياة اليومية للسكان ، من خلال نصوص ورسومات ملونة ، أو محفورة ، وآثار مادية أخرى قيمة . ويقوم تصورنا للوضع بكرمة على مادة بسيطة ومتواضعة وعلى حقائق تاريخية ضعيفة أحياناً . من الجانب الآخر فان صورة البربرية التي وصفت بها هذه الحضارة منذ مدة طويلة (رايزنر – أركل) لا تؤيدها مستوى العمارة العامة ، ولا سكان كرمه وصناعها وابداعاتهم . ويبدو انه من الأفضل لنا أن نحاول أن نميط اللثام عن حقيقة هذا المجتمع الأفريقي الذي وصل الى درجة من الرقى النادر في ذلك العصر السحيق . ولابد أن نشير الى أننا اعتمدنا في تصورنا على ما يمكن ان نسترجعه من معلومات عن فترة الاضمحلال الثانية الفرعونية المعاصرة لقمة مملكة كوش هذه .

وقد يتصور المرء المدينه عبارة من عدة مزارع تكتلت مع بعضها البعض داخل سور يحميها ، وهى أساسيات الحياة الزراعية ببلاد النوبة . وهى في نفس الوقت تستوجب وجود ملك ، وكهنة وطبقات من رجالات الادارة الريفيه والقروية الذين يترددون على المدينة (البندر) ليتقربوا الى رؤوساء الجيش والجنود الذين يزورون المدينة وريفها . ويرجع سكان المدينة الي طبقات اجتماعية تعددية حيث يقومون بوظائف مركبة ، بعضها تابع لسلطة الدولة ، وبعضها مستمد من المحافظة والسيطرة علي المناطق الريفية التابعة . ويتطلب مثل هذا النظام الطبقي مجموعات قوية من العمالة اليدوية كالبحارة لمراكب النيل ، والخبازين ، والفخارين وغيرهم من أصحاب الحرف اليدوية ، ويضاف الى هؤلاء المترجمون للوفود الأجنبية ، ووسطاء التجارة بجانب بعض الكتبة الذين سيلعبون دورهم في فترات محددة .

حول أسوار المدينة تحوم قطعان الماشية التى تكون ثروة الآهلين . وعلى مقربة من ذلك قامت مزارع لانتاج الغلال ، وجنائن الخضر تحيطها أحراش النخيل . ويفيض النيل سنوياً ليغطى الحقول ، ويزيد في خصوبة التربة ، ويوفر الماء اللازم لنمو العشب لغذاء الحيوانات. وعلى أطراف الصحراء فان أعداد البهائم الكبير أدى الى رعى جائر تسبب تدريجياً في تغيير طفيف للغطاء النباتى . وحازت الزراعة وتربية الحيوان على الجزء الأكبر من نشاطات الإنسان . ويوفر حوض كرمه ، او حوض لتي ، مساحات ملائمة للنشاط الزراعي ، لأن النيل يغطى الأراضى الرحبة زمن الصيف . وتتحصل المدينة على إمدادها من خلال إنتاج محلى كافى ، بل وربما يوجه جزء منه للتصدير . وتتناوب المساحات الزراعية مع سهول السافنا حيث تعيش حيوانات برية كفرس البحر ، أو الزراف، كما تجد كذلك الأبقار والأغنام والخيول غذاءها

ومن أشهر الغلال التى تزرع إحتل الشعير المكانة الأولى ، حيث كانت زراعته تبدأ فى الخريف ، ويحصد بعد أربعة أشهر بواسطة مناجل لها مقابض من الخشب أو العظم ، وقد حمل شظايا نصل المناجل أثر طريقة استعمال هذه الآلات المتخصصة . وتخزن الغلال فى الشون المشيدة داخل فناء الدار أو حديقة المنزل . بنيت أساساتها الدائرية من الحجارة باقطار بلغت الأربعة أمتار وارتفاعها ١ - ٢ متراً ، مما يؤهلها لتخزين كميات كبيرة من الغذاء . ويخزن البلح ، ومواد غذائية أخرى ، فى صوامع صغيرة مصنوعة من الطين المجفف لحمايتها من تقلبات الطقس والأرضة .

يجرى نشاط جم حول الميناء ، فالمراكب التى ترد الى كرمه تباعاً تفرغ حمولتها الغالبه من منتوجات وسط أفريقيا أو من المناطق الغربية من البحر الأحمر . ورغم اننا لم نستطيع العثور على منشآت ، لكننا يمكن أن نتصور وجود أساطيل من خلال ما توحى لنا بها صور عديدة رسمت على جدار المحاريب ، أو نماذج المراكب من الطين أو الحجر . يمتلك البحارة عدد من المراكب المتنوعة ، التى صنعت من خشب السنط والحراز . وهى تشبه فى تركيبها شكل المراكب القديمة المصنوعة من حزم نبات البردى . وما تزال هذه الزوارق مستعملة حتى الآن فى الشلال الثالث فى شكل مبسط قليلاً ، و فى شكلها البدائى

الذى ظهر خلال فترات ما قبل تاريخ .

نجد ان مقدمة المركب وحافة الدفه تنتهى الى شكل سقيفه (راكوبه) من البردى ، كما نشاهدها مفصلة فى رسومات السفن المصنوعة من الخشب . وهذا النوع من السفن هو الذى شاع بمصر مستعملاً لاغراض الطقوس الجنائزية أو للحج الى أبيدوس ، عندما استعملت مراكب لها تقويسه اقل انحاءة ، واكثر قصراً ووسعاً ، لأغراض النقل عموماً. وتسير بمساعدة شراع ، بشكل شبه منحرف ، بالإضافه الى صفين من المجاديف . تشهد الرسومات أسطول المراكب من داخل الدفوفة الشرقية ، والمراكب ذات العشرة مجاديف التى تزين المقصورة الجنائزية رقم ك ١١ ، على التنوع الكبير لهذه المراكب . ويمكن أن نضيف اليها رسم حجرى يزين أحد المسلات عثر عليه اثناء الحفريات الحاليه ، (شكل رقم ٩٢) حيث نشاهد المجاديف الجانبية التسعة والاثنين الإضافيين الكبيرين اللذين حلا محل الدفة – ويقبع قمريه (كابينه) المركب فى وسطها . والنماذج المصنوعة من الحجر أو الطين المحروق ترينا مستوى البراعة الراقى الذي توصل إليه بناة المراكب . ولأن الملاحة بالشلالات حساسة ودقيقة ، فلا شك أن البحار يغيروا مراكبهم بأخرى مناسبة قبل مغادرتهم كرمه (شمالاً) . بالمقابل ، فان السفن الثقيلة يمكن أن تصعد مع مجرى النيل بلا مشقة حتى نبته، حوالى ٢٠٠ كيلو متر جنوباً . وبالقرب من تمبس توجد بقايا سد عظيم بالقرب من مبنى يؤرخ لفترة كرمه الكلاسيكية وبداية الدولة الحديثة بمصر . ويبدو أن هذا السد أقيم خصيصاً بالقرب من المدينة لتسهيل مهمة قطع مسيرة الملاحة حتى يتسنى إعادة رص وترتيب البضائع بالمراكب بعناية ، قبل الإبحار بها عبر ممرات الشلال . ولا يمثل النقل النهرى الا جزءاً من حركة نقل المواد الغذائية حيث كانت تواكبها وتوازيها القوافل المؤلفة من الرجال والحمير ، تحت حماية عسكرية .

تعبر المواد الأولية المدينة والميناء ، ثم تمر بعمليات التفريغ وإعادة الشحن قبل أن تصل الى مصر . فقد صاحب تطور المملكة واجبات فرضتها حوجة جيرانها من الشمال لبعض منتوجاتها التى يحتاجون اليها . وبالمقابل ، فهناك عدد من البضائع المنتجة بالمصانع المصرية تتوجه نحو كرمه ، كذلك المواد الغذائية المعبئة في جرار ، كما ان



شكل رقم (٩٣)

لوحات من الحجر وعلى احدها نقش يوضح المركب من فترة حضارة كرمة القديمة.

العطور والزيوت تنقل داخل فازات الألبستر . وإرتبط حجم التبادل السلعي بالموازنات السياسية بين البلدين ، وبدرجات متفاوتة بين صورة المدينة الهادئة المنتعشة من جراء النشاط التجاري ، والرخاء البطئ من جراء النشاط التعديني بمناجم الذهب أو الإنتاج الزراعي .

كل هذه النعم ربما كانت سبباً لحسد سكان الصحراء ، الذين اجتازوا في بعض الأوقات استحكامات ودفاعات المدينة . ويقومون بتأمين الطرق ومجرى النيل طمعاً في الاستيلاء على ثروات جيرانهم الأغنياء . إن آثار الخراب والدمار ، الذي مس بعض الأحياء ، يشير الى أن الاستقرار في بعض الفترات كان صورياً وأن الغارات ربما كانت أقصى من أسوأ غزو . وكان المصريون من جانبهم يبحثون عن طريقة للتدخل في هذه المناطق الاستراتيجية بواسطة غارات عنيفة قبل ألف سنة من احتلالهم المرتقب لكل المنطقة على سعتها .

لم يكن سكان كرمه متجانسين وتكونوا من اثنيات متقاربة . النوبيون - رغم سواد بشرتهم ، فهم ليسوا من العنصر الزنجي - العنصر الأكثر عدداً ، وكونوا المجموعات السكانية مثل المجموعة ج وغيرها ، وقد اتحدوا تدريجياً تحت ملوك كوش . وقامت الأسر النوبية على ضفاف النيل تزرع الأرض ، وتوجه كل العمليات الزراعية مكونة الطبقة المسيطرة (شكل رقم ٩٤) . ويقطن البدو سكان الصحراء على بعد من النيل لكنهم يختارون حياة الإستقرار اذا واتتهم الفرصة . وكانوا من جانب آخر ، كالنوبيين ينخرطون في الجندية . بعضاً منهم يشرفون على قطعان الأبقار والضأن . ونسبة للجفاف وقلة الماء لنمو العشب يضطر هؤلاء للسفر خلال مسافات نائية .

ويكون المصريون مجموعة من التجار المستوطنين بكرمه ، ومنهم الحرفيون والمترجمون للمساعدة في عمليات التبادل التجاري . ونسبة لانتمائهم العرقي الى مجموعة البحر الأبيض المتوسط . فهم فاتحي البشرة مقارنة بالسكان من حولهم بعضهم تولى مكانة سامية في المجتمع وشارك في الحياة الإجتماعية . ومنهم من ظل بعيداً ومنفرداً شيئاً ما . وهكذا يستطيع هؤلاء الغرباء من الإندماج في محيطهم وعاشوا



شكل رقم (٩٤)
رأس تمثال لرجل نوبي ، من فترة حضارة كرمة القديمة

في أحياء مخصصة وسط النوبيين . وأقل السكان حظاً هم الأسرى الرقيق الذين جئ بهم غالباً من أواسط افريقيا وهم سود ، من الأنواع الزنجية الذين كانوا نتيجة مقايضة بالمواد الغذائية كجزء من الغنائم والأسلاب اثناء الحملات الحربية ضد كرمه .

ويلاحظ انه إبان المملكة الحديثة ارسلت اعداد منهم الى مصر كجزء من خراج نوبة واوات وكوش (امري ١٩٦٥ ص ١٨٤ - ١٩١) . وهذا ما يعيد للذاكرة أنه منذ أيام الأسرة السادسة جرت عادة بتجنيد مثل هؤلاء في الجندية او كخدم ، كما ان الفرعون الصغير بيي الثاني أمر بالحاق أحد الاقزام لقصره في ممفيس والذى احضره حرخوف اثناء احد رحلاته . ويمكننا تخمين ما كان يطمح اليه المصريين من خيرات البلاد بارسالهم الحملات العسكرية وقوائم الخراج في الأسرة الثامنة عشر وقوائم الغنائم . فقد ورد الرجال (العبيد) والمحصولات وقطعان الماشية ، وكميات الذهب ثم العطور من بلاد بنت القواقع والصدف البحري واللبان والبخور ثم العاج والذهب (تريفر ١٩٧٦ ص٥٦) .

رغم أننا لم نعثر بعد على القصر الملكي ، لكنه يبدو ان كل مناشط سكان كرمه كانت تحت إدارة ملك . كما وأننا لا نستبعد وجود الملك الكاهن على الأقل في الفترات القديمة . وقد بدت قوته واضحة في المقابر الكبيرة التى استمرت خلال فترات المملكة كلها . وتوضح المراسلات المتداولة مع مصر انها تخشاه وانها تحبذ قيام علاقات دبلوماسية ودية معه . وربما شيد قصر الملك في فترة كرمه الكلاسيكية خارج أسوار المدينة . حقيقة كانت هناك آثار كثيرة من مبانى واسعة اختفت خلال هذا القرن ربما ترجع الى مثل هذا المسكن الملكي . والمبنى الدائرى (الكوخ الكبير) والذي شيد بالقرب من وسط المدينة وكان بلا شك يعتمد على قوة ملكية ، وتحت سقفه تدار شئون الحكومة أو تعقد الاجتماعات .

والمركز الديني الذى يقف منفصلاً من بقية المبانى ، به غرف للعبادة ، وأخرى قد تكون كسكن لكبير الكهنة ، أو مقر الكهنة ، ويمكن أن يستقله الملك كمقر له مؤقت . والعناية الفائقة التى أولاها المهندسون المعماريون في بناءه والذى عاش مقاوماً عبر آلاف السنين ، تشير الى أنه بنى ليحمى شخصيات في غاية الأهمية(شكل رقم ٩٥) . باسم الملك يقوم الكهنة بالطقوس التعبدية كل يوم ، وتحت تصرفهم أيضاً كل ما يردد للآلهة ونتاج التجارة



شكل رقم (٩٥) مبني سكني أمام الدفوفة الغربية

شكل رقم (٩٦) فرن لصهر خام البرونز

والمصانع المرتبطة بالمعابد. وهكذا وجدت في بعض الأحايين ٥٦٥ طبعة للأختام في جدران الدفوفة الغربية ، حيث ختمت بها السلال والأوعية الفخارية ، والصناديق الخشبية بعد ربط أغطيتها بخيط . وعثر على شقق عديدة لفازات من السيراميك ، وكذلك قطع لجرار الألبستر كانت لفازات العطور . بجانب كميات كبيرة من المواد الخام لتصنيع مواد أخرى . وكان مخزون التصنيع يضم خام النحاس ، ومادة المايكة ، وحجارة البلور ، بجانب المواد المساعدة في صناعات الفخار ، وهناك أشياء ومواد أخرى عديدة لكن لا يمكن التكهن بطبيعتها نسبة للحالة السيئة التى وجدت بها .

ويوحي لنا هذا الوصف للحى الديني أن الكهنة كانت بأيديهم مصائر المدينة في وقت لم تظهر فيه الدولة كمؤسسة بعد . في الحقيقة فإن الملك يمثل كل القوى وعلى رأس نظام إدارى مركب ، كما تشير اليه بصمات الأختام . وأحد وظائف المركز الديني هو ضمان العمل القويم للدولة كما يسير أيضاً أمور القصر .

أشارت بصمات الاختام الى أن شمال مصر ، وكان مقسماً خلال فترة الإضمحلال الثانية ، مصدراً لكثير من البضائع . كذلك أوضحت بعض الوثائق الرسمية أن ملوك كوش كانوا يتبادلون الرسائل مع ملوك الهكسوس الذين احتلوا الدلتا . وإبان فترة كرمه الكلاسيكية نقلت البضائع عبر دروب الصحراء واستفاد منها كذلك المركز الديني . ان المواد الأولية ، وبصمات الأختام.ذات الزخارف الهندسية البدائية بالمقابل كانت من الإنتاج المحلي حيث وضعت تحت سلطة الكهنة . واحد من هذه المصانع . والذي كان مخصصاً لسباكه المواد البرونزية قد تم حفره وكشفه بالقرب من المحاريب(شكل رقم ٩٦) . ويجلب المعدن الى وسط المدينة في شكل سبائك يتم تحضيرها من منجم المعدن الذى يتواجد على بعد ٢٥ كيلو متر شمالا بين صخور الشلال الثالث . وللحصول على درجات حرارة عالية حفرت ثمانية قنوات في قصر الفرن متوازنة وبواسطة دفع جزوع النخل في هذه الممرات تمكن العامل من التحكم في ممرات الهواء ويوجه العمل في الفرن وامداده بالوقود . والى أعلى توجد غرفة الحرارة حيث يوجد المعدن ذائباً ، حيث يسكب في قوالبه المحددة ثم يتم تهذيبها . وكانت مهارة هؤلاء الحرفيين كبيرة حسبما نراه واضحاً في

نوعية السكاكين ، والخناجر ، والحراب وأعداد من الأدوات التى صنعت بكرمه (شكل رقم ٩٧) . وما ينتج من النصال كان بديعاً ، فالموسى والصنابير صنعتا بطريقة بديعة ومنظر أخاذ .

وجدت كذلك بعد المصانع النادرة ، المعروفة بمصر ، بالقرب من المعابد ويظهر ان الكهنة يكونون مؤسسة اقتصادية قوية ، ربما كان انتاج المواد المعدنية قد ساعد في تقوية الدور الذي قاموا به سواء فى الريف أو في عواصم مملكه كوش .

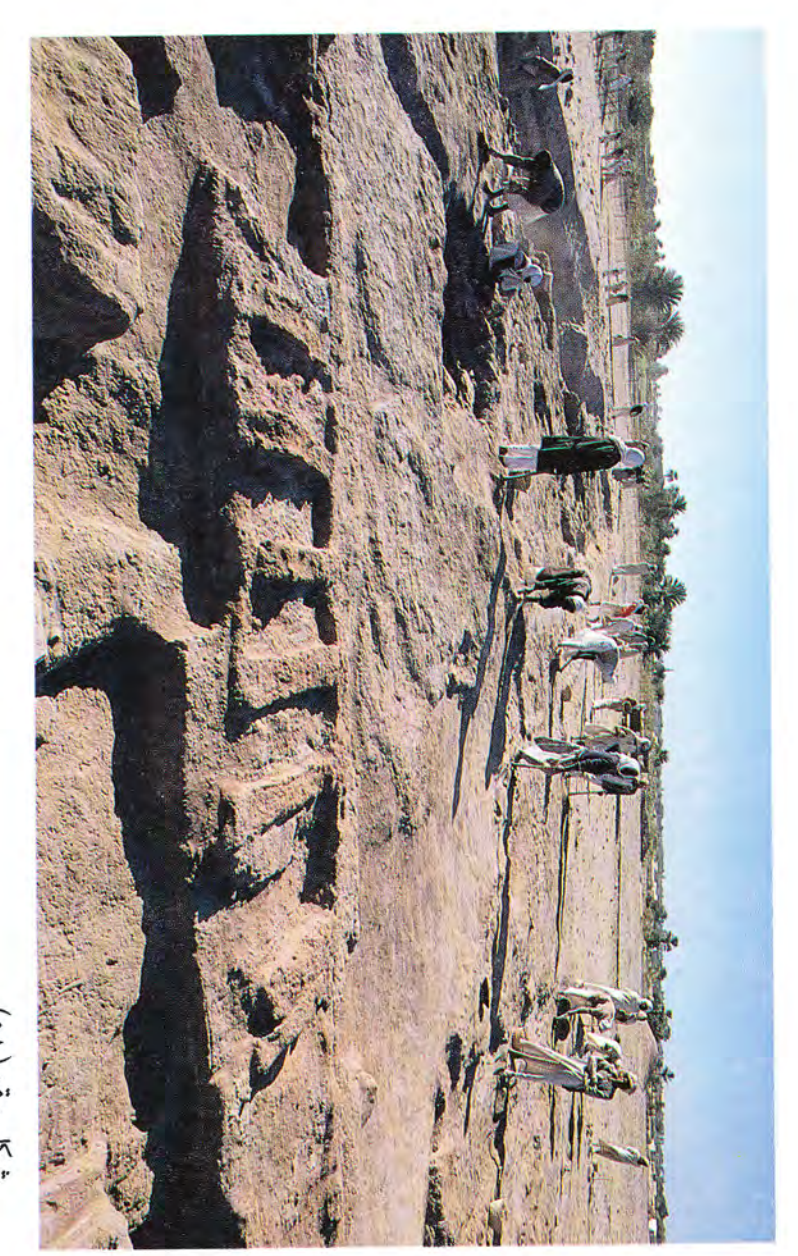
تعتمد المخابز الرئيسية التى اقيمت على زاوية من الاستحكامات قرب المدخل الشرقي للمدينة على قوة النفوذ الملكي والديني ، يجهز الخبز في أماكن صغيرة مقامة حول باحة مستطيلة . يحضر العجين لدناً بما فيه الكفاية لادخاله في القوالب الطويلة المصنوعة من الفخار . ويقوم بخدمة هذه المخابز أعداد كبيرة من البشر ، موزعون على الأفران وما يلحق بها ، لتحضير الخبز وكانت الأفران في شكل صف مكون من عشرة أفران ملاصقة بعضها البعض وتعمل فى آن واحد . (شكل رقم ٩٨) وبعد ما يستوى الخبز تكسر القوالب الفخارية لاستخلاص الخبز ، وتجمع قطع الفخار والرماد ويلقى بها في حفر خارج السور . مثل هذا التحضير يذهب لغذاء القصر الملكي ، وكذلك بعضه يقدم قرباناً للآلهة . ويبدو أن هذه العادة استمرت في السودان ، كما يلاحظ المرء في فترات لاحقة ، حيث يشاهد اكوام عالية من شقق قوالب الخبز حول بعض المعابد ومعها الرماد والفحم .

المرء قد يتسأل إن كان هناك جيش معبأ دوماً بكرمه ، والاحتفاظ بمثل هذه القوة العسكرية قد يكلف السكان كثيراً ، خاصة وأن حفريات المقابر أثبتت ان بعض الرجال كانوا يمتلكون سيوفاً واقواساً ربما كونوا (ميليشيات) أو جيش دعم شعبي للجيش الرسمي ، ولابد وأنها مرت بتطورات وتحضيرات عبر القرون الطويلة التى عاشتها كرمه ، فمنذ كرمه القديمة عمل بعض الرماة النوبيون في جيوش الفرعون ومارسوا فن الحرب . زد على ذلك أن القلاع القوية التى شيدها المصريون في الشلال الثاني ، توضح لنا نمو وتطور الاستراتيجية العسكرية النوبية ، حيث كان العدو من الجنوب يكون خطراً على المنطقة . وفي نفس هذا الوقت حصنت العاصمة فى فترة كرمه الوسيطة بواسطة دفاعات متطورة



شكل رقم (٩٧)

خنجر من فترة حضارة كرمة القديمة



شكل رقم (٩٨)
أفران الخبز في كرمة القديمة

وهذا قطعاً يتطلب وجود مستمر لقوة حراسة .

يروح ويجئ فوق الاسوار المبنية من الطوب ، ومن الحجارة رماة السهام والمراقبون خلف سواتر من الأسوار لحمايتهم - يتوزعون على طاقات صغيرة للرمى والمعاينة - ويمكن سحبهم عند تعرضهم لخطر هجوم عدو مفاجئ . تشمل المراقبة أبواب المدينة ، ومناطق متعددة متفرقة على الأسوار تحسباً لهجوم مفاجئ .

وتكون المدينة التى نحن بصدد دراستها وتبيان حياة سكانها ، جزءاً يسيراً من مملكة كوش في فترة كرمه الوسيطة . وتمتاز المنازل بوجود حدائق او ساحات ملحقة بها . وقبل هجرها كانت المساكن تغطى حوالي عشرة هيكتار (٢٤ فدان) . ويضاف الى ذلك عدة أحياء اقيمت خارج السور فيما بعد . وفي عصر كرمه الكلاسيكية لا يتعدى عدد الوحدات السكنية داخل متوسط العدد ما بين ١٥٠ - ٢٠٠ وحدة . والدراسات المقارنة التى أجريت بمصر تشير الى أن متوسط حجم السكان المكثف لا يتعدى الـ ٦٠٠ شخصاً لكل هيتكار . إن هذه التقديرات تبدو منخفضة جداً بالنسبة لكرمه ، حيث تشير الدلائل ان العديد من المالكين لهم توابع وخدم يعيشون في أكواخ قريبة أو في أحياء منفصلة . وهذا قد يرفع تقديرات السكان الى ٢,٠٠٠ شخصاً لوسط المدينة بمعدل ٢٠٠ شخص للهيكتار الواحد .

وبفضل الأعمال الأثرية ، يمكننا أن نقول أن النشاطات الداخلية بالمنازل تتركز في بعض الغرف الخاصة دون غيرها ، فيجرى فيها تجهيز الخرز من الأصداف وبيض النعام، وتقطيع صفائح المايكة ، لحياكتها كزخارف بالأزياء ، أو عمل المغزل لغزل ولف خيوط الكتان . في نفس الوقت تخصص الصالة الوحيدة ، أو غرفتان ، أو ثلاثة للنوم ، أو الاستقبال ، أو للراحة أما النشاط الأساسي اللازم لحياة ساكني المنزل يتمحور بالخارج بعيداً بعض الشئ بالفناء ، حيث توجد الأفران أو أماكن النار لطهى الطعام، ويوضع أيضاً إناء كبير للماء (زير الماء) يملأ من آبار تحفر بالقرب من التحصينات ، أو من النيل مباشرة، والذي يجرى على بعد بضع أمتار من أسوار المدينة .

الترتيب الداخلي للمنزل بسيط للغاية وأثاثاته محصورة . بعض المساند الخشبية تساعد في ترتيب الجرار التي تحوى الأقوات . أما الأوعية الأخرى متعلقة من الدعامة

الرئيسية من السقف حفاظاً لما تحويه من الحشرات . وتشهد الأسرّة (العناقريب) ، والصناديق (السحارة) والألعاب الخشبية ، على معرفة ودراية تامة وجيدة بالنجارة ، وصناعة الأخشاب . والوسادات التى وجدت تحت رؤوس المتوفين وعدد من المقاعد محفورة داخل القبور ، كانت ذات مستوى رفيع من الصناعة وقد فاق صناع الأبنوس أساتذتهم المصرين في عمل الأثاثات من الابنوس وتشكيله .

تحاك الملابس من جلود البقر التى تدبغ بواسطة الدباغين فى فناء منازلهم مثلما يفعل الفخارون . وتحاك التنورة من صوف الماعز ، أو الخراف ، الذي احتفظ بوبره . وهذا اللباس الذي يربط من الأمام يغطى المؤخرة . ويسقط شريط عريض من الجلد على الأجزاء الأمامية حتى مستوى الركبة ، كما يلاحظ في نماذج كتيبه الرماة النوبية التى عثر عليها في قبر مسحتى باسيوط بأطراف صعيد مصر . وتحلى التنورة أحياناً بخرز من الأصداف، أو من بيض النعام ، أو من الفيانس المنظوم في خطوط ، او مجاميع في شكل شبه المنحرف، وموزع علي عدد من أجزاء القطع التى وصفت سابقاً . ويزين كذلك الحزام سواء من الجلد، او السعف المضفور ، بواسطة واحدة أو اكثر من الأزرار من خرز الفيانس. وجدت كذلك بعض الملابس بالقبور ، ورغم أن شكلها غير معروف بعد ، لكنها أثبتت دقة الصناعة وجمال الزخرفة ، والعناية الفائقة ووجدت أغطية للشعر من الجلد ، تغطى رؤوس عديد من النساء من كرمه القديمة وهى مثقوبة بثقوب عديدة ، وربما ثقبت بواسطة شوكة شجر السلم ، أو الحراز ، وعثر أيضاً على صنادل على أرجل كثير من الأفراد من الجلد المزخرف أيضاً بأشكال مختلفة .

ومن هذه الخلاصة عن التنظيم الاجتماعي والسياسي بكرمه يمكننا أن نضيف وصفاً لأعمال مصانع الفخار والحرف الأخرى ، أو على سبيل المثال نعطى وصفاً لطريقة الاحتفالات الدينية أو الطقوس الجنائزية . فان كانت بعض هذه النشاطات سوف توصف في فصول لاحقة ، فمن المؤسف حقاً أنه رغم الوفرة فى الاكتشافات التى تمت في خلال حفريات هذا الموقع ، فاننا سنظل عاجزين عن تتبع تفاصيل الحياة اليومية ، أو التقاليد الدينية التى تميز حياة سكان مملكة كوش .

من جانب آخر ، فإن العناصر التى وضعت تحت تصرفنا تمثل عناصر جزئية للحياة اليومية ، لعاصمة منطقة واسعة . ومن المحتمل أن دراسة المساكن او المواطن الريفية ، وتلحق بها دراسة المقابر المعروفة سابقاً ، قد تكمل لنا معارفنا بطريقة واضحة عن هذا المجتمع .

الصناعات والحرف بكرمه

١. مصانع الفخار وإنتاجه :

يلعب السراميك بكرمه ، كما في بقية المواقع الأثرية دوراً كبيراً في دراسة تطور المدينة والمقابر . فمن يود أن يستقرأ الدلائل الأثرية أثناء عمليات الحفر فسيجد قطع الفخار هى المادة الأكثر تواجداً والأشمل شيوعاً . وفى غياب المخطوطات أو الدلائل المصورة الأخرى، يلعب الفخار دوراً اساسياً في عملية التصنيف والتسلسل التطوري للعمارة الدينية والمدنية، عند دراسة تعاقب المدنيات ، والحضارات القديمة . فالأشياء الأخرى من معطيات الحفريات الأثرية، مثل الملابس والأسلحة والأمتعة، كلها أشياء ثمينة لكن أعدادها قليلة ، وتبقى دائماً في وضع يصعب تحديده تاريخياً.

فخار كرمه رغم وفرته الكبيرة فالاختلافات فيه بسيطة ، وسرعة التغيير فيها بطيئة مما يفقده كثيراً من المميزات التى تتماشى مع التطورات الإجتماعية التى تنتاب المجتمع من حين لآخر – خاصة في حالة ورود ما يوحى بوجود مؤثرات من الجنوب أو من الشمال – حيث يصعب الحكم في بعض الحالات إن كانت محاكاة أم تأثير . أما الفخار فلبساطته ودوره ، وكمياته الكبيرة فانه يحتفظ بأصالته حتى النهاية . وقد تكون له أحياناً مميزات خاصة خارجية . فوق ذلك فان فخار كرمه هذا يحتل مكانه أساسية في تاريخ السراميك الأفريقي رغم محدودية سجله التشكيلي . ففي مصر مثلاً لا نجد للفخار مكانة كبيرة ، ربما لتوفر المواد البديلة أو الاغلى قيمة ، ومن جانب آخر فان استعمال عجلة الفخراني بمصر جعل الأشكال رتيبة وبلا تنوع . ورغم ورود الفخار المصري منذ أيام كرمه القديمة فقد احتفظ حرفيو كرمه بأوعيتهم المصنوعة باليد وطوروا لهم تقليداً بقى مع الزمن طويلاً متوارثاً جيلاً عن جيل .

٢. أفران الفخار :

فرغم أنه ليست لدينا رسومات لصناعة الفخار مثلما نشاهده برسومات من مصر القديمة ، فإن الحفريات الأثرية قد أمدتنا بمعلومات عديدة عن وجود منشاءات لصناعة وحرق السيراميك ، بل وخلال مناطق الحفريات ، أمكن تحديد العديد من أماكن الأفران ، حيث تظهر آثارها بوضوح فوق سطح الأرض على شكل رماد متصلب . ووجدت ستة من مثل هذه الأفران ومحتفظة بشكلها الأصلى بدرجة كبيرة في مناطق شمال شرق وجنوب غرب المدنية . وتشتمل على نوعين من الأفران يختلفان تماماً : أحداهما يحتوى على أربعة أفران يتكون كل منها من حفرة واسعة ، مستديرة أو بيضاوية ، تتراوح أقطارها ما بين ٢,٧٠ الى ٤,٠٠ متراً وبعمق ٠,٣٠ متراً ، ويحيط بها سور منخفض من الطوب اللبن . وتدعم بدعامات من الخارج ، وتملأ كتلة من الرماد المتصلب ثلثى الحفرة ملتصقة بالجدار الذي احمر سطحه الداخلي من أثر حريق النار ، وتسنده أحياناً دعامات داخلية (شكل رقم ٩٩) .

أما النوع الآخر من الأفران فهو أسطواني الشكل ، وأكثر تعقيداً يبنى من الطوب اللبن كما في النوع السابق ، وهو يتبع أنواعاً معروفة وجدت في مواقع متعددة سواء في السودان أو بمصر . والأفران الخمسة التى تم حفرها حتى الآن ذات شكل دائري ، أو بيضاوي تختلف أقطارها عند القاعدة ما بين ١,٤٠ - ٢,٠٠ متراً . ويوجد به عادة ممر ضيق ينحدر الى مدخل مستطيل مقبب ، يسمح بتغذية النار بالوقود في غرفة الإحتراق من خلال فتحة من جهة الشرق . وتبنى جنباته بطوب له مقاسات كبيرة (٣٢ - ٤٠ × ١٨ - ٢٠ × ٩ - ١١ سم) توضع أفقياً وأحياناً رأسياً . وفي المنزل رقم ٣٢ من كرمه عثر على فرن محفوظ بطريقة كاملة تقريباً ، تنسده ثلاثة دعامات من الخارج بعرض طوبتين متعامدتين مع المبنى (شكل رقم ١٠٠) . أما غرفة الحراره فقد حفرت فى باطن الأرض بعمق ٦٠ - ٨٠سم، ويفصلها من غرفة الإحتراق جسم مسطح من الطين ، ربما قامت عليه دعامات مركزية من الجوانب . في أفران أخرى من هذا النوع تستبدل بدعامات جانبيه لحمل القبو المعقود. ويرص الطوب بحيث تترك فراغات تسمح بمرور الحرارة بغرفة



شكل رقم (٩٩)
فرن لصنع الأدوات الفخارية يتكون من حفرة واسعة مستديرة يحيط بها سور منخفض



شكل رقم (١٠٠)
فرن اسطواني الشكل ذو دعامات في وسط

الحرق . وتتكون هذه الممرات ، التى تم رصدها بالمنزل رقم ٣٢ من كرمه ، من ١٤ ممراً على الأطراف وعشرة نحو القاعدة المسطحة . ويربط البناء كله بطبقة من الطين المحروق من جراء الحرارة الشديدة .

بالقرب من بعض الأفران توجد حفرة صغيرة بيضاوية او مستطيلة (١,٦٠ – ١,٢٠ × ٧٠ – ٩٠سم) تحيطها أسوار صغيرة مبنية بعلو طوبة أو طوبتين ، وتغطى أسطحها الداخلية بطبقة خفيفة حمراء ، يوجد بداخل هذه الأسوار حشوات رماد متصلب يحمل سطحه طبقتان أو ثلاثة قوالب دائرية بأقطار متعددة تشبه قاع الأوانى الفخارية . ويقع المصنع الذي استمر نشطاً لمدة طويلة في قلب المدينة الى الشمال من الدفوفة . ومن المحتمل أنه كان معاصراً للمنزل رقم ٤٨ إذ كانت له علاقة مباشرة معه . وعند السور الذي يحمى المنشاءات التى تقع شمالي المنزل تم اكتشاف فرنين بحفرتين بيضاويتين ، لحقهما بعض الضرر من جراء حركة بناء لاحقه . وربما أُخلى المنزل ٤٨ ، ومعه الفرن ، أثناء بناء البرج المستدير الذى يحدد محور البناء الديني ، والذي يسبق الدفوفة . وتخطيط المبنى اللاحق خضع لتأثير اتجاه حائط المنطقة الدينية . وفي وسط هذه البقايا الأثرية وجد فرن اسطواني ، بقيت منه غرفة الإحتراق ، ودعامات جانبية مع الأرضية والتى عدلت مرة واحدة على الأقل .

ويعود الفخار الذي تم العثور عليه في المنزل ٤٨ الى فترة كرمه القديمة ، أو بداية كرمه الوسيطة ، حيث نجد أن كل القطع الفخارية الى عثر عليها بين المبانى لها طراز كرمه الوسيطة . ونسبة لطول مدة الاستعمال . وتعدد الاصلاحات والتعديلات ، فأنه من الصعوبة بمكان ان نجزم بأن هذا المبنى استمر يؤدى نفس الوظيفة طوال المدة قبل أن يتحول الى مبنى دائرى إبان فترة كرمه الكلاسيكية . مع ذلك يشير اقتراب الفرن الى فكرة الاحتفاظ بالمصنع الأول كتذكار .

قد يتسآل البعض ايضاً عن الأسباب وراء اختيار هذا المكان لتصنيع لفخار . في الواقع يرجع هذا المصنع لوسط قديم من المدينة تقع بعض اجزاءه تحت الدفوفة . أما المصنع

الثاني فيبدو أنه يقع وسط مجموعة مبانى دينية لا بجوارها . كما يلاحظ ايضاً وجود فرن للبرونز داخل سور المجمع الديني . وعليه فيبدو ان مصانع الفخار خضعت للادارة الدينية بنفس القدر الذي خضعت له مصانع البرونز وربما بدرجة أكبر .

لقد تم الكشف كذلك عن مصنعين آخرين يقعان في أقصى شمال المدينة . أحدها شرق المنزل ٦٥ ، باطراف المنطقة السكنية بالقرب من الخندق الذى يحد أحد مداخل المدينة في فترة كرمه الوسيطة . ويمثلها فرن اسطواني لم يبقى منه الا غرفة للحرق ، بنى بطوب كبير، رص رأسياً وبقية الدعامة المركزية الساندة للأرضية ما تزال في محلها الأصلى. وعلى بعد أمتار من الفرن توجد أجزاء سفلى من حفرتين صغيرتين بيضاويتين يملأه الرمل ، وبقايا جدران لصف من الغرف . والفرن الذي سبق وصفه يقع في هذا القطاع بالقرب من منزل ٨٢ ، ولكنه لاحق تاريخياً للفرن السابق . وهو أحد الآثار النادرة من كرمه الوسيطة في منطقة تآكلت بعوامل التعرية . وتشير هذه المنشأة الي استعمال طويل الأجل نسبياً ، حتى وأن الفرن الاسطوانى والذي بلغ قطره ١٩٠ سم إنخفض الى ١٤٠ سم ، وخلال فترة التشغيل مر بعدة تعديلات داخلية على الجهة الجنوبية الغربية من المنطقة الدينية ، بالقرب من الكوخ الكبير ، وأمام المنزل ٣٩ / ٤١ يمتد فناء بيضاوى الشكل ، بداخله فرنان بحفرتين دائريتين ، ويرجع بالتأكيد الى مبنى أقدم ، له سور متعرج . فاذا ثبت انه يرجع الى نهاية كرمه القديمة ، وهى فترة وجدت بقاياها على جانب المنطقة السكنية ، فيعنى ذلك ان هذين الفرنين كانا يعملان ولمدة طويلة حتى كرمه الوسيطة داخل أسوار تقع قرب أهم مبنين بالمدينة .

مكنتنا دراسة الجزء الجنوبي من الكشف عن مصنعين سابقين لإعمار هذا الجزء من المدينة . أحداهما توقف العمل فيه بعد تشييد منزل ٣٢ ، الذي زحف على أماكن عمل الفخاريين ، ورغم توفر المعلومات عن الفرن الأسطواني الذي وصف آنفاً ، فإن بقية أجزاء المصنع إختفت ولا يمكن استنتاجها . شيدت هذه المبانى خارج الأسوار وهى ليست بعيدة عن خندق عميق من كرمه الوسيطة وهو نفس الوضع الذى شاهدناه في الأنواع الأخرى للأفران . ويقع المصنع الثاني على بعد ثلاثين متراً من المصنع السابق ، تحت فناء المنزل

٣٢، الذي شيد بعد توقف المصنع عن العمل ، حيث مرت أسوار المنزل فوق اثنين من أجزاء المصنع . لقد عثر على أجزاء عديدة من الفرن الاسطواني ، بما فيها أربعة عشر حفرة بيضاوية خالية من الرماد ، في شكل قوالب كروية وتبدو أنها ممتدة وبلا سور يحدها .

حددت آثار الرماد في القطاع الذي تجرى فيه الحفريات الحاليه ، العديد من المناطق التى تشير الى تعدد مواقع العمل ، لكنا نستطيع أن نجزم أن عمل الفخار كان يمارس كنشاط أسرى . ومن الجائز أن الحرفيين أخصائيون أو كانوا يجمعون إنتاجهم للحرق . خلال نفس الفترة ويبدو أن بعض الصناع كانوا يعملون بداخل وبخارج المدينة ، حيث إعتاد مثل هؤلاء الحرفيين أن يجاوروا أطراف المنطقة السكنية . وفي هذه الحالة فإنه من الصعوبة بمكان أن نجزم بأن كل الحرفيين يقيمون داخل مصانعهم ، أو بالتحديد إن كان المصنع يحتل جزءاً من منازلهم . بلا شك فإن هذا هو الحال عندما تتواجد الادارة والتنظيم داخل الأسوار . مع ذلك قد يتساءل المرء عما اذا كان كل سكان المدينة يعيشون داخل أسوار المدينة باستمرار ؟ . وفي الحقيقة ، فمن المشاهد أن بعض أجزاء الخنادق تقطع أحياناً بعض المساكن ، مما يبرر القول باحتمال وجود تمدد حضري سابق لتشييد الإستحكامات .

لقد توصلنا الى معرفة تنظيم المصانع وادارتها بطريقة مجزآءة ، وما يزال علينا الحصول على خطة كاملة . فالمرء يجهل أماكن وأهمية مناطق التحضير والتخزين . من الجانب الآخر ، فانه لم نستطع بعد تحديد الحفر البيضاوية الصغيرة التى قابلتنا فى المصنعين ، اللذين ذكرا آنفاً ، أما القوالب المطبوعة في الرماد المتصلب قد تغرينا بأن نظن انها كانت لتشكيل مؤخرات الأوانى الفخارية . هذه الطريقة التى ربما تبدو أقل ملاءمه من تلك التي تتكون من تشكيل الطين على إناء آخر ، أو داخل الحفر المذكورة ، وهذا شبيه بما لوحظ في بلاد النوبة . وفي هذه الحالة يحفر الفخاريون حفرة نصف كروية فى الأرض ليعد فيها قعر الإناء الذي يود تركيبه .

وحسب معرفتنا الحالية ، فإن النوعين من الأفران لايمكن تصنيفه تاريخياً ، وتبدو لحفر النار أصل قديم ، فالثابت أن المصنع المتصل بالمنزل ٤٨ ، الذي يقع شمالي مكان

العبادة ، سابق لقيام الأفران الأسطوانيه . كما يبدو أن الحفر بالمنزلين ٣٩ و ٤١ شيدت نحو نهاية كرمة القديمة ، واستمرت تعمل لفترات . وفي كل الحالات التى رصدت لا يوجد مصنع واحد كامل يمكن دراسته . ومن المحتمل أن بعض الأفران اندرست تماماً . ويجب أن نتذكر أنه باستثناء الحفر ذات النار المكشوفة والتى تعمل مزدوجتان ، لم نعثر على أكثر من فرن واحد بكل مصنع ، وهذا عكس ما هو معروف بمصر حيث كانت الأفران تعمل في شكل مجموعات .

لم تنتهى حفريات المصانع بعد ، وعليه فمن الصعب الجزم بأن الطلب على السراميك قد اكتسب أهمية خاصة بكرمه سواء للإستعمال المنزلي، أو لاعداد المقابر. كان يُغطي من انتاج أفران المدينة. وفي الحقيقة ، قبل بدء الحفريات الحالية كنا حددنا بعض الأفران الأسطوانية على حافة الجبانة ، ولكن من المؤسف أن هذه الآثار دمرت الآن ، واختفت قبل ان تطالها الدراسة والتوثيق . وفي الوقت نفسه ، فإن هذه المنشآت لم تكن كبيرة العدد بحيث يغطى إنتاجها كل إحتياجات المقابر .

إن آراؤنا عن مصانع الفخار بكرمه ما تزال غير مكتملة بكل تأكيد ، ولكن تغرينا خصائص السيراميك لكى نلحق صنفى الأفران بطريقتين مختلفتين تنفرد كل منهما بفترات متعاقبة . ومن أول وهلة يبدو أن استعمال حفر الحرق المفتوح محصورة للغاية . وتتكون الحفر عادة من فراغات دائرية بسيطة استغلتها المرأة فى هذه المنطقة لعمل الفخار باليد . وعلى العكس فالرجال الذين يصنعون الفخار على عجلة الفخراني يحرقون انتاجهم، والذي يغلب عليه أساساً جرار المياه والسلطانيات ، في الأفران الضخمة ذات الطابقين .

واذا كان الفخار الحالي المحروق في أفران المحفر لا يمكن مقارنته بما أتانا من عصر كرمه ، أو حتى من مطلع هذا القرن ، بيد أنه يبرهن على أنه يمكن الحصول على أوانى ذات مستوى رفيع بواسطه هذا النوع من الإنشاءات ، والتى يمكن أن تعطى درجات حرارة عالية نسبياً . وفي كرمه فان حفر الحرق المفتوح كانت تعمل لانتاج الفخار العادي الشائع على الأقل في البداية ، خاصة الفخار الأحمر ذي الحافة السوداء ، والذي يتطلب وضعه مقلوباً رأسياً على عقب في طبقة من الرماد للحصول على هذا النوع

والتحول الذي يشاهد على السطوح الداخلية وعلى حوافي الأواني ، يمكن الحصول على نتائج مرضية للغاية بهذه الطريقة . ولكن من الواضح ان فخاري كرمه قد حزقوا فن الحرق . بحيث اذا كانت الحافة السوداء ضيقة أو غير منتظمة يزاد حجم الشريط الأسود بها ، وتظهر جوانب الاناء بنقطة سوداء تتدلى الى بطن الاناء ويبدو أن هذا النوع من التصاميم يتم وضعه على الحوافي بعد الحرقة الأولى ، ويتكون من مادة عضوية تتفحم بسهولة . وفي اثناء فترة كرمه الكلاسيكية يوجد شريط معدني بوسط الاناء ما بين الحافة السوداء وبطن الآنية الحمراء ، عُمل بعد ان تعرض قبلها الاناء لدرجة حرارة عالية .

وقد يصعب الأقرار بأن مثل هذا الانتاج يمكن الحصول عليه من الأفران الاسطوانية التي تم اكتشافها داخل المدينة . فهذه الأفران متطورة بعض الشئ لها قاع تمر خلال عرضه ممرات تسمح بتسرب الحرارة الى غرفة الاحتراق . والا تقفل هذه الممرات بواسطة طريقة معقدة، فأنه تبدو ان هناك استحالة الحصول علي درجة حرق مناسبة ، وعليه فيبدو أن كلا النوعين من الأفران كانا يعملان سوياً في نفس الوقت . وفي كل الأحوال ، ومنذ بداية فترة كرمه الوسطى ، تظهر الأفران الاسطوانية عند ما يبدأ في تصنيع الأواني الكبيرة الحجم ، والتى تتعرض لعملية حرق مؤكسدة .

ب- التطور الشكلي والزخرفي في السراميك

فخار ما قبل كرمه :

إن أقدم انواع الفخار يرجع الى ما عرف بحضارة ما قبل كرمه ، والذي جمع من على سطح الأرض الذي تغطيه مقابر شيدت خلال الألف الثانية قبل الميلاد . من جانب آخر ، فقد إكتشفت الوحدة الفرنسية التابعة لمصلحة الآثار السودانية ، عدة مواقع علي بعد كليومترات قليلة من كرمه بها شواهد لفترات كثيرة سابقة برز فيها فخار أصيل عالي الجودة . فان تميز فخار ما قبل كرمه عن كل ما تم العثور عليه بالمقابر وما عثر به من الطبقات السكنية بالمدينة القديمة ، فقد توفرت مقدمات له ، ويشير وجود الأواني الحمراء ذات الحافة السوداء الى وجود تقنية فرضت نفسها مع بدايات فترات كرمه ، كما تبرهن أيضاً على ان السلطانيات تتشابه كثيراً في شكلها ولونها مع مثيلاتها المتداولة بين الأجزاء

القديمة بالمقابر . وفي نفس الوقت فاللون الأحمر بالخارج يتطابق مع لون الطلاء الذي يضاف الي طينة بنية فاتحة أو بلون وردي ، وبينما يتقارب لون الطينة والطلاء في الفترات اللاحقة ، وفق ذلك يبدو أن هذا الإختلاف استغل في النهاية ذوقيا وزخرفياً لاننا نلاحظ أن بعض الأواني قد طليتا بالفرشاة بطلاء حيث تركت بعض الفراغات لتظهر الطينة عارية (شكل رقم ١٠١) .

إن اساس الانتاج الدقيق والعادي هو بلا شك في الحرق داخل الأفران المحفورة ، حيث يتعرض الفخار لدرجات حرارة أقل مما سوف يتعرض له في الفترات اللاحقة . وسهولة الكسر التى اتصفت بها كثير من الفخاريات يمكن ان ترجع ايضاً الى نوعية الطينة المستعملة ، حسبما تشير اليه الدراسات التي أجريت ، فاذا تحددت بقايا العديد من الأجزاء السفلي من مواقد النار داخل المنشآت ، والتى تآكلت وإندرست ، يمكن رصدها رغم مايبدو للناظر اليها لاول وهلة أنها أفران متطورة .

والفخار المخصص داخل المنطقة السكنية بلا شك كان معاصراً لفخار المجموعة «أ» (المجموعة الاولى) النوبية جزئياً - بل وتظهر إختلافات تميزها . فبعض الشقق الفخارية عليها زخرفة تموجية ، نتجت من جراء صقل الزخرفة المحفورة رأسياً ، وعرف بها الفخار التموجي ، وفخار صنع من طينة بلونها الطبيعي مزانة أو أحياناً غير مزانة ، بزخارف هندسية وطلاء أحمر ، قريبة الشبه بفخار المجموعة «أ» (المجموعة الاولى) بالنوبة السفلى.

وتحوى هذه المادة أساساً سلطانيات ، وأطباق كبيرة وبعض الجرار عديمة الرقبة ، وانعدمت تماماً شقف الفخار المجلوب من مصر ، خلافاً لما يمكن ان يلاحظه المرء في حالة النوبة السفلى ، أو في المواقع المرتبطة بالأفق الحضاري الأول ، والتى نجد بها نسباً كبيرة من الأوعية المستوردة . إن مقارنة المادة في هاتين المنطقتين تبدو على ذلك اساسية للوصول لنظرية تقود لربط المجموعة (المجموعة الأولى) بكرمه القديمة بجانب المجموعة «ج» النوبية (المجموعة الثالثة) .

فالأوعية التى تظهر عليها زخارف تموجية هى أساساً حمراء ، بحافة سوداء وسطحها الخارجي مصقول بلون مصفر قمحي أو بني ، إن لم يكن له دهان ، أو أحمر صافي أو داكن



شكل رقم (١٠١)
نماذج لفخار ماقبل كرمة

ولهذه الأوعية الأخيرة في بعض الحالات شريط قمحي مصفر تحت الحافة السوداء. وتزخرف دوماً، وإن اختلفت أهميتها. وفي حالة فخار المجموعة «أ» **تحتل الزخرفة عادة** بطن الإناء.

ويبدو أن الفخار الملون، قد تعرض لدرجة حرارة منخفضة اكثر من الامثلة التى ذكرناها آنفاً. وقد صقلت أسطحه البنية الصافية اللون، أو القمحية، بدقة شديدة، وتزان سواء من الداخل أو الخارج بشرائط أفقية حمراء تتعاقب مع آخرى بيضاء. توجد سلطانية داخلها أسود مصقول لها سطح خارجي قمحي اللون، يغطيه دهان أحمر موزع بغير تساوي بالفرشاة، كما وهناك وعاء آخر طينته أقوى يغطيه دهان أبيض. ويزان الفخار الدقيق بدوره بتصاميم مطبوعة بالمشط. وفي الختام، فهناك العديد من الشقف ذات أسطح حمراء غير مدهونة، والفخار العادي أقل دقة له أسطح خارجية، بنية أو حمراء ملساء بعض الشئ، وحافته سوداء محفورة، وخارجه أملس أسود. فإن دلت هذه المقارنات، التى حاولنا اجرائها بين فخار المجموعة «أ» وبين ما جمع من المنطقة السكنية القديمة بكرمه، على العلاقة المحدودة التى كانت قائمة ما بين النوبة السفلى والوسطى، فان المادة المتداولة في المنشأة التى كانت قائمة فيما قبل كرمه إتصفت بما فيه الكفاية لالحاقها بالافق الحضاري «أ» (المجموعة الأولى)، الجنوبي الذي سبق فترة كرمه القديمة بعض الشئ.

٣. فخار كرمه القديمة :

أوضحت الأعمال التي أجريت داخل المدينة التاريخية أن المباني ذات الأطوار التطورية الثلاث بكرمة وزعت جغرافياً وزمنياً إعتماداً على هندسة المباني، وتوزيع أنواع قطع الفخار، بحيث تتواجد أقدم أنواع الشقف الفخارية في وسط المنطقة المشيدة، بينما يتوزع الفخار المتأخر نحو المناطق الهامشية والأطراف. فيتوفر فخار كرمه القديمة بوفرة على الجوانب المباشرة للدفوفة، وهذا ما يقودنا الي القول بان المنطقة السكنية الأولى غطتها المباني الدينية. ولهذه المادة ما يوازيها في منطقة من المقابر متأخرة نسبياً

من فترة كرمة القديمة. وجمع إنتاج كرمه الوسيطة بكميات وفيرة في المناطق الوسطى من المدينة لكنه يبدو متصلاً بالفخار العادي الشائع ، ويندر في النطاق الجنائزي ، وأما فخار كرمه الكلاسيكية فهو قليل في وروده في المساكن المندرسة ، ويتوفر بكميات كبيرة ، خاصة في الاضافات بالدفوفة والامتدادات المتأخرة ببقية المدينة .

ودراسة طبقات الرديم بالخنادق الموازية للأسوار مكنتنا من وضع أسس قويمة للتصنيف الأولى للفخار ، والذي تتطابق مواصفاته العامة مع التصنيف الذي وضعته برجيت جريشان عند دراستها لفخار جزيرة صاي . وعليه اذا تمكنا من الحاق مجموعات الفخار المصنعة بفترات كرمه التاريخية الرئيسية ، فان رصد الأنواع المختلفة للأونى داخل كل مجموعة يصير ممكناً بكل دقة . وتشير الدراسة التى أجريت منذ فترة قصيرة على طبقات الأرض تحت الدفوفة ، إلى أن الأشكال والزخرفة لا تتطور إلا ببطء شديد خلال فترة طويلة ، وهذا البطء في سرعة التطور والتغير يتضح جلياً في إعادة التجديدات الكاملة التى كانت تجرى للمبانى داخل أسوار الحرم الديني .

وقد إستكملنا رؤانا حول الفخار نتيجة للمادة المكتشفة في النطاق الجنائزي . ورغم ان الجبانة ككل حوت عدة الآف من القبور ، فالعدد الذي تم حفره حتى الآن يبلغ ١٥٥ قبراً فقط . ورغم ضآلة هذا العدد فان الكميات الفخارية التى تحصلنا عليها لهامن الخصائص ما فيه الكفاية لمدنا بمادة دسمة للتفكير والتفاكر . فقد توفرت لنا الآن كميات من الأوعية ، كاملة أو مهشمه متعددة الأشكال والأنواع من تسعة حفريات تجريبية أجريت في المنطقة الشمالية من الجبانة ترجع الى فترة كرمه القديمة .فالمناطق من ١-٣ تقع في النواة الاولى للجبانة وتمدنا بمادة أساسية ومنسجمة . وجددت السلطانيات والأطباق موضوعة رأساً على عقب خارج القبر . كما تتواجد قطع قليله من أوعيه مقفوله كالكؤوس والأطباق الصغيره في حفر أو في رديمها . فإن كانت أغلب القطع الحمراء بحافة سوداء (شكل رقم ١٠٢) ، فهناك جزء ليس بقليل سطحه أسود من الخارج والداخل ، بعضها أيضاً أحمر أو صفراء صافية ، والطينة المستعملة ناعمة وفي تركيبها شوائب فخار من فترات لاحقة ، أو خاليه من بقايا النباتات (شكل رقم ١٠٣).

والسلطانيات والأطباق الحمراء ، ذات الحافة السوداء المستديرة كثيراً لها أشكال احياناً



شكل رقم (١٠٢)
نماذج لفخار كرمة القديمة

a b
c d

01mm302kV 300E2 0584/86 RUG-LEM

01mm301kV 115E2 0597/86 RUG-LEM

0.1mm301kV 5.49E2 5817/87 RUG-LEM

0.1mm301kV 150E2 7984/86 RUG-LEM

شكل رقم (١٠٣)

حبوب وبقايا نباتية وحيوانية متأكسدة في فخار كرمة وفترة ما قبل كرمة.

قديمة تذكرنا بتلك التى ترجع الى فترة ما قبل كرمه . ومن جانب آخر فالجزء الذي يعلو بطن الإناء يحدد ببروز ظاهر ، أو يتغير سير إنحناء السطح بشكل واضح ويشكل قعر الأناء بشكل مدبب ، فيما عدا السلطانيات الشبه كروية ، فحوافيها كانت بسيطة بشفة محدبة . وتصقل أغلب هذه الأوعية على السطحين بطلاء أحمر من الخارج ، مفصول من الحافة السوداء بمنطقة بنية . بعض الأمثله مسحت بغير عناية من الخارج ، من الداخل كانت تمسح بآلة ذات أسنان المشط . وعلى الأوعية المزانة ، وهى الاغلبية ، إنحصرت الزخرفة عامة على شفة الاناء في المنطقة السوداء . وتحتوى على تصاميم هندسية وخطوط دائرية ، وشبه المستطيلات ومثلثات ، وزوايا حادة وزقراق ، بشكل حزم شريطية ، على طوق واحد أو على عدة أطواق ، تملأ احياناً باللون الأحمر . في هذه المجموعات القديمة نجد أثر المشط رقيق للغاية ويخلط دوماً مع خطوط محزوزة ، حضرت بمساعدة آلة أحادية أو متعددة الأسنان والكؤوس على قمتها ، بالمثل حمراء بحافة سوداء وزخرفتها هى نفس زخرفة الأوعية المفتوحة . وقد تمكنا من الحصول علي مثالين للجرار مهمشين . والقطع الصغيرة كانت لها طينة بنية أو حمراء والأخرى لها لون بني صافي ، وتصقل الأخيرة بطريقة خشنة ، مغطاة على سطحها الآخر بطلاء أسود ولا تظهر في هذه القائمة الا قليل من الشقف المستوردة من مصر .

توجد من بين فخار المجموعة ج (الثالثة) نوع يتميز بطينته السوداء ، ومتانته ولون سطحه الخارجي يكون اسود او بيناً وكثيراً ما يصقل هذا السطح . أما شكله العام فهو كروي بانحناء في الجزء العلوي من الجزع ، ثم يسقط بعد ذلك الى أسفل . وبه بتصاميم هندسية محفورة ، واحياناً مطبوعة تملأ بطينة بيضتء ، مما يثير الانتباه ايضاً توزيع زخرفتها . فان كانت جمهرة الامثلة تزان على الحافة بمثلثات متقابلة مطبوعة فهنا تطبع على بعض الأوعية حيث تمتد هذه الزينة حتى حافة الزخرفة مغطية بطن الاناء .

رغم وجوده في المقاطع ٢ و٣ ، ثم بكميات ضيئلة في المناطق المتأخرة ، فانه في المقطع الاول نجد لهذا الفخار مظهراً أكثر وضوحاً وصلته بمحتوى محدد أكثر دقة . اتصفت المقابر في خلال هذا النطاق الجنائزي بنوعين من الأشكال المشيدة فوق القبر ، أحدهما بشكل دوائر متحدة المركز من الحجارة ، والآخر معلم بمسلات توضع حول

الحفرة . وهذا الأخير يتزامن مع أوعية تشابه أوعيةالمجموعة «ج» . ومن المؤكد أن بعضه من انتاج كرمه نفسها . وكما سنرى لاحقاً فأنه لا يوجد ما يفرق بين نوعي المقابر . ويمكن أن يقال أن المقابر ذات المسلات تلحق بمجموعة سكانية لها تقاليد مع كرمة وتنسب الى المجموعة «ج» (الثالثة) .

ويضع التاريخ المقترح الآن مجموعة الاضرحة في حوالي ٢٤٠٠ ق . م وهو تاريخ مبكر بعض الشيء بالنسبة لتاريخ بداية المجموعة «ج» فى بلاد النوبة السفلى كما هو متعرف عليه . ومن المحتمل أن المقابر ذات المسلات ظهرت أولاً ، ومنها تطورت أصناف المقابر ذات الدوائر المتحدة المركز فيما بعد . ولا نستطيع الآن تحديد هذا الفارق الزمني ، سواء بواسطة كربون ١٤ المشع أو تتبع العادات الجنائزية التى لا تتغير الا ببطء شديد ، وخلال أزمنة طويلة .

وفي القاطع رقم ٤ يقترب الفخار ، والذي عثر عليه بكميات ضئيلة من حيث شكله من ذلك الذي ذكر آنفاً . ويمكننا ملاحظة وجود تعديل فى الزخرفة على السلطانيات والأطباق الحمراء ذات الحافة السوداء التي تكون الأغلبية. ومثلها شاهدناها موضوعة في قبر النبال (رامى السهام) . ولا تجتمع على إناء واحد طريقتي الحفر والطباعة بواسطة المشط والتى تزان حوافي الآنية (شكل رقم ١٠٤) .

وتتنوع الأشكال في القاطع رقم ٥ و٦ . بل ويبدو أن الحرق ، وتنفيذ الزخرفة ، عملا باقل عناية وإهتمام . وعندما توضع الغالبية العظمى من الاوعية مقلوبة على عقب خارج المقابر ، توضع بعض منها أيضاً أسفل حفرة الدفن على جانب الميت . وتميل السلطانيات ، والاطباق الحمراء ذات الحافة السوداء ، والتى تتكاثر أعدادها ، الى الضيق ، وتحد زوايا الإناء ، التى تفصل بين الجزء العلوي من بطن الإناء ، بينما نجد في نفس الوقت بعض الأوانى كروية الشكل ، خالية من زوايا الإنحناء هذه . وكقاعدة عامة تظهر مؤخرة الأوعية مستديرة دائماً . وتنبسط الزخرفة التى تزين الحافة ، ويغلب عليها الخطوط المنحرفة المحفورة ، مع أو بدون شبه المنحرفة . وتنحصر الطباعة بالمشط في مثال واحد. وبالمقابل، يظهر بجلاء نوع آخر من الزخرفة على السلطانيات الحمراء والسوداء المشكلة من طينة بنية صافيه . وتطبع عليها الزخارف بآلة لها حافة مدببة ومسننة كالمشط ، حيث



شكل رقم (١٠٤ا)

سلطانية وجدت داخل قبر محارب من فترة حضارة كرمة القديمة

تنتشر الزخارف على بطن وقعر الإناء . وتتزامل هذه التصاميم أحياناً مع شكل حبيبات بارزة تسمى أزارا مضغوطة ، وتوزع في شكل خطوط رأسية تُعمل والطينة لينة ، بآلة خاصة مدببة الرأس ، تضغط من داخل الإناء نحو الخارج . ثم تغلق الأخرام الناتجة بوضع طينة لينة على الفتحات مباشرة . وقد تم ملاحظة وتسجيل هذه الطريقة لزخرفة الفخار بكرمه ، على عينات فخارية وجدت بكسلا من شرق السودان - فهى بلا شك ذات أصل من جنوب الوادي . ويلحق بهذه المجموعة بعض السلطانيات الحمراء ذات الحافة السوداء بلا طلاء ، وواجهاتها الخارجية تحمل آثار صقل بواسطة آلة لها طرف مسنن .

إن الاطباق والسلطانيات الأكثر عدداً مما سبق تكون عادة حمراء بحافة سوداء ، أو حمراء من الجانبين ونجد عليها معالجات متعددة من صقل أو تلميع . وتكون هذه الأوعية باحجام صغيرة ، فطحاء لها رقبة قصيرة . وهناك إناءان كرويان ، جيدا الصناعة ، بلا رقبة ولكل منهما شفة عملت بعصابة ، وزخرفا بتصاميم تتطابق مع تصاميم ظهرت بوضوح على سلاطنيات من المجموعة «ج» . وهى بشكل مجموعة مثلثات متقابلة صغيرة، مكونة أشكال شبه المنحرف أو كأشرطة مطبوعة على الحافة، أو على كتف الإناء. ووجدت بهذه المنطقة أيضاً العديد من قطع الفخار [illegible] نوع على عجلة الفخراني المستورد من مصر ، بعضها له شبه شديد لفخار المجموعة «ج» .

وبالقرب من المقبرة «ش» ، والتى نقب فيها جورج أندرو رايزنر ، يقع القاطع رقم ٧ والذي تميز بانتاج مكرر برتابة شديدة ، ويوضع الفخار غالباً خارج الضريح . كما تقع أماكن وضع الفخار حول القبور الكبرى دائماً على الجهة الشرقية ، حيث تحتوى علي سلطانيات ، وأطباق حمراء بحافة سوداء شكلها نصف كروي تقريباً ، صنعت بعناية فائقة، وإنحصرت زخرفتها على الخطوط المتقاطعة التى تحفر تحت شفة الإناء وتملأ بلون أحمر ، وهناك بعض الأمثلة حيث رسمت فيها ، أشكال شبه المنحرف ، ولكن بطريقة مقتضبة . وفي النهاية يزخرف البطن في بعض الأوانى الحمراء أو البنية الصافية بحبيبات بارزة ، بعضها الحقت به بصمات آلة مسننة على الحافة أو على قعر الاناء (شكل رقم ١٠٥).

تضارب الجرار علي قلتها جرار المجموعة السابقة . احدها مصنوعة من طينة بنية



شكل رقم (١٠٥)
أوعية فخارية عثر عليها في البناء الخارجي لأحد المقابر في فترة حضارة كرمة القديمة .



شكل رقم (١٠٦)
أوعية فخارية بحواف مزخرفة باللون الأحمر وبخطوط مطبوعة أو محفورة . من فترة حضارة كرمة القديمة

فاتحة علي عجلة الفخراني وربما استوردت من مصر ، لها رقبة عالية ضيقة مغطاة بطلاء أبيض . بعض الكوؤس كبيرة الحجم ذات حافة معصبة ، قد تشير الى أن مثل هذه الأواني كانت للتخزين . لها لون أحمر أو بني بلا أي طلاء ، يصقل باقل عناية وزخرفته خافتة بشكل خطوط محفورة مبسطة ، ومصحوبة أحياناً بخطوط كبيرة مهشره .

ويعكس لنا فخار القسم الثامن خطوط جديدة في سلسلة تطور الأشكال والزخرفة إبان فترة كرمه القديمة فبالقرب من حافة الإناء تتغير الانحناءة نحو الداخل وتكون الشفة مضغوطة نحو الخارج ، بحيث يصير بحرف السين الانجليزي وهي تلاحظ عادة على فخار كرمه الوسيطة وتكثر في الفترات اللاحقة . وتندر الزخرفة عموماً ، وإن وجدت فهي بسيطة ، وتميل خطوط الهاشور المتقاطعة ، واشباه المنحرف المحفورة الى الإبتعاد من الحافة حتى تصير بحوالي ١سم من شفة الاناء . وعلى طول هذه المنطقة ترص بصمات المشط بكل مائل بين خطين أفقيين محفورين . أحد السلطانيات بطينة سوداء ومغطاة بشبه منحرفات مطبوعة ، تكشف لنا خط من الأخرام على مستوى الحافة لتعليق الإناء ، مما يذكرنا بفخار المجموعة «ج» .

تختلف أطباق السلطانيات صناعة وشكلاً ، حمراء أو سوداء أو بنية ، كروية أو بيضاوية قليلاً ، برقبة قصيرة ، مصقولة أو ملساء مغطاة بطلاء احمر ومزخرف بخطوط مطبوعة أو محفورة على الشفة [التباب] . ويمكن أن يضاف الى هذه الزخارف القليلة مثلثات صغيرة مهشرة تعمل على كتف الاناء . مع ذلك تظهر بعض الأمثلة وعليها زينة معقدة بعض الشئ ، تغطي جزء الإناء بتصاميم مطبوعة ، والتي سنعرف فيما بعد أنها كانت المفضلة (شكل رقم ١٠٦) .

٣. فخار كرمة الوسطى :

تتصف زخرفة وأشكال فخار كرمه الوسطى بالثبات ، فلا تتغيران إلا طفيفاً كل هذه الفترة الطويلة . وفخار المدينة الذي جمع من الحفريات له تنوع اقل . وهو أكثر خشونة مما جمع من المقابر (المقاطع ٩ و ١٦ التي نقب بها جورج رايزنر) . وكنا نعتمد أساساً على هذه المادة قبل أن تجرى الدراسات التحليلية لطبقات الأرض تحت الدفوفه الغربية .

تتوافر في المقاطع ٩-١٣ كميات الفخار بشكل عرضى علي السطح ، خاصة حول المقابر الهامة. وتتواجد غالبية الأوعية بداخل الأضرحة. وتكون السلطانيات والأطباق حمراء بحافة سوداء ، وتوجد بعض الأمثلة مصنوعة من طينة سوداء في بعض القبور ، ومزانة بتصاميم بلون أبيض زيادة في الزخرفة، وهي نفس الطريقة التي نفذت بها زينة على سلطانية. ذات لون أبيض مصفر ، مغطاة على السطحين بطلاء محمر . ولهذا الفخار شكل كروي ، وتتغير إنحاءة الوسط أو الجزء العلوي لبطن الاناء . ومقطعه العلوى يميل الى الداخل ، ويكون مستوياً وأسفل الاناء مقعر أو محدب ، فإن كانت غالبية هذه الأوعية شديدة العمق فمن المقرر أن السلطانيات ذات مقطع له بروز حاد محدب بشدة، وأقل ارتفاعاً، فبقعر مستدير وبحجم أكبر مما سبق . تمحى أحياناً الزخرفة بواسطة صقل الإناء أثناء عملية التجفيف . وتقتصر الزخارف على شفة الاناء ، وتكون محفورة أو مطبوعة بواسطة آلات متعددة ، تحتوى أساساً علي خطوط الهاشور المتقاطعة المطبوعة بالمشط. وتصاحب أشكال شبه المنحرف مسلسلة من الهاشورات المحفورة على عجل ، أو البصمات المعمولة بآلة محدبة ناعمة ليس لها أسنان . وتظهر أشكال الزقزاق ، والمربعات والمثلثات بأعداد قليلة داخل التشكيلة الزخرفية . فتوجد سلطانية حمراء بحافة سوداء ، مغطاة بعديد من الشرائط الرأسية ، مطبوعة بآلة محدبة تعمل بحركة (طالع / ونازل) . ونجد كذلك سلطانية أخرى الى أسفل البطن . وأخيراً يوجد طبق عادي خارجه أحمر أملس ، وداخله أسود ، ومصقول يحمل تحت حافته المزخرفة باشكال مطبوعة بالمشط ، مثلثات كبيرة محفورة ومحشوة بخطوط هاشور . وفي مستوطن كرمه الوسيطة تندر هذه الأوعية التى ظهرت بين فخار المقابر (شكل رقم ١٠٧) .

وتكون الجرار عامة وبحجمها الصغير بيضاوية أو ببطن مدور ، ولها رقبة قصيرة بشفة محدبة ، ونادراً ما تكون الرقبة عمودية . وهى تصنع باليد من طينة حمراء أو بنية ذات مقطع أسود ، مغطاة أو غير مغطاة بدهان أحمر . بعض الأمثلة الكبيرة مزانة على الحافة بخطوط متسلسلة ، مطبوعة بالمشط . وعلى الكتف مثلثات صغيرة مفتوحة ومطبوعة أو محفورة ومنظمة علي شكل سلاسل أفقية أو رأسية . وتصنع الجرار المصنوعة على عجلة الفخراني ، وهى بلا شك مستوردة من مصر ، من طينة وردية اللون



شكل رقم (١٠٧)
أوعية فخارية من فترة حضارة كرمة الوسيطة

ومغطاة بدهان أبيض . والأوانى ذات البطن الأبيض الكروي مصقولة أو ملساء ، وبلا رقبة ولكن لها حافة محدبة متحدة أو متعددة الإتجاه ، وهى إما حمراء أو حمراء بحافة سوداء ، أحياناً مطبوعة بخطوط متعرجة على الكتف . إحداها ذات ذيل طويل ومثقوبة بالعديد من ثقوب الترميم وجبر الكسور ، وموازنة على الشفة بطبعات المشط البسيطة ، وثم يتبع ذلك مثلثات كبيرة محفورة تحتل الجزء الأعلى من بطن الإناء .

وفخار المقاطع ١٤-١٦ مثل فخار المقبرة «م» ، التى حفرها رايزنر يتميز بجلاء عن بقية فخار مقاطع كرمة الوسيطة الأخرى ، فيوضع دائماً داخل الأضرحة ، وتندر به السلطانيات شبه الكروية الحمراء ذات الحافة السوداء . وتصحبه الأطباق العميقة بعض الشئ والطاسات ذات الحيطان (الجوانب) ، والتى لها مقطع جزءه العلوي مضغوط قليلاً ، ومدد نحو الخارج وله شفه رقيقه، ويميل قعره المدور نحو التمدد بعض الشئ فوق ذلك فهذه الأوعية مصقولة جيداً وبعناية ولا تزخرف ، بعكس السلطانيات الحمراء ذات الحافة السوداء المصنوعة بطريقة غير متقنة ، ومحفورة بها على الحافة مثلثات أو هاشورات متقاطعة في أشكال رباعية على الجزء العلوي من الإناء . بعض الأطباق السوداء المزخرفة تزاد تاكيداً وإظهاراً بواسطة اللون الأبيض ومن ذلك تداوم على التقليد الخزفي الذي ظهر في المجموعة «ج» . والأطباق الصغيرة البيضاوية التى لم تصنع علي عجلة الفخراني ، مغطاة بصبغة حمراء ومصقولة ونادرة نسبياً ، وأحجامها صغيرة عموماً ، على عكس الأمثلة المصنوعة علي عجلة الفخراني . ويضم الجهاز الجنائزي أحياناً جرار صوامع مصنوعة من طينة بنية تعلم بمادة الجرافيت . ومصدر الجرار الأخرى ذات المؤخرة الطويلة هو مصر ، وهى مصنوعة من طينة حمراء . مغطاة بطلاء أبيض ، ويعلو بطنها البيضاوى رقبه واسعة لها نتوءات عديدة ، وتظهر على الأوانى الكروية بلا رقبة شفة مقعرة ، (شكل رقم ١٠٨) حيث يعبر الفخراني عن ذوقه الزخرفي . وتحمل هذه الألوان الحمراء ، أو حمراء بحافة ومصقولة من الخارج ، على سطحها الداخلي آثار وبقايا عملية صقل بواسطة آلة مسننة ، وتزخرف على الشفة ، والكتف وعلى جزء من البطن ، بتصاميم محفورة أحياناً ، ولكن يغلب عليها الطباعة بالمشط بأشكال شبه المنحرف والزقزاق والزوايا الحادة ، والمثلثات ، وإن ظهرت احياناً بعض تصاميم الحيوان . ويلحق بهذه



شكل رقم (١٠٨)
أوعية فخارية بيضاوية الشكل بدون عنق تعود لفترة حضارة كرمة الوسيطة

التصاميم المطبوعة صفوف كثيرة من المثلثات المتقابلة الصغيرة ، مثلما يقابله المرء في فترة كرمه القديمة وعلى حافة سلطانيات من المجموعة «ج» .

وقدمت لنا قبور المقطع ١٦ القليل من الفخار حيث أنها نهبت مراراً . ورغم ذلك يلاحظ أن جوانب السلطانيات الحمراء ذوات الحافة السوداء تكون مفتوحة أكثر عندما تكون القاعدة مفلطحة . وصنعت هذه الأشكال الجديدة بطريقة سمجة للغاية . وهى بهذا مهدت الطريق لتلك التى ستتميز بها فترة كرمه الكلاسيكية المعرفة باسم «كؤوس زهرة الخزامى – التوليب» المشهورة والآن يقابله المرء في المقطع ١٧ و ١٨ مع أن بعض الأضرحة تحتوى على فخار قريب الشبه من أصناف كرمه الوسطى .

٤. فخار كرمة الكلاسيكية :

وما بدأنا نتعرف على فخار كرمه الا عندما اقتربت الحفريات من الجزء الجنوبي للجبانة، خاصة حفريات رايزنر في المقبرة «ب» ، ومن جراء إمتداد الحفريات الحالية في المدينة ، وعليه سيصبح سابق لأوانه أن نناقش هذا التصنيف الذي وضعه رايزنر في أوائل هذا القرن . مع ذلك يمكننا أن ندلى ببعض التعليقات والملاحظات الأولية هنا . فبدءاً ذي بدء نقول إن هذا الفخار عريق الاصالة في التقليد الفخاري المحلي . فإن أصاب الفنانون حينئذ بعض الكمال في فن التشكيل الذي صاغوه في شكل الأوانى ، فقد سبقهم اليه أسلاف لهم أثبتو سيادتهم في مثل هذا الفن إبان الفترات الأولى .

حقاً قد كان بعض أنواع فخار ما قبل كرمه من الدقة والرقة مثلما كانت أجمل قطع فخار الفترات المتأخرة . مع ذلك فقد برزت كرمه الكلاسيكية بدرايه كبيرة في فن الحرق . ويشهد بذلك وجود الشريط المعدني ، الذي يقع ما بين جزع الإناء وحافته ، في الفخار الدقيق الأحمر والأسود . وربما عثر الفنانون على هذا التأثير صدفة فى الأصل ، اذا اعتبرنا أن البقع الرمادية التى بدت على بعض الأوانى من نهاية كرمه الوسطى والتى ربما كانت من جراء إرتفاع في درجة الحرق (شكل رقم ١٠٩).

أكبر مجموعة فخارية استعرضها رايزنر في كتابه كانت من الفخار الرقيق ، حيث افترض الحاق كل الإنتاج بصناع مصريين ، وأنه في النهاية فخار فريد وجنائزي



شكل رقم (١٠٩)
كوب من الفخار من فترة حضارة كرمة الكلاسيكية «جبانة عكشة»

وطقوسي. والذي لا شك فيه الآن هو أن هذا الفخار هو عمل إبداعي لحرفيين محليين . وقد لا نستبعد تماماً إحتمال الإنتاج بواسطة عجلة الفخراني . فأحد القدور البسيطة ، والمحدودة الاستعمال ، شكلت بعدة طرق مركبة - ربما كانت في كثير من الأحايين صعبة الإكتشاف . وعلى كل فهى لا توجد على فخار هذه الفترة الا في حالة المستورد أصلاً من مصر ، والذى يسهل اكتشاف صناعة عجلة الفخراني فيه .

كما أشرنا اليه سابقاً ، تضم المادة المأخوذة من المدينة الجزء الأعم من الفخار الشعبي ، آخذين في الاعتبار نظام الحياة اليومية . ودراسة تقسيم الأصناف العديدة للفخار من المساكن قد يقود الى تحديد دقيق لاستعمالات الأنواع ، والذي بدوره يمكننا من إستخلاص الطوائف الإجتماعية لمتداولي الفخار . ونظام طبقات الأرض تحت الدفوفة ، والذي يثبت بوضوح الفترات المختلفة لكرمه الوسطى ، يتناسق مع سلسلة من الأشكال والزخارف التى لم يتم تحديدها بعد ، أو ربما كانت نادرة في هذا الموقع خاصة . ونحن هنا داخل حرم ديني ، فالأوعية قد تختلف وظائفها عن بقية المناطق الخارجية الأخرى المنتشرة . وهكذا فوجود السلطانيات السوداء ، المغطاة بزخارف بارزة دقيقة بيضاء محصورة الآن على جناح ملحق بالحرم الديني . في نفس الوقت فقد تم رصد أمثلة أخرى من الفخار الدقيق من هذه الفترة سواء داخل المساكن أو داخل الحفريات . من جانب آخر فقد تجمعت أعداد كبيرة من كؤوس التوليب ، أو الفخار الجيد الصناعة ، من خارج إستحكامات فترة كرمه الكلاسيكية .

وفي الجبانة الانتشار الكبير للأوعية الراقية يظهر مرتبطاً بالعادات الجنائزية والتى تعكس ميلاً نحو إختيار الأشياء الأجمل والأقيم لمصاحبة الميت . وخلال فترة طويلة فان إبداع السلطانيات ملاصقة للأكوام فوق القبور ، وتم وجود الأطباق باعداد في المقاصير المتأخرة ، تشير بانها مكرسة لحيز جنائزي ، كقربان مسكوب . وعادة ما تترك السلطانيات المستعملة أثناء الطقوس في أماكنها ، ويلحق بها مخزون جنائزي ، مما أدى الى ضرورة انتاج فخار دقيق . ومن المحتمل أن يجزأ انتاج مثل هذه المادة على فترات قرب الجبانة ، ويتم حرقها في الأفران التى تم رصدها علي حافة مناطق الدفن . وبعض الفخار الموضوع داخل القبر يحمل علامات وآثار الترميم والإستعمال . من جانب آخر

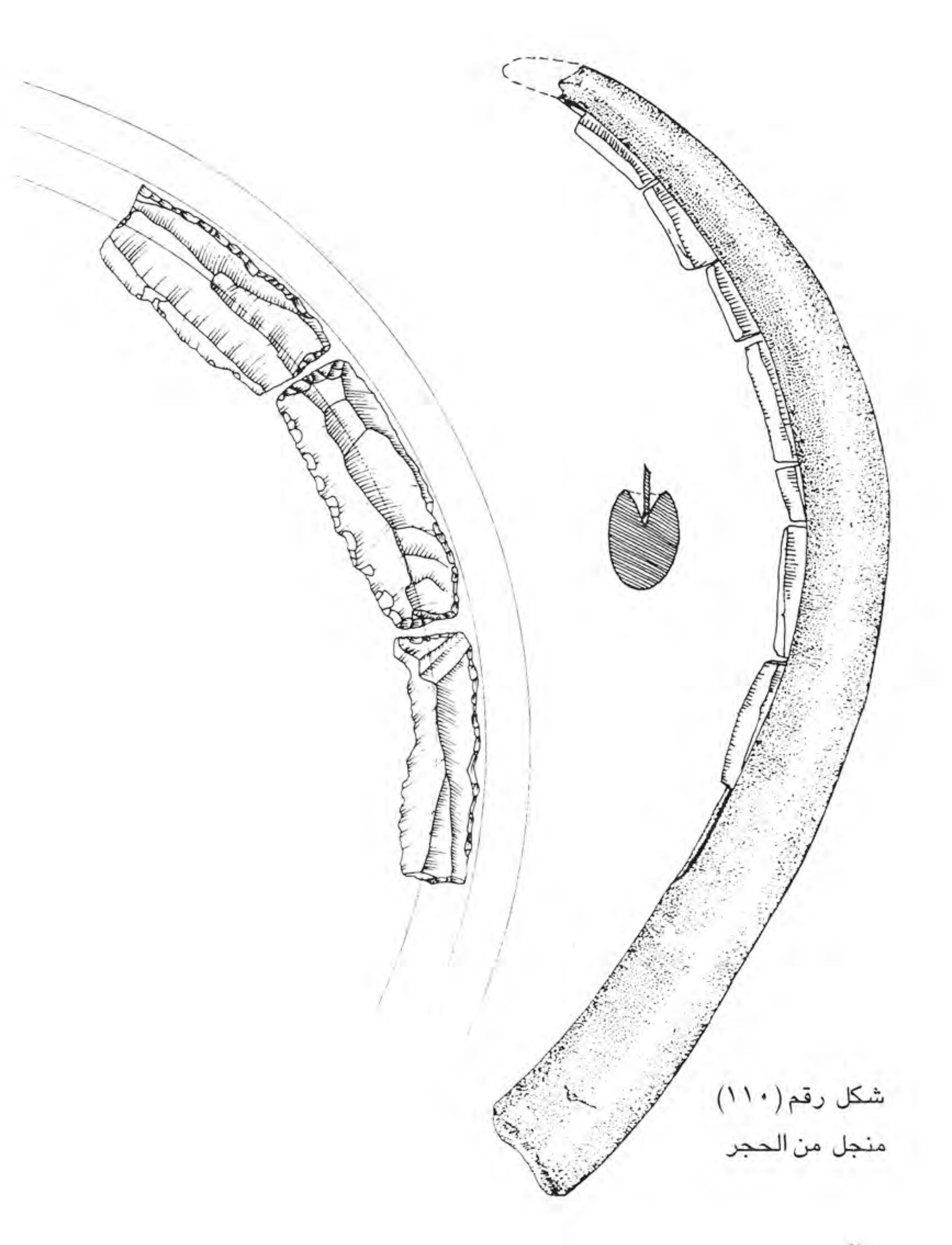
فالفخار الأكثر شيوعاً يوزع بالتساوي بين الأطباق ذات القعر المستدير القوى ، والجرار وجرار الصوامع . في ذات الوقت هناك ما يشير إلى أن الأوعية تتوافر فقط بين مجاميع خصصت لإستكمال الجهاز المقرر للأضرحة . وهكذا إذا عدنا الى كرمه القديمة نجد نوعية متواضعة لأحد السلطانيات ، والتى تظهر أنها وجدت داخل قبر لفتاة ، وترينا أن هذا الإناء لا يمكن أن يكون حرقا خفيفاً وله وظيفة سابقة . ومما يلفت نظرنا أيضاً خاصية أخرى ، رصدت على فخار مصدره مقبرة عكاشه ، والذي بدأ يظهر أيضاً بكرمه على بعض الأمثلة من أواخر كرمه الوسطى . وفي الحقيقة فان تناول هذا الفخار باليد يترك على اليد سكن أسود ، وسكن النار الأسود، والذي يغطى أيضاً الجوانب الداخلية للوعاء المحروق ، والذى وضع مقلوباً على حفرة نار مفتوحة . ويبدو واضحاً أن هذا الفخار استعمل قبل وصوله للجبانة . وهكذا لا يستطيع المرء تقييم المتاع الجنائزي ، نسبة لأن ملامحه لا تختلف الا قليلاً من الفخار العادى ، ويبدو ان نوع واحد من الانتاج الفخاري بكرمه قد صنع ببعض الاختلافات من الفخار العادي والمستعمل يومياً .

٢. صناعة الحجارة المصقولة

الآلات الحجرية :

تم العثور على بعض الالآت المتخصصة كالمنجل والسهام والمخارز ، وقطع مسننة أخرى ، مما يشير الى وجود صناعه حجرية متصلة بالحياة اليومية ، بالرغم من انتشار الصناعات المعدنية وترتبط هذه الالآت الحجرية التى عثر عليها بالصيد ، وحصاد الحبوب وعملية ثقب أدوات متصلة بالطحن ، والصقل ، وبكل ما يتصل بالحرف الأخرى كالفخار ، والجلود ، وصناعة المقابض من الخشب ، أو العظام ، أو العاج ، أو العمليات الزراعية . وهناك شظايا طويلة ذات حدين توفرت بكميات كبيرة تشير الي إستعمال الآت حادة طويلة كالمنجل المشهور ، الذي كان منتشراً في كثير من مدنيات الشرق الأدنى القديم . وهكذا يبدو أن هناك تنظيماً مركباً لانتاج أدوات حجرية تستعمل في نشاطات أخرى ،

وهو نظام يعكس تنظيم الانتاج الصناعي الشئ الذي كان منتشراً بين حضارات مدنية أخرى كما كان في كرمه (شكل رقم ١١٠) .



شكل رقم (١١٠)
منجل من الحجر

الحجارة المصقولة :

صقلت الالآت الحجرية لتشكيلها وتهيئتها للإستعمال المتخصص ، وقد يتأثر الصقل من طبيعة إستعمال الآلة نفسها ، كالطاحنات مثلاً . ومن الالآت الفوؤس ، ورؤوس دبابيس القتال ، والتى اكتسبت دوراً طقسياً ، والقدوم الذي ارتبط بصناعة النجارة ، والعينات التى عثر عليها صغيرة الحجم من حجر أخضر (شكل رقم ١١١).

تتمثل المجموعة الثانية من الحجارة المصقولة في أدوات الطحن ، كطحن الغلال ، ومواد التلوين ، أو الدرس ، أو حجارة الدق ، ولوحات التلوين . وكان تحضير مادة المغرة الحمراء كحجارة تدرش ثم تطحن ، وتعجن لاستعمالها في التلوين كان نشاطاً هاماً في مدينة كرمه خلال تاريخها الطويل ، عثر على مواد تلوين كثيرة أخرى معبأة في أكياس السكن بالمدينة والمقابر والمعابد ، ويلحق بهذه الألوان ألواح مشكلة ومثقوبة لتعلق بالرقبة للإستعمال الشخصى . وصناعة الفخار تشكل مجالاً آخر ، سواء لتحضير الطين أو زخرفة، ثم الصقل والتلميع والسن وكانت تعلق بالرقبة بعد ثقبها.

ثانياً : خراطة العظام والعاج :

نسبة لكثرة وجود المصنوعات الجلدية التى تم العثور عليها بالمقابر خاصة فلابد وأن هناك معدات عديدة متخصصة من العظام خاصة ، كالمغارز (شكل رقم ١١٢)، والمكاشط والإبر والتى يحتاج اليها أيضاً في صناعة السلال والبروش وغيرها من الصناعات والحرف . مع ذلك فاننا لم نعثر الا على ١٠٦ قطعة في كل الحفريات حتى الآن صنعت أغلبها من العظام الطويلة للأغنام أو الماشية ، وهناك دبوس شعر واحد صنع من عظم فرس البحر ، وأخرى صنعت من العاج ، ويتم القطع او النشر بآلة من حجر الصوان ، ثم تبرد على حجر رملي ، وتصقل بواسطة الرمال على الجلد . وشملت الأدوات حربة صيد السمك (الهاربون) ، (شكل رقم ١١٣) ثم المعاصم ، ومقابض السيوف والسكاكين والأمشاط من العاج وغيرها من الأدوات .

فن التطعيم بالعاج :

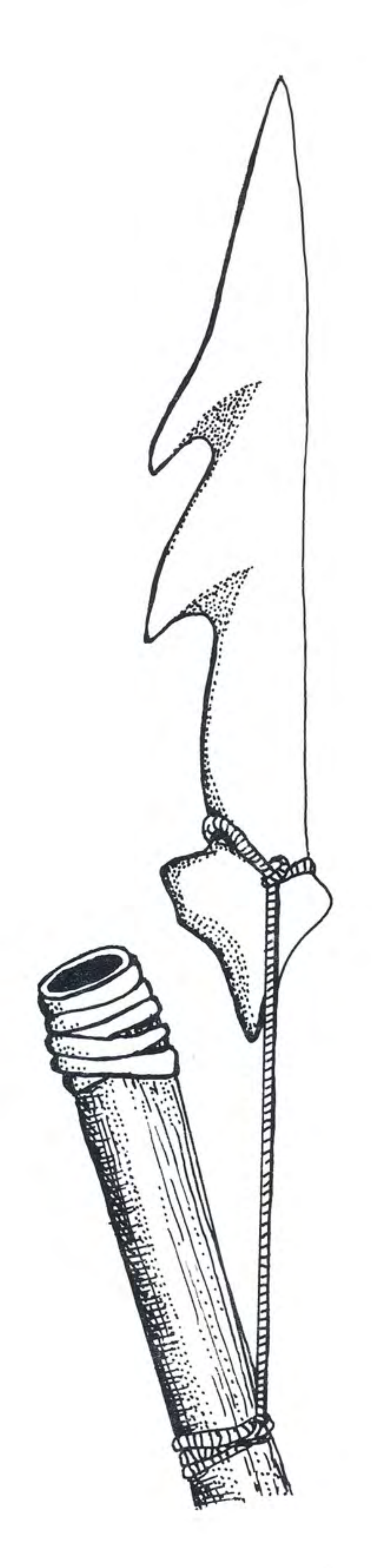
فن زخرفة التطعيم بالعاج من سن الفيل ، أو فرس البحر والتى كانت تزان بها قوائم



شكل رقم (١١١)
أدوات حجرية مصقولة



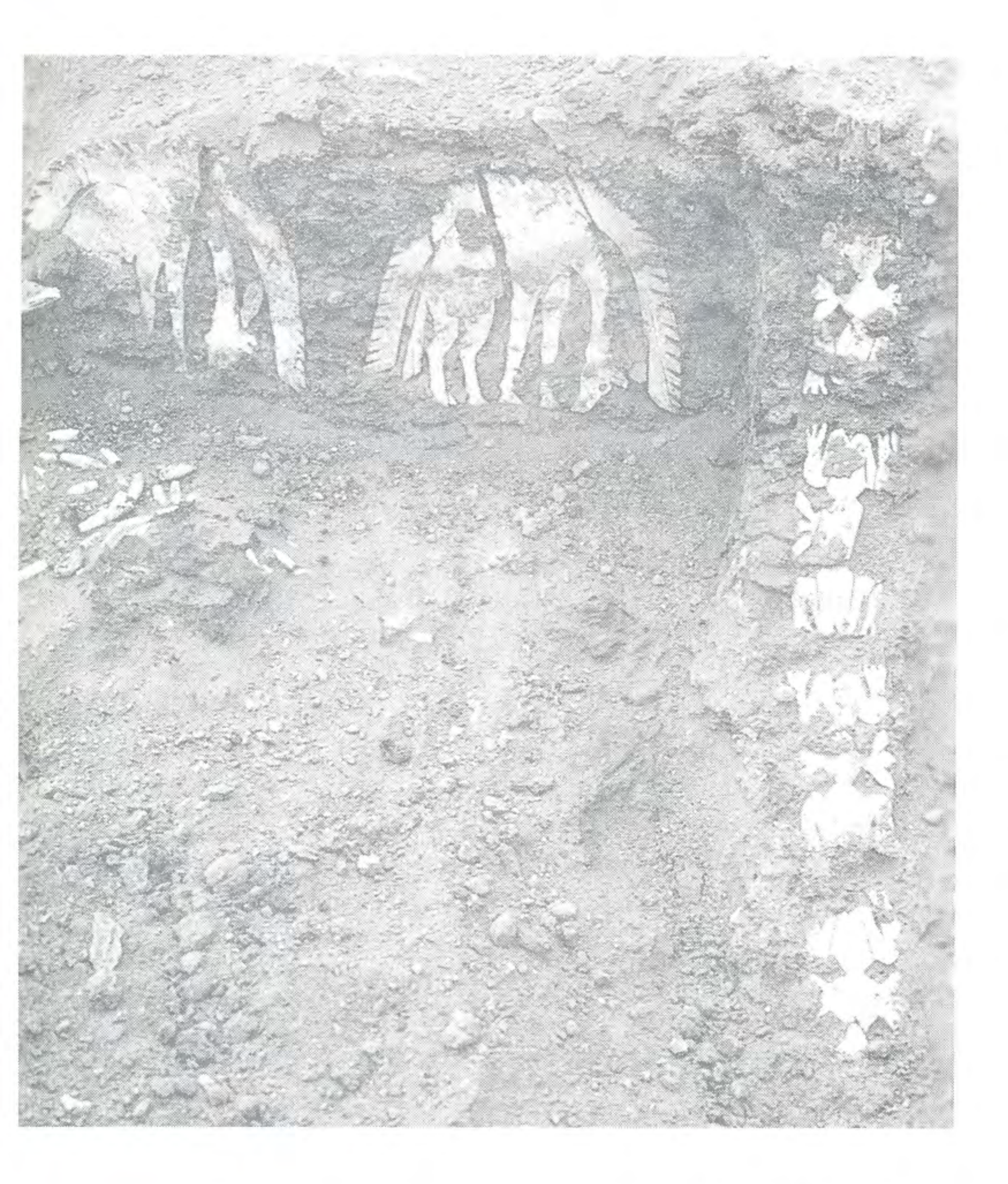
شكل رقم (١١٢)
فتحة لنعل من الجلد نفذت بواسطة آلة حادة من العظم



شكل رقم (١١٣)
صنارة لصيد السمك من العظم

وألواح الأسرة الجنائزية بكرمه هو من إبتكارات كرمه الكلاسيكية . وشملت الوحدات الزخرفية أشكالاً هندسية بسيطة تتراوح بين زهرات رباعية ، أو سداسية البتلات ، محاطة بأشكال هندسية كالمثلثات . وفي القبر ١٦ عثر على وحدات مكونة من حيوانات خرافية ، وأشكال النباتات ، أو خليط من كل ذلك . والمصدر الإلهامي لهذا الفن متعدد . فهناك البيئة المحلية كالحيوانات الإستوائية المتمثلة في وحيد القرن ، والفيل ، والزراف ، والنعام ، والغزال والضباع والصرى . ويتمثل الإبداع الخلاق للفنان في أشكال الزرافة المجنحة (شكل رقم ١١٤أ) ووقفتها ، ويتمثل التأثير المصري في طائر النسر والتمساح ، والثور ، والآلة تاروت الممثل بفرس البحر (الخرتيت) . وكثير من الأشكال التي انتشرت في آبان الاضمحلال الثانية بمصر والشام . ووردت كذلك شكل العنزتين اللتان ترعيان الشجرة المباركة . والغزال والواقف أو السابح يشير الى علاقة كرمة بالهكسوس بمصر .

وفن التطعيم بهذا الشكل ظهر في بلاد ما بين النهرين بالعراق وفي سوريا . وأقرب شبه لفن عاجيات كرمه يوجد بالجسر بفلسطين ، يؤرخ بالعصر البرونزي الوسيط الثاني، والمعاصر لحضارة كرمه الكلاسيكية . وتتشابه هذه العاجيات سواء في طريقة تصنيعها وتركيبها ، أو في شكلها الذي شمل أشكال الحيوانات والطيور ، خاصة الإله الخرافي بشكل فرس البحر ، ويعرف باسم «تاروت» وكما في حالة كرمة فإن العناصر المحلية تمازجت مع العناصر المتمصرنة. ويبدو أن عاجيات الجسر تمثل صيغاً مشرقيه لعاجيات كرمه . ومما تجدر الاشاره إليه أن العاجيات المماثلة لها لم تظهر بمصر الا في فترات متأخرة كثيراً . وعليه فما تزال حلقة الإتصال المصرية مفقودة حتى الآن . وفي هذه الحالة لا يسعنا الا أن نخلص الى أن التشابه الذي رصدناه بين عاجيات كرمه وعاجيات الجسر بفلسطين أمر طريف وغريب للعلاقات التي كانت قائمة ، في تلك الحقبة من الزمن بين حضارة كرمه بالسودان والهكسوس بدلتا ووسط مصر وبلاد الشرق الأدنى بفلسطين – (وهكذا تخطت كرمه المحيط المصرى إلى عالم الشرق الأدنى القديم) .



شكل رقم (١١٤)
زخرفة على سرير تمثل اشكالاً لحيوانات نفذت بطريقة التطعيم بالعاج

ثالثاً : تماثيل صغيرة من الطين

وجدت مجموعة كبيرة من التماثيل الصغيرة بمدينة كرمه ، أثناء الحفريات الجارية المصنوعة من الطين ، لايتعدى أطولها العشرة سنتمترات تمثل الإنسان ، وحيوانات ، والآت، معدات ، وأشكال هندسية - صنعت بطريقة بدائية تخلو من لمسات جمالية متطورة. وقد إنحصر تواجدها في فترتي كرمه الوسطى (٢٠٥٠ - ١٧٥٠ ق.م) وكرمه الكلاسيكية (١٧٥٠-١٥٠٠ ق.م) ولم يعثر عليها في الفترات السابقة .

١- تماثيل الإنسان وتنقسم الى ثلاثة مجموعات : الأولى عديمة الرأس بعضها به ثقب أعلى الرقبة لتثبيت الرأس . بعضها بجزع قصير للغاية ، وأخرى إستطال بطريقة مبالغة، كلها جاءت من محيط كرمه الوسطى . أما المجموعة الثانية قد شكل فيه الرأس على شكل منقار الطير، وينساب مع الجزع في قطعة واحدة ويشار الي الأطراف بنتوءات بسيطة . والثانية تتميز بتحسن وتطور كبير في تكوين الجسم . حيث برزت خطوط أو خدوش أو ثقوب تمثل تفاصيل تشريحية أو ملبوسات ولهذه المجموعة مكانة خاصة لما عليها من لمسات جمالية ، وفن وما تلقيه من علاقات مع مثيلات ظهرت في مجال حضارات النوبة السفلى، خاصة المجموعة «أ» (الاولى) والمجموعة «ج» «الثانيه». يظهر الرأس كالبيضة الصغيرة ، وعليه تفاصيل الوجه (شكل رقم ١١٥).

٢- تماثيل الحيوانات وهى بدائية التكوين ، يصعب تحديد نوعية الحيوانات المعنى ، ويغلب عليها الماشية ، والأغنام وتتساوى أعدادها ، وقد أثبتت الحفريات وجود هذه الحيوانات حقيقة ، وقد تتفاوت التفاصيل التشريحية بالنسبة للماشية ، بينما إختفت تماماً من الاخرى ، بحيث يصعب التفريق بين الحيوانات البرية والمستأنسة فيما عدا فرس البحر.

٣- تماثيل لأشكال متعددة : بعضها بشكل أوعية ، وأخرى بأشكال هندسية ، مثل الأزرار والأطباق والمراكب ، وقد وجد رايزنر في حفرياته أمثالاً لها . أو أدوات إنتاج مساعدة لبعض العمليات . أو أشكال شعبية وربطها بمغزي دينى ، حيث عثرت بمدينة كرمه قرب أماكن العبادة ، ولم يعثر عليها بالمقابر ، كما عثر على بعضها تحت أساسات



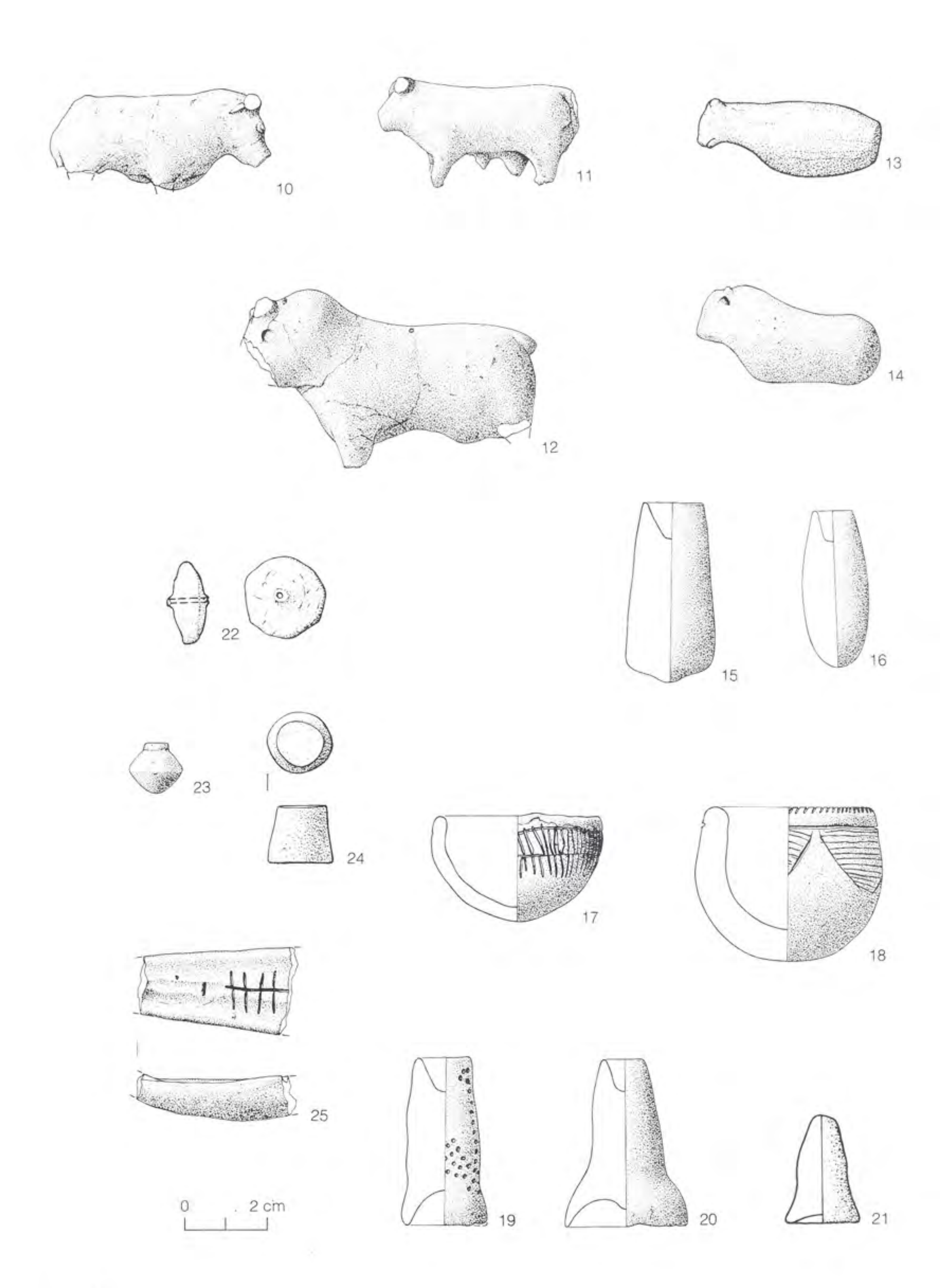
شكل رقم (١١٥)
تماثيل صغيرة من الطين على هيئة آدمية

المباني كقرابين أو ودائع . وأرجعت بعضها الى أفعال السحر كتعاويز ورقى او للعمليات الحسابية ، وتحديد أوزان او كميات أو أثمان البضائع ، إن هذا التضارب الشديد يؤخذ كمثال لقصور معرفتنا بهذه الحضارة الهامة التى نشأت بكرمه ، ونأمل أن تستمر الأبحاث لإجلاء غوامض هذه الحضارة الهامة . (شكل رقم ١١٦)

شكل رقم (١١٦)

نمـــاذج لتــمــاثيل من الطين على هيــئـــة آدمـــيـــة وحـــيـــوانيـــة




10
11
13
12
14
22
15
16
23
24
17
18
25
0
2 cm
19
20
21

Bibliographie

ABEKEN, 1846, *Rapport sur les résultats de l'expédition prussienne dans la Haute-Nubie*, dans *Revue archéologique*, 3, p. 171-178.

ACSADI, G. et J. NEMESKERI, 1970, *History of human life span and mortality*, Budapest (Akademiai Kiado).

ADAM, S., 1969, *Report on the excavations of the Department of Antiquities at Ezbet Rushdi*, dans *ASAE*, 56, p. 207-226.

ADAMS, N. K., à paraître, *"Lace" of the Sudan: a unique decorative technique*, dans *Nigm-ed-Din Mhd Sherif Festschrift*.

ADAMS, W. Y., 1986, *Ceramic Industries of Medieval Nubia*, 2 vol., Lexington, Kentucky.

ADAMS, W. Y., 1988 (1977), *Nubia, corridor to Africa*, Londres (Allen Lane).

ADAMS, W. Y., s.d., *Pottery wares of the Ptolemaic and Roman periods at Qasr Ibrim*. Manuscrit.

ADDISON, F. A. et O. G. S. CRAWFORD, 1951, *Abu Geili, Sagadi & Dar el Mak*. Wellcome Excavations in the Sudan (III), Oxford.

ALDRED, C., 1971, *Jewels of the pharaohs*, Londres et New York.

ALI, A. M., 1972, *The city of Meroe and the myth of Napata*, dans *17th Annual Conference of the philosophical society of the Sudan*, Khartoum.

ALTENMULLER, H., 1986, *Ein Zaubermesser des Mittleren Reiches*, dans *ZAS*, 13, p. 1-27.

AMIRAN, R., 1977, *The ivory inlays from the tomb at el-Jisr reconsidered*, dans *The Israel Museum News*, 12, p. 65-69.

ARKELL, A. J., 1961 (1955), *A history of the Sudan from the earliest times to 1821*, Londres.

ARKELL, A. J., 1975, *The prehistory of the Nile Valley*, dans *Handbuch der Orientalistik*, 7, Abt./2, Lief. 1, Leyde-Cologne.

BAKER, H., 1966, *Furniture in the ancient World*, Londres et New York.

BARNETT, R. D., 1954, *Fine ivory carving*, dans Ch. SINGER, E. J. HOLMYARD et A. R. HALL éd., *A History of technology*, 1, Oxford, Londres.

BARNETT, R. D., 1982, *Ancient ivories in the Middle East and adjacent countries*, Jerusalem.

BATES, O. and D. DUNHAM, 1927, *Excavations at Gammai*, dans *Harvard African Studies*, 8, Cambridge, Mass.

BERLANDINI, J., 1983, *La déesse bucéphale: une iconographie particulière de l'Hathor memphite*, dans *BIFAO*, 83, p. 33-50.

BERRY, A. C. et R. Y. BERRY, 1967, *Epigenetic variation in the human cranium*, dans *J. Anat.*, 101, 2, p. 361-379.

BIANCHI, R. S., 1980, *Faience at Kerma*, dans *The Society for the Study of Egyptian Antiquities Journal*, X, 2, p. 155-160.

BIETAK, M., 1968, *Studien zur Chronologie der Nubischen C-Gruppe. Ein Beitrag zur Frühgeschichte Unternubiens zwischen 2200 und 1500 vor Chr.* (Berichte des Österreichischen Nationalkomitees des UNESCO-Aktion für die Rettung der Nubischen Altertümer, V), dans *DÖAW Phil.-hist. Klasse*, 97, Vienne.

BIETAK, M., 1979, *Avaris und Piramesse*, Londres.

BIETAK, M. et M. SCHWARZ, 1987, *Nag' el-Scheima, eine befestigte christliche Siedlung und andere christliche Denkmäler in Sayala - Nubien*, Teil I, DÖAW, Vienne.

BLACKMAN, W. S., 1927, *The Fellahin of Upper Egypt*, Londres-Bombay-Sydney (G. Harrap).

BOCQUET, J. P. et C. MASSET, 1977, *Estimateurs en paléodémographie*, dans *L'Homme*, 17, 4, p. 65-90.

BOESSNECK, J., 1988, *Die Tierwelt des alten Ägypten*, Munich (C.H. Beck).

BOESSNECK, J. et A.v.D. DRIESCH, 1982, *Studien an subfossilen Tierknochen aus Ägypten*, dans *MÄS*, 40.

BONNET, Ch., 1978a, *Nouveaux travaux archéologiques à Kerma (1973-1975)*, dans *Actes du Colloque d'études nubiennes, Chantilly, 1975*, Le Caire, p. 25-34.

BONNET, Ch., 1978b, *Fouilles archéologiques à Kerma (Soudan). Rapport préliminaire de la campagne 1977-1978*, dans *Genava*, n.s., XXVI, p. 107-127.

BONNET, Ch., 1979, *Remarques sur la ville de Kerma*, dans *Hommage à la mémoire de S. Sauneron*, vol. I, Le Caire, p. 3-10.

BONNET, Ch., 1980a, *Les fouilles archéologiques de Kerma (Soudan). Rapport préliminaire des campagnes de 1978-1979 et 1979-1980*, dans *Genava*, n.s., XXVIII, p. 31-62.

BONNET, Ch., 1980b, *La nécropole méroïtique de Kerma*, dans *Bulletin d'informations méroïtiques, Actes du Congrès international des égyptologues, Grenoble, 10-15 sept. 1979*, 20 (mai), p. 9-12.

BONNET, Ch., 1980c, *Geneva University Excavations in the Sudan. Report on the 1979-1980 Season*, dans *Nyame Akuma*, 16 (mai), p. 36-37.

BONNET, Ch., 1981, *La deffufa occidentale à Kerma. Essai d'interprétation*, dans *Bulletin du Centenaire, supplément au BIFAO*, Le Caire, p. 205-212.

BONNET, Ch., 1982a, *La nécropole orientale de Kerma*, dans P. van MOORSEL éd., *New Discoveries in Nubia. Actes du Colloque d'études nubiennes, La Haye, 1979*, Leyde, p. 1-4.

BONNET, Ch., 1982b, *Les fouilles de Kerma*, dans J. M. PLUMLEY éd., *Nubian Studies. Actes du Symposium pour les études nubiennes au Selwyn College, Cambridge, 1978*, Warminster, Wilts, p. 45-56.

BONNET, Ch., 1982c, *Les fouilles archéologiques de Kerma (Soudan). Rapport préliminaire des campagnes de 1980-1981 et de 1981-1982*, dans *Genava*, n.s., XXX, p. 29-53.

BONNET, Ch., 1983a, *Une ville antique du Soudan: Kerma*, dans *La ville dans le Proche-Orient ancien. Actes du Colloque de Cartigny, 1979*, I, Louvain, p. 125-132.

BONNET, Ch., 1983b, *Kerma: an african Kingdom of the 2nd and 3rd millenia BC*, dans *Archaeology*, 36, 6 (nov.-déc.), p. 38-45.

BONNET, Ch., 1983c, *Excavations by the Archaeological Mission of the University of Geneva to the Sudan. 1982-1983 Season*, dans *Nyame Akuma*, 22 (juin), p. 23-24.

BONNET, Ch., 1984a, *Les fouilles archéologiques de Kerma (Soudan). Rapport préliminaire des campagnes de 1982-1983 et 1983-1984*, dans *Genava*, n.s., XXXII, p. 5-20.

BONNET, Ch., 1984b, *Archaeological Mission of the University of Geneva to Kerma. 1983-1984 Season*, dans *Nyame Akuma*, 24-25 (déc.), p. 18-19.

BONNET, Ch., 1985, *Aperçu sur l'architecture civile à Kerma*, dans *CRIPEL*, 7, p. 11-21.

BONNET, Ch., 1986a, *Un atelier de bronziers à Kerma*, dans M. KRAUSE éd., *Nubische Studien (Tagungsakten des 5. Internationalen Konferenz der International Society for Nubian Studies, Heidelberg, 22-25 sept. 1982)*, Mayence (Ph. v. Zabern), p. 19-23.

BONNET, Ch., 1986b, *Kerma, Territoire et Métropole. Quatre leçons au Collège de France*, dans *Bibl. gén. IFAO*, IX, Le Caire.

BONNET, Ch., 1986c, *La découverte de la statue*, dans Ch. MAYSTRE, *Tabo I*, Genève (Payot), p. 11-20.

BONNET, Ch., 1986d, *Rapport préliminaire sur les campagnes de 1984-1985 et de 1985-1986*, dans *Genava*, n.s., XXXIV, p. 5-20.

BONNET, Ch., 1987a, *The Archaeological Mission of Geneva University at Kerma (Sudan): 1984-1985 and 1985-1986 Campaigns*, dans *Nyame Akuma*, 28 (avril), p. 38-40.

BONNET, Ch., 1987b, *Kerma, royaume africain de Haute Nubie*, dans T. HÄGG éd., *Nubian culture: Past and present. Main papers at the 6th International Conference for Nubian Studies in Uppsala, 11-16 Aug. 1986*, Stockholm, p. 87-111.

BONNET, Ch., 1987c, *Travaux de la Mission de l'Université de Genève sur le site de Kerma (Soudan, Province du Nord)*, dans *BSFE*, 109 (juin), p. 8-23.

BONNET, Ch., 1987d, *Mission of the University of Geneva to the Sudan*, dans *Nyame Akuma*, 29 (déc.), p. 52.

BONNET, Ch., 1988a, *Les fouilles archéologiques de Kerma (Soudan). Rapport préliminaire sur les campagnes de 1986-1987 et de 1987-1988*, dans *Genava*, n.s., XXXVI, p. 5-20.

BONNET, Ch., 1988b, *Le territoire du royaume de Kerma. Cent quarante ans après l'expédition de Karl Richard Lepsius*, dans *Karl Richard Lepsius (1810-1884). Akten der Tagung anlässlich seines 100. Todestages, 10-12.7.1984 in Halle, Schriften zur Geschichte und Kultur des alten Orients*, 20, Berlin, p. 328-338.

BONNET, Ch., 1988c, *Archaeological Mission of the University of Geneva to Kerma (Sudan). Final report of the 1987-1988 Season*, dans *Nyame Akuma*, 30 (déc.), p. 32-33.

BONNET, Ch., 1989, *Un bâtiment résidentiel d'époque napatéenne à Kerma. Premières interprétations*, dans *Meroitica*, 10 (Actes de la 5e Conférence internationale d'études méroïtiques, Rome, 1984), p. 853-861.

BONNET, Ch. et SALAH M. AHMED, 1984, *Un bâtiment résidentiel d'époque napatéenne*, dans *Genava*, n.s., XXXII, p. 35-42.

BONNET, Ch. et SIDDIG A. HAMAD, 1980, *Quelques remarques sur des lions en bronze décorant un lit retrouvé à Kerma*, dans *Genava*, n.s., XXVIII, p. 68-71.

BONNET, Ch. et D. VALBELLE, 1980, *Un prêtre d'Amon de Pnoubs enterré à Kerma*, dans *BIFAO*, 80, p. 1-12.

BONNET, Ch. et D. VALBELLE, 1987, *Un objet inscrit retrouvé dans un bâtiment napatéen à Kerma (Soudan)*, dans *CRIPEL*, 9, p. 25-29.

BOSTON, MUSEUM OF FINE ARTS, 1982, *Egypt's Golden Age: the art of living in the New Kingdom 1558-1085 B.C.*, Boston.

BOSTON, MUSEUM OF FINE ARTS, 1988, *The funerary arts of Ancient Egypt*, Boston.

BOUCHUD, J., 1977, *Les aiguilles en os: étude comparée des traces laissées par la fabrication et l'usage sur le matériel préhistorique et les objets expérimentaux*, dans *Méthodologie appliquée à l'industrie de l'os préhistorique* (Colloques internationaux du CNRS, 568).

BOURDIER, J.-P. et Trinh T. MINH-HA, 1985, *African spaces, designs for living in Upper Volta*, New York, Londres (Africana Publishing Company).

BOURRIAU, J., 1988, *Pharaohs and Mortals. Egyptian art in the Middle Kingdom*, Fitzwilliam Museum Publications, Cambridge University Press.

BREASTED, J. H., 1948, *Egyptian Servant Statues*, Washington, 1948.

BRISSAUD, Ph. et L. COTELLE, 1987, *A propos de tessons retaillés en forme de jetons*, dans *Cahiers de Tanis I* (Recherche sur les civilisations, 75), Paris.

BROOKLYN MUSEUM, 1978, *Africa in Antiquity. The arts of ancient Nubia and the Sudan*, vol. I: *The Essays*, New York.

BURCKHARDT, J. L., 1822, *Travels in Nubia*, Londres (John Murray).

CADENAT, P., 1971, *Notes de préhistoire tiarétienne II. Objets de parure et amulettes*, dans *Lybica*, XIX, p. 115-136.

CAILLIAUD, F., 1823, 1826, 1827, *Voyage à Méroé, au Fleuve blanc, au-delà de Fâzoql dans le midi du royaume de Sennar, à Syouah et dans cinq autres oasis, fait dans les années 1819, 1820, 1821 et 1822*, 4 vol., 2 atlas de planches, Paris.

CAMPANA, D.V., 1979, *A Natufian shaft straightener from Mugaret El Wad, Israel : an example of wear-pattern analysis*, dans *Journal of Field Archaeology*, 6, p. 237-242.

CAMPS, C., 1980, *Le bélier à sphéroïde des gravures rupestres de l'Afrique du Nord*, dans *Encyclopédie berbère*, 26, p. 1-15.

CAMPS-FABRER, H., 1960, *Parure des temps préhistoriques*, dans *Lybica*, VIII, p. 11-155.

CAMPS-FABRER, H., 1968, *Industrie osseuse épipaléolithique et néolithique du Maghreb et du Sahara*, dans *Cahiers de fiches typologiques africaines (6 et 7)*, Paris (Arts et métiers graphiques).

CANBY, J. V., 1985, *Ancient Egypt and the Near East*, dans R. H. RANDALL éd., *Masterpieces of ivory from the Walters Art Gallery*, Baltimore.

CAPART, J., 1905, *Primitive Art in Egypt*, Londres.

CARTLAND, B., 1918, *Balls of thread wound on pieces of pottery*, dans *JEA*, 5, p. 139.

CASTIGLIONE, L., 1960, *Die Rolle des Kyathos im ägyptischen Kult*, dans *Acta Antiqua Hung.*, 8, p. 387-404.

CAUVIN, M.-C., 1983, *Les faucilles préhistoriques du Proche-Orient. Données morphologiques et fonctionnelles*, dans *Paléorient*, 9/1, p. 63-79.

CHAIX, L., 1980, *Note préliminaire sur la faune de Kerma (Soudan)*, dans *Genava*, n.s., XXVIII, p. 63-64.

CHAIX, L., 1982, *Seconde note sur la faune de Kerma (Soudan). Campagnes 1981 et 1982*, dans *Genava*, n.s., XXX, p. 39-42.

CHAIX, L., 1984, *Troisième note sur la faune de Kerma (Soudan). Campagnes 1983 et 1984*, dans *Genava*, XXXII, p. 31-34.

CHAIX, L., 1986a, *Quatrième note sur la faune de Kerma (Soudan). Campagnes 1985 et 1986*, dans *Genava*, n.s., XXXIV, p. 35-40.

CHAIX, L., 1986b, *Les troupeaux et les morts à Kerma (Soudan) (3000 à 1500 avant J.-C.)*, dans *Anthropologie physique et archéologie, Colloque CNRS Toulouse*, Paris (CNRS), p. 297-304.

CHAIX, L., 1988a, *Cinquième note sur la faune de Kerma (Soudan). Campagnes 1987 et 1988*, dans *Genava*, n.s., XXXVI, p. 27-29.

CHAIX, L., 1988b, *Le monde animal à Kerma (Soudan)*, dans *Sahara*, 1 (nov.), p. 77-94.

CHAIX, L. et A. GRANT, 1987, *A study of a prehistoric population of sheep (Ovis aries L.) from Kerma (Sudan). Archaeozoological and archaeological implications*, dans *Archaeozoologia*, 1, 1, p. 77-92.

CHEVEREAU, P.-M., 1987, *Contribution à la prosopographie des cadres militaires de l'Ancien Empire et de la Première Période Intermédiaire*, dans *RdE*, 38, p. 13-48.

CHOYKE, A., 1984, *An analysis of bone, antler, and tooth tools from Bronze Age Hungary*, dans *Mitteilungen des Archäologischen Instituts der Ungarischen Akademie der Wissenschaften*, 12.13.

CHURCHER, C.S., 1984, *Zoological study of the ivory knife handle from Abu Zaidan*, dans W. NEEDLER, *Predynastic and Prehistoric Egypt in the Brooklyn Museum*, Brooklyn, New York.

CIALOWICZ, K. M., 1987, *Les têtes de massue des premières civilisations de la Nubie et du Soudan central*, dans P. O. SCHOLZ et R. STEMPEL ed., *Nubia et Oriens Christianus* (Festschrift fur C. D. MULLER), *Bibliotheca Nubica*, I, Cologne (Dinter).

COLETT, M., 1933, *Study of twelfth and thirteenth Dynasty skulls from Kerma (Nubia)*, dans *Biometrica*, 25, p. 254-284.

COOLEY, W. W. et P. R. LOHNES, 1971, *Multivariate data analysis*, New York (J. Wiley).

CROWFOOT, J. W., 1924, *Nuba pots in the Gordon College*, dans *SNR*, VII, p. 18-28.

DAVIES, N. de G., 1918, *The work of the Robb De Peyster Tytus Memorial Fund at Thebes*, dans *Metropolitan Museum of Art Bulletin*, Supplément mars 1918, p. 14-33.

DAVIES, N. M. et A. H. GARDINER, 1926, *The tomb of Huy, viceroy of Nubia in the reign of Tutankhamen*, Egypt Exploration Fund, Theban Tomb Series, 4, Londres.

DAWSON, W. R., 1972 (2e éd.), *Who was who in Egyptology*, Londres (Egypt Exploration Society).

DEGERBÖL, M. et B. FREDSKILD, 1970, *The Urus (Bos primigenius BOJANUS) and neolithic domesticated cattle (Bos taurus domesticus LINNE)*, dans *Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskab Biologiske Skrifter*, 17, 1.

DENYER, S., 1978, *African Traditional Architecture*, New York (Africana Publishing Company).

DE PAEPE, P., 1988, *Analyse microscopique et chimique de la céramique et inventaire de l'outillage lithique du site de Kerma (Soudan)*, dans *Genava*, n.s., XXXVI, p. 31-35.

DE PAEPE, P., s.d., *Rapport inédit (RUG)*.

DE PAEPE, P. et Y. BRYSSE, 1986, *Analyse microscopique et chimique de la céramique de Kerma (Soudan)*, dans *Genava*, n.s., XXXIV, p. 41-45.

DIXON, D. M., 1963, *A Meroitic cemetery at Sennar (Makwar)*, dans *Kush*, XI, p. 227-234.

DIXON, D. M., 1964, *The Origin of the Kingdom of Kush (Napata - Meroë)*, dans *JEA*, 50, p. 121-132.

DRENKHAHN, R., 1987, *Elfenbein im alten Aegypten*, Erbach.

DUNHAM, D., 1941, *Two recent installations in the Egyptian Galleries - Restoration of a bed from Kerma*, dans *Museum of Fine Arts Bulletin*, 39, N° 231 (février), p. 7-10.

DUNHAM, D., 1946, *Notes on the history of Kush*, dans *AJA*, I, p. 378-388.

DUNHAM, D., 1947, *Outline of the ancient history of the Sudan, V*, dans *SNR*, XXVIII, p. 1-10.

DUNHAM, D., 1950, *The Royal Cemeteries of Kush*, vol. I, *El Kurru*, Cambridge, Mass.

DUNHAM, D., 1955, *The Royal Cemeteries of Kush*, vol. II, *Nuri*, Boston.

DUNHAM, D., 1970, *The Barkal Temples*, The Museum of Fine Arts, Boston.

DUNHAM, D., 1982, *Excavations at Kerma Part VI*, The Museum of Fine Arts, Boston.

DUNHAM, D. et J. JANSSEN, 1960, *Semna Kumma*, I, Boston.

DURST, U. et C. GAILLARD, 1902, *Studien uber die Geschichte des agyptischen Hausschafes*, dans *RecTrav.*, 24, p. 44-76.

EISA, K. A., 1987, *Le mobilier et les coutumes funéraires koushites à l'époque méroïtique*, Thèse de doctorat de 3e cycle, Université de Paris-Sorbonne, Paris IV, UER d'Art et d'Archéologie.

EISENMANN, V., 1981, *Etude des dents jugales inférieures des Equus (Mammalia, Perissodactyla) actuels et fossiles*, dans *Palaeovertebrata*, 10, 3/4, p. 130-226.

EIWANGER, J., 1984, *Merimde-Benisalâme I. Die Funde der Urschicht*, dans *AvDAIK*, 47/1.

EIWANGER, J., 1985, *Die Entwicklung der vorgeschichtlichen Kultur in Agypten*, dans J. ASSMANN et G. BURKARD éd., *5000 Jahre Agypten. Genese und Permanenz Pharaonischer Kunst*, Heidelberg (IS-Edition), p. 61-75.

EMERY, W. B., 1938, *The royal tombs of Ballana and Qustul*, 2 vol. *Mission archéologique de Nubie 1929-1934*, SAE, Le Caire.

EMERY, W. B., 1963, *Egypt Exploration Society. Preliminary report on the excavations at Buhen, 1962*, dans *Kush*, XI, p. 116-120.

EMERY, W. B., 1965, *Egypt in Nubia*, Londres.

EMERY, W. B., 1979, *The fortress of Buhen. The archaeological report*, Londres (EES).

EMERY, W. B. et L. P. KIRWAN, 1935, *The excavations and survey between Wadi es-Sebua and Adindan, 1929-1931*, Le Caire.

ENGELBACH, R., 1933, *The quarries of the western Nubian desert. A preliminary report*, dans *ASAE*, 33, p. 65-74.

ENGELBACH, R., 1938, *The quarries of the western Nubian desert and the ancient road to Tushka*, dans *ASAE*, 38, p. 369-390.

ENGLUND, G. et H.-A. NORDSTRÖM, 1982, *Late Nubian cemeteries*, The Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia, vol. 6, Arlöw, Suède.

EPSTEIN, H., 1971, *The origin of the domestic animals of Africa*, New York, Londres, Munich (Africana Publ. Corp.).

EVANS-PRITCHARD, E. E., 1968 (éd. franç.), *Les Nuer, description des modes de vie et des institutions politiques d'un peuple nilote*, Paris.

FATTOVICH, R., à paraître, *Excavations at Mahal Teglinos (Kassala), 1984-1988. A preliminary report*, dans *Kush*, XVI.

FATTOVICH, R., S. DURANTE et M. PIPERNO, 1980, *Archaelogical survey of the Gash Delta, Kassala Province*, Rapport d'activité, SAS.

FATTOVICH, R., K. SADR et S. VITAGLIANO, 1988, *Società e territorio nel Delta del Gash (Kassala, Sudan orientale) 3000 a. Cr. – 300/400 d. Cr.*, dans *Africa*, XLIII, 3, p. 1-60.

FERIOLI, P. et E. FIANDRA, 1983, *Clay sealing from Arslantepe VI A. Administration and bureaucracy*, dans *Origini*, XII, p. 455-521.

FERNANDEZ, V.-M., 1982, *El cementerio Kerma de Abri-Amir Abdallah (Provincia del Norte). Excavaciones de la Missión Arqueológica Española en el Sudán*, dans *Trabajo de Prehistoria*, 39, Madrid, p. 279-334.

FERNANDEZ, V.-M., 1984, *Early Meroitic in Northern Sudan : The assessment of a Nubian archaeological culture*, dans *Aula Orientalis*, 2, p. 43-84.

FERNANDEZ, V.-M., 1986, *A new Kerma site in Abri (North. Province, Sudan)*, dans M. KRAUSE éd., *Nubische Studien (Tagungsakten des 5. Internationalen Konferenz der International Society for Nubian Studies, Heidelberg, 22-25 sept. 1982)*, p. 55-57.

FERRERO, N., 1984, *Figurines et modèles en terre mis au jour dans la ville de Kerma*, dans *Genava*, n.s., XXXII, p. 21-25.

FIRTH, C. M., 1912, *The archaelogical survey of Nubia. Report for 1908-1909*, Le Caire.

FIRTH, C. M., 1915, *The archaeological survey of Nubia. Report for 1909-1910*, Le Caire.

FIRTH, C. M., 1927, *The archaelogical survey of Nubia. Report for 1910-1911*, Le Caire.

FISCHER, H. G., 1961, *The Nubian Mercenaries of Gebelein during the First Intermediate Period*, dans *Kush*, IX, p. 44-80.

FISCHER, H. G., 1968, *Ancient Egyptian representations of turtles*, New York.

FISCHER, H. G., 1987, *The ancient Egyptian attitude towards the monstrous*, dans *Monsters and demons in the ancient and medieval worlds. Papers presented in honor of Edith Porada*, Mayence, p. 13-16.

FISHER, C. S., 1914, *New Egyptian Galleries*, dans *Museum of Fine Arts Bulletin*, 12, N° 69 (août), p. 39-40.

FLANNERY, K., 1972, *The origins of the village as a settlement type in Mesoamerica and the Near East. A comparative study*, dans P. UCKO *et al.* éd., *Man, settlement and urbanism*, Londres (Duckworth), 1972, p. 23-53.

FRANZ, G., H. PUCHELT et F. PASTEELS, 1987, *Petrology, geochemistry and age relations of Triassic and Tertiary volcanic rocks from SW Egypt and NW Sudan*, dans *Journal of African Earth Sciences*, 6, p. 335-352.

GARSTANG, G., 1901, *El Arabah*, Londres.

GAUTIER, A., 1968, *Mammalian remains of the northern Sudan and southern Egypt*, dans F. WENDORF (ed.), *Prehistory of Nubia*, Dallas (SMU Press), p. 80-99.

GIVEON, R., 1985, *Egyptian scarabs from Western Asia from the Collection of the British Museum*, Fribourg (Suisse).

GOYON, J.-C., 1978, *Hededyt: Isis-scorpion et Isis au scorpion. En marge du papyrus de Brooklyn 47.218.50 - III*, dans *BIFAO* 78, p. 439-457.

GRATIEN, B., 1978, *Les cultures Kerma. Essai de classification*, Lille.

GRATIEN, B., 1985, *La nécropole SKC4 de Saï*, dans *Mélanges offerts à J. Vercoutter*, Paris, p. 93-105.

GRATIEN, B., 1986a, *Saï I. La nécropole Kerma*, Paris (CNRS).

GRATIEN, B., 1986b, *Premières constatations sur les empreintes de sceaux de la forteresse de Mirgissa*, dans M. KRAUSE éd., *Nubische Studien (Tagungsakten des 5. Internationalen Konferenz der International Society for Nubian Studies, Heidelberg, 22-25 sept. 1982)*, Mayence (Ph. v. Zabern), p. 89-91.

GRATIEN, B. et M. OLIVE, 1981, *Fouilles à Saï, 1977-1979*, dans *CRIPEL*, 6, p. 69-167.

GRIFFITH, F. Ll., 1911, *Karanog. The Meroitic inscriptions of Shablûl and Karanog*, Eckley B. Coxe Jr. Expedition to Nubia, vol. VI, Philadelphie.

GRIFFITH, F. Ll., 1923, *Oxford excavations in Nubia. The cemetery of Sanam*, dans *LAAA*, 10, p. 73-171.

GRIFFITH, F. Ll., 1924, *Oxford excavations in Nubia XXVI-XXXIII*, dans *LAAA*, 11, p. 115-125, 141-180.

GRIGSON, C., 1976, *The craniology and relationships of four species of Bos. 3: Basic craniology: Bos taurus L. Sagittal profiles and other non-measurable characters*, dans *Journal of Archaeological Science*, 3, p. 115-136.

GÜLAÇAR, F., A. BUCHS, A. SUSINI, M. KLOHN, à paraître, *Capillary gas chromatography, mass spectrometry and identification of substituted carboxylic acids in lipid extracts from 4000 years old nubian burial*, dans *Journal of chromatography*.

HABACHI, L., 1972, *The second stela of Kamose and its struggle against the Hyksos ruler and its capital*, dans *ADAIK* 8.

HALL, H., 1929, *Catalogue of Egyptian scarabs in the British Museum*, Londres.

HALL, H.T.B., 1962, *A note on the cattle skulls excavated at Faras*, dans *Kush*, X, 2, p. 58-61.

HAUPTMAN, W. et N. SCOTT NEWHOUSE, 1980, *Ch. Gleyre*, Catalogue d'exposition (Grey Art Gallery and Study Center, New York University/The University of Maryland Art Gallery).

HAYES, R. O., 1973, *The distribution of Meroitic archer's rings: an outline of political borders*, dans *Sudan im Altertum*, (*Meroitica* 1), Berlin.

HAYES, W. C., 1953, *The scepter of Egypt* I, New York.

HINKEL, F. W., 1978, *Auszug aus Nubien*, Akademie-Verlag, Berlin.

HINTZE, F., 1962, *Preliminary report on the excavations at Musawwarat Es Sufra, 1960-1961*, dans *Kush*, X, p. 217-226.

HINTZE, F. et U. HINTZE, 1968, *Civilizations of the Old Sudan*, Leipzig.

HINTZE, F. *et al.*, 1971, *Musawwarat es Sufra 1, 2. Der Lowen-tempel*. Tafelband, Berlin.

HODGES, H., 1982, *Black-topped pottery: an empirical study*, dans *Bulletin de liaison du Groupe international d'étude de la céramique égyptienne*, VII, p. 45-51.

HOFMANN, I., 1967, *Die Kulturen des Niltals von Aswan bis Sennar*, Hambourg.

HOFMANN, I., 1971, *Studien zum meroitischen Konigtum*, Monographie N° 2 de la Fondation Egyptologique Reine Elisabeth, Bruxelles.

HOFMANN, I. et H. TOMANDL, 1987, *Die Bedeutung des Tieres in der meroitischen Kultur*, dans *Beiträge zur Sudanforschung*, Beiheft 2, Vienne.

HOLSHER, U. et R. ANTHES, 1951, *The excavation of Medinet Habu. VI. The mortuary chapel of Ramses III*, Chicago.

HOLTHOER, R., 1977, *New Kingdom pharaonic sites. The pottery*, The Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia, vol. 5, 1, Uppsala.

HORNBLOWER, G. D., 1922, *Some Hyksos plaques and scarabs*, dans *JEA*, 8, p. 201-206.

HOSKINS, G. A., 1835, *Travels in Ethiopia, above the second cataract of the Nile*, Londres.

HOULIHAN, P. F., 1986, *The birds of Ancient Egypt*, Warminster (Aris & Phillips), Angleterre.

HUARD, P., 1964, *A propos des bucranes à corne déformée de Faras*, dans *Kush*, XII, p. 63-81.

HUARD, P., 1967-1968, *Influences culturelles transmises au Sahara tchadien par le Groupe C de Nubie*, dans *Kush*, XV, p. 108-113.

HUARD, P. et J. LECLANT, 1980, *La culture des chasseurs du Nil et du Sahara*, dans *Mémoires du Centre de recherches anthropologiques préhistoriques et ethnographiques*, XXIX, Alger.

HUTH, A., G. FRANZ et H. SCHANDELMEIER, 1984, *Magmatic and metamorphic rocks of NW Sudan. A reconnaissance survey*, dans *Berliner geowissenschaftliche Abhandlungen*, 50, p. 7-21.

ISINGS, C., 1957, *Roman glass from dated finds*, Groningen.

JACQUET-GORDON, H., 1981, *A tentative typology of Egyptian bread moulds*, dans *Studien zur altägyptischen Keramik*, Mayence, p. 11-24.

JACQUET-GORDON, H., Ch. BONNET et J. JACQUET, 1969, *Pnubs and the Temple of Tabo on Argo Island*, dans *JEA*, 55, p. 103-110.

JACQUET-GORDON, H. et Ch. BONNET, 1971-1972, *Tombs of the Tanqasi Culture at Tabo*, dans *JARCE*, 9, p. 77-83.

JEQUIER, G., 1933, *Fouilles à Saqqarah IV: Les pyramides de Neit et Apouit*, Le Caire.

JONES, D., 1988, *A glossary of ancient Egyptian nautical titles and terms*, Londres et New York.

JOURDAN, L., 1980, *Sacrifices de moutons et leur signification rituelle dans des tombes Kerma de l'île de Saï (Vallée du Nil, début du deuxième millénaire avant J.-C.)*, Mémoire archéologique, 1, CRA, Valbonne.

JOURDAN, L., 1981, *Campagne 1976-1977 à l'île de Saï. Offrandes animales de la nécropole Kerma*, dans *CRIPEL*, 6, p. 171-189.

JUNKER, H., 1925, *Bericht über die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wien auf den Friedhöfen von Ermenne (Nubien) im Winter 1911-1912*, dans *DÖAW*, 67, 1. Abh.

JUNKER, H., 1926, *Bericht über die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wien auf dem Friedhof von Toschke (Nubien) im Winter 1911/12*, dans *DÖAW*, 68, 1. Abh.

JUNKER, H., 1932, *Bemerkungen zur Kerma-Kunst*, dans *Studies presented to F. Ll. GRIFFITH*, Londres, p. 297-303.

KAISER, W. et G. DREYER, 1977, *Stadt und Tempel von Elephantine. Siebter Grabungsbericht*, dans *MDAIK*, 33, p. 63-83.

KAISER, W. et G. DREYER, 1982, *Stadt und Tempel von Elephantine. Neunter/Zehnter Grabungsbericht*, dans *MDAIK*, 38, p. 271-284.

KANTOR, H. J., 1947, *The Aegean and the Orient in the Second Millenium B.C.*, Bloomington, Indiana.

KANTOR, H. J., 1948, *A predynastic ostrich egg with incised decoration*, dans *Journal of Near Eastern Studies*, 7, 1, p. 46-51.

KEMP, B., 1987 (1982), *From Old Kingdom to Second Intermediate Period*, dans *The Cambridge History of Africa*, I, Cambridge (Cambridge University Press).

KENDALL, T., 1982, *Kush: Lost Kingdom of the Nile*, Brockton, Mass.

KILLEN, G., 1980, *Ancient Egyptian Furniture I*, Warminster, Angleterre.

KITSON, E., 1931, *A study of the Negro skull with special reference to the crania from Kenya colony*, dans *Biometrica*, 23, p. 271-314.

KLOHN, M., A. SUSINI, C.-A. BAUD, M. SAHNI et C. SIMON, 1987, *Taphonomie d'une sépulture du Kerma Ancien (Soudan): Résultats préliminaires d'une étude biophysique et biochimique*, dans *Méthodes d'étude des sépultures: compte rendu de la table ronde tenue à Saint-Germain-en-Laye, les 16 et 17 mars 1987*, CNRS, RCP 742.

KLOHN, M., A. SUSINI et C.-A. BAUD, 1988, *Taphonomy of an ancient Kerma (Sudan) burial. A biophysical and biochemical study*, dans *Amer. J. Phys. Anthropol.* 75, p. 232.

KOENIG, Y., 1987, *La Nubie dans les textes magiques. «L'inquiétante étrangeté»*, dans *RdE* 38, p. 105-110.

KRONENBERG, A., 1962, *The thumb ring: a modern parallel to a Meroitic object*, dans *Kush*, X, p. 336-337.

KUHNERT-EGGEBRECHT, E., 1969, *Die Axe als Waffe und Werkzeug in Alten Aegypten*, Berlin.

LACOVARA, P., 1981, *The Hearst Excavations at Deir el-Ballas: The Eighteenth Dynasty Town*, dans *Studies in Ancient Egypt, the Aegean, and the Sudan. Essays in honor of Dows Dunham*, Boston, p. 120-124.

LACOVARA, P., 1985, *A domestic assemblage from Kerma*, dans *Bulletin de Liaison du groupe international d'étude de la céramique égyptienne*, X, p. 56-57.

LACOVARA, P., 1986, *The funerary chapels at Kerma*, dans *CRIPEL*, 8, p. 49-58.

LAMING MACADAM, F., 1946, *Gleanings from the Bankes Mss.*, dans *JEA*, 32, p. 57-64.

LANSING, A., 1918, *Excavations at the Palace of Amenhotep III at Thebes*, dans *Bulletin of the Metropolitan Museum of Art*, XIII, Suppl.: *The Egyptian Expedition 1916-1917*, p. 8-14.

LAWAL, B., 1975, *Yoruba-Sango ram symbolism from ancient Sahara or dynastic Egypt?* Dans *African images, essays in African iconology*, Boston, University Papers on Africa, 6.

LECLANT, J., 1973, *Une province nouvelle de l'art saharien: les gravures rupestres de Nubie*, dans *Maghreb et Sahara, Etudes géographiques offertes à Jean Despois*, Société de Géographie, Paris, p. 239-246.

LEPSIUS, C. R., 1849-1859, *Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien*, planches, 12 vol., Berlin.

LEPSIUS, R., 1853, *Letters from Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinaï*, Londres.

LETELLIER, B., 1980, *La vie quotidienne chez les artisans de Pharaon* (Catalogue d'exposition, Musée Borély, Marseille).

LILYQUIST, L., 1979, *Ancient Egyptian mirrors from the earliest times through the Middle Kingdom*, dans *MÄS*, 27.

MACADAM, M. F., 1949, *The temples of Kawa*, I, *The inscriptions*, Oxford University Excavations in Nubia, Londres.

MACADAM, M. F., 1955, *The temples of Kawa*, II, *History and archaeology of the site*, Oxford University Excavations in Nubia, Londres.

MACDIARMID, D. N., 1922, *Nuba boys at play*, dans *SNR*, V, p. 231-233.

MACGREGOR, A., 1985, *Bone, antler, ivory and horn: the technology of skeletal materials since the Roman period*, Totowa, N.J. (Barnes and Noble Books).

MALEY, J., 1975, *La nécropole de la vallée occidentale (MX TC)*, dans J. VERCOUTTER, *Mirgissa II*, Paris, p. 229-290.

MANUR-FRANCHOMME, M., 1983, *Scanning electron microscopy of dry hide working tools. The role of abrasives and humidity in micro-wear polish formation*, dans *Journal of Archaeological Science*, 10/3, p. 223-230.

MARTIN, G. T., 1971, *Egyptian administrative and private-names sealings, principally of the Middle Kingdom and Second Intermediate Period*, Oxford.

MARTIN, R. et K. SALLER, 1957, *Lehrbuch der Anthropologie*, Stuttgart (Fischer).

MASSET, Cl., 1973, *La démographie des populations inhumées*, dans *L'Homme*, 13, 4, p. 95-131.

MASSET, Cl., 1982, *Estimation de l'âge au décès par les sutures crâniennes*, Thèse, Université Paris VII.

MATOUK, F. S., 1976, *Corpus du scarabée égyptien*, Beyrouth.

MAYSTRE, Ch., 1975, *Découvertes récentes (1969-1972) près d'Akasha*, dans *Nubia, récentes recherches*, Varsovie (Musée national), p. 88-91.

MAYSTRE, Ch., 1980, *Akasha I*, Genève (Georg).

MAYSTRE, Ch. *et al.*, 1986, *Tabo I. Statue en bronze d'un roi méroïtique (Musée national de Khartoum, Inv. 24705)*, Genève (Georg).

McKERN, T. W. et T. D. STEWART, 1957, *Skeletal age changes in young American males*, Natick, Mass., Quatermaster research and development center (Technical report, EP-45).

MEKHITARIAN, A., 1961, *Mission au Soudan (février 1960)*, dans *CdE*, XXXVI, 71, p. 113-147.

MELLAART, J., 1970, *Excavations at Hacilar*, British Institute of Archaeology, Ankara, Edimbourg.

MOND, S. R., 1937, *Cemeteries of Armant I*, Londres (Egypt Exploration Society).

MORALES, V. B., 1983, *Jarmo figurines and other clay objects*, dans R. BRAIDWOOD et B. HOWE, *Prehistoric archaeology along the Zagros flanks*, OIP 105, Chicago, p. 369-374.

MULLER, H., 1984, *Un cas de dysfonction occlusale et ses répercussions sur l'articulation temporo-mandibulaire du cimetière de Kerma (Soudan)*, dans *5th European Meeting of the Paleopathology Association*, Sienne, 1984, p. 235-242.

MUZZOLINI, A., 1986, *L'art rupestre préhistorique des massifs centraux sahariens*, dans *Cambridge Monographs in African Archaeology*, 16, *BAR*, Int. Series 318, p. 91-103.

NEEDLER, W., 1984, *Predynastic and archaic Egypt in the Brooklyn Museum*, The Brooklyn Museum.

NEWBERRY, P., 1970, *Scarab-shaped seals. Catalogue général des Antiquités Egyptiennes*, Oxford.

NORDEN, F., 1755, *Voyage d'Egypte et de Nubie*, Copenhague.

NORDSTRÖM, H.-A., 1972, *Neolithic and A-Group Sites*, The Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia, vol. 3, Uppsala.

O'CONNOR, D., 1980, *B. Gratien, Les cultures Kerma*, dans *Bibliotheca Orientalis*, XXXVII, 5/6, p. 326-329.

O'CONNOR, D., 1984, *Kerma and Egypt. The significance of the monumental buildings Kerma I, II and XI*, dans *JARCE*, XXI, p. 65-108.

O'CONNOR, D., 1986, *The location of Yam and Kush and their historical implications*, dans *JARCE*, 23, p. 27-50.

OLIVIER, G., 1960, *Pratique anthropologique*, Paris (Vigot).

OLSEN, S., 1984, *Analytical approaches to the manufacture and use of bone artifacts in prehistory*, Ph.D. dissertation (non publiée), Institut d'Archéologie, Londres.

OMER, M. K., 1983, *The geology of the Nubian sandstone formation in Sudan*, Geological and Mineral Resources Department of the Ministry of Energy and Mining (Sudan).

PETRIE, W. M. F., 1914, *Amulets*, Londres.

PETRIE, W. M. F., 1927, *Objects of daily use*, Londres.

PIA, J., 1942, *Beobachtungen an Schadeln des altägyptischen Hausschafes*, dans *Zeitschrift fur Tierzuchtung und Zuchtungsbiologie*, 53, p. 171-179.

PLISSON, H., 1986, *Micro-tracéologie fonctionnelle sur l'os: quelques résultats expérimentaux*, Troisième réunion du Groupe de travail N° 1 sur l'industrie de l'os préhistorique: *Outillage peu élaboré en os et en bois de cervidés II* (Ed. du Centre d'études et de documentation archéologiques), p. 69-80.

POLINGER FOSTER, K., 1979, *Aegean Faience of the Bronze Age*, New Haven et Londres.

PONCET, Ch. J., 1709, *A voyage to Aethiopia, made in the year 1698, 1699 and 1700*, Londres, dans *The Red Sea and adjacent countries at the close of the seventeenth century* (Works issued by the Hakluyt Society, 2nd series, C, 1949), Kraus Reprint Ltd, Nendeln/Liechtenstein, 1967.

POSENER, G., 1934, *Catalogue des ostraca hiératiques littéraires de Deir el Médineh*, dans *DFIFAO*, I, Le Caire.

PRIVATI, B., 1982, *Nouveaux éléments pour une classification de la céramique du Kerma Ancien*, dans *Genava*, n.s., XXX, p. 27-36.

PRIVATI, B., 1986, *Remarques sur les ateliers de potiers de Kerma et sur la céramique du Groupe C*, dans *Genava*, n.s., XXXIV, p. 23-28.

PRIVATI, B., 1988, *La céramique de l'établissement pré-Kerma*, dans *Genava*, n.s., XXXVI, p. 21-24.

REINOLD, J., 1982, *Le site préhistorique d'El-Kadada (Soudan central)*, Thèse de doctorat de 3e cycle, Université de Lille III.

REINOLD, J., 1987, *Les fouilles pré- et protohistoriques de la Section française de la Direction des Antiquités du Soudan: les campagnes 1984-1985 et 1985-1986*, dans *Archéologie du Nil Moyen*, 2, p. 17-56.

REINSBERG, C., 1980, *Studien zur hellenistischen Toreutik. Die antiken Gipsabgüssen aus Memphis*, dans *Hildesheimer Ägyptologische Beiträge*, 9.

REISNER, G. A., 1910, *The archaeological survey of Nubia. Report for 1907-1908*, Le Caire.

REISNER, G. A., 1914a, *New Acquisitions of the Egyptian Department*, dans *Museum of Fine Arts Bulletin*, 12, N° 69 (avril), p. 9-24.

REISNER, G. A., 1914b, *Excavations at Kerma I and II*, dans *ZAS*, 52, p. 34-49.

REISNER, G. A., 1915a, *Excavations at Kerma (Dongola Province). Report on the Egyptian Expedition of Fine Arts*, dans *ZAS*, LII, I, p. 34-39, II, p. 40-49.

REISNER, G. A., 1915b, *Accessions to the Egyptian Collections during 1914*, dans *Museum of Fine Arts Bulletin*, 13, N° 80 (déc.), p. 71-83.

REISNER, G. A., 1918, *The tomb of Hepzefa, nomarch of Siut*, dans *JEA*, 5, p. 79-98.

REISNER, G. A., 1919a, *Discovery of the Egyptian XXVth dynasty at El-Kurruw in Dongola Province*, dans *SNR*, II, p. 237-254.

REISNER, G. A., 1919b, *Outline of the ancient history of the Sudan. IV. The first kingdom of Ethiopia, its conquest of Egypt and its development into the kingdom of the Sudan (1100-250BC)*, dans *SNR*, II, p. 35-67.

REISNER, G. A., 1920, *The viceroys of Ethiopia*, dans *JEA*, VI, p. 28-55 et p. 73-88.

REISNER, G. A., 1923a, *Excavations at Kerma. Parts I-III*, dans *Harvard African Studies*, 5, Cambridge, Mass.

REISNER, G. A., 1923b, *Excavations at Kerma. Parts IV-V*, dans *Harvard African Studies*, 6, Cambridge, Mass.

REISNER, G. A., 1955, *Clay-sealings of dynasty XIII from Uronarti fort*, dans *Kush*, III, p. 26-69.

REISNER, G. A., 1966, *Black-topped pottery*, dans *JARCE*, V, p. 7-10.

RHODES, D., 1976, *La poterie, les fours*, Paris.

ROSING, F. W., 1990, *Qubbet el Hawa und Elephantine. Zur Bevölkerungsgeschichte von Ägypten*, Stuttgart-New York, G. Fischer Verlag.

ROWE, A., 1936, *A catalogue of Egyptian scarabs, scaraboids, seals and amulets in the Palestine Archaeological Museum*, Le Caire.

RYDER, M. L., 1984, *Skin, hair and cloth remains from the ancient Kerma civilization of northern Sudan*, dans *Journal of Archaeological Science*, II, p. 477-482.

RYDER, M. L., 1987, *Sheepskin from ancient Kerma, northern Sudan*, dans *Oxford Journal of Archaeology*, 6, 3, p. 369-380.

RYDER, M. L. et T. GABRA-SANDERS, 1987, *A microscopic study of remains of textiles made from plant fibres*, dans *Oxford Journal of Archaeology*, 6, 1, p. 91-108.

RYL-PREIBISZ, I., 1986, *On the types of capitals in Christian Nubia*, dans M. KRAUSE, éd., *Nubische Studien (Tagungssakten der 5. Internationalen Konferenz der International Society for Nubian Studies, Heidelberg, 22-25 sept. 1982)*, Mayence (Ph. v. Zabern), p. 379-384.

SALEH, M. et H. SOUROUZIAN, *Official catalogue. The Egyptian Museum Cairo*, Mayence.

SAUNERON, S., 1981, *Village du Groupe C à Ouadi Es-Sebouâ*, dans *Supp. ASAE* 24 (Actes du IIe Symposium international sur la Nubie, février 1971), p. 75-81.

SAVE-SÖDERBERGH, T., 1941, *Ägypten und Nubien: ein Beitrag zur Geschichte altägyptischer Aussenpolitik*, Lund.

SAVE-SÖDERBERGH, T., 1951, *The Hyksos rule in Egypt*, dans *JEA*, 37, p. 53-79.

SAVE-SÖDERBERGH, T., 1963, *Preliminary report of the Scandinavian Joint Expedition. Archaeological investigations between Faras and Gemai, November 1961-March 1962*, dans *Kush*, XI, 47-69.

SAVE-SÖDERBERGH, T., 1967-1968, *Preliminary report of the Scandinavian Joint Expedition*, dans *Kush*, XV, p. 211-250.

SAVE-SÖDERBERGH, T., 1989, *Middle Nubian Sites*, The Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia, vol. 4: 1-2, Uddevalla.

SCANDONE-MATTHIAE, G., 1982, *Inscriptions royales de l'Ancien Empire à Ebla*, dans *Berliner Beiträge zum vorderen Orient*, 1, Berlin, p. 125-130.

SCHANDELMEIER, H., A. HUTH, U. HARMS, G. FRANZ et R. BERNAU, 1987, *The East Saharan craton in southern Egypt and northern Sudan: lithology, metamorphism, magmatism, geochronology and structural development*, dans *Berliner geowissenschaftliche Abhandlungen*, 75, p. 25-48.

SCHIFF GIORGINI, M., 1965a, *Soleb I. 1813-1963*, Florence (Sansoni).

SCHIFF GIORGINI, M., 1965b, *Première campagne de fouilles à Sedeinga, 1963-1964*, dans *Kush*, XIII, p. 112-130.

SCHIFF GIORGINI, M., 1971, *Soleb II. Les nécropoles*, Florence.

SCHMANDT-BESSERAT, D., 1978, *The earliest precursor of writing*, dans *Scientific American*, 238/6, p. 38-47.

SCHMANDT-BESSERAT, D., 1985, *Clay symbols for data storage in the VIII millennium B.C.*, dans *Studi di paletnologia in onore di s. M. PUGLISI*, Rome (Université de Rome «La Sapienza»), p. 149-154.

SEIGNOBOS, Ch., 1982, *Montagnes et hautes terres du Nord-Cameroun*, Roquevaire (France).

SETERS van, J., 1966, *The Hyksos*, New Haven.

SETHE, K., 1932, *Urkunden des Alten Reiches*, I, Leipzig.

SHINNIE, M., 1958. *Linant de Bellefonds Journal d'un voyage à Meroe dans les années 1821 et 1822*. SAS, Occasional Papers, 4. Khartoum.

SHINNIE, P. L., 1967. *Meroe, a civilization of the Sudan*. Londres (Thames & Hudson).

SHINNIE, P. L. et R. BRADLEY, 1980. *The Capital of Kush*. I. dans *Meroitica*. 4. Berlin.

SHINNIE, P. L. et H. N. CHITTICK. 1961. *Ghazali — A monastery in the Northern Sudan*. SAS. Occasional Papers. 5. Khartoum.

SHORTER, A. W., 1935. *Notes on some funerary amulets*. dans *JEA*. 21. p. 171-176.

SIMON, C., 1982. *Etude anthropologique préliminaire sur le matériel du Kerma Ancien (Kerma, Soudan)*. dans *Genava*. n.s., XXX, p. 65-66.

SIMON, C., 1984. *Etude anthropologique préliminaire sur le matériel du Kerma Ancien (Kerma, Soudan)*. dans *Genava*. n.s., XXXII. p. 34-46.

SIMON, C., 1986. *Contribution à la connaissance de l'anthropologie du Kerma Ancien*. dans M. KRAUSE éd., *Nubische Studien (Tagungsakten des 5. Internationalen Konferenz der International Society for Nubian Studies. Heidelberg 22-25 sept. 1982)*. Mayence (Ph. v. Zabern), p. 179-186.

SIMON, C., 1988. *Notes anthropologiques sur les restes humains. Kerma (Soudan). Campagnes 1986-1988*. dans *Genava*. n.s., XXXVI. p. 25-26.

SIMON, C., à paraître. *Les populations Kerma. Evolution interne et relations historiques dans le contexte egypto-nubien*. dans *Archéologie du Nil Moyen*. 3.

SIMON, C. et R. MENK. 1985. *Diachronic study of the internal structure of the population of the Nile Valley by means of multivariate analysis of morphometric data*. dans *Anthropologia Contemporanea*, 8, 2, p. 95-104.

SIMPSON, W. K., 1963. *Heka-Nefer and the dynastic material from Toshka and Arminna*. Publication of the Pennsylvania-Yale Expedition to Egypt. No 1. New Haven, Conn.

SMITH, H. F. C., 1955. *The transfer of the capital of Kush from Napata to Meroe*. dans *Kush*, III. p. 20-25.

SMITH, H. S., 1976. *The fortress of Buhen. The inscriptions*. Londres (Egypt Exploration Society).

SMITH, W. S., 1958. *The art and architecture of Ancient Egypt*. Baltimore.

SMITH, W. S., 1965. *Interconnections in the Ancient Near East*. New Haven et Londres.

SMITH, W. S., 1981. *The art and architecture of Ancient Egypt*, éd. mise à jour par W. K. SIMPSON, Harmondsworth.

SMITHER, P. C., 1945. *The Semna despatches*, dans *JEA* 31. p. 3-10.

SOLEILHAVOUP, F., 1988. *Découvertes archéologiques exceptionnelles au sud de l'Ahaggar*. dans *Sahara*, I. p. 56.

SOUKASSIAN, G. *et al.* 1985. *Rapport préliminaire des fouilles à Ayn-Asil 1983-1984*. dans *ASAE* 70. p. 151-161.

STEINDORFF, G., 1935-1937. *Aniba*. 2 vol. SAE. Mission archéologique de Nubie. 1929-1943. Glückstadt et Hambourg.

STEINDORFF, G., 1946. *The magic knives of the Middle Kingdom*. dans *Journal of the Walters Art Gallery*. 9. p. 41-51. 106-107.

STOCK, H., 1942. *Studien zur Geschichte und Archäologie der 13. bis 17. Dynastie Ägyptens unter besonderen Berücksichtigung der Skarabäen dieser Zwischenzeit*. Glückstadt-Hambourg-New York.

STRECK, B. 1982. *Sudan. steinerne Gräber und lebendige Kulturen am Nil*. Cologne.

THILENIUS, G., 1900. *Das aegyptisches Hausschaf*. dans *RecTrav*. 22e année. Paris (Bouillon). p. 199-212.

TÖRÖK, L., 1987. *The historical background. Meroe. North and South*. dans T. HAGG ed. *Nubian Culture. Past and present. Main papers at the 6th International Conference for Nubian Studies in Uppsala. 11-16 Aug. 1986*. Stockholm. p. 139-229.

TÖRÖK, L., 1988. *Kush and the external world*. dans *Meroitica*. 10 (Actes de la 5e Conférence internationale d'études méroïtiques. Rome. 1984). p. 49-215. 365-379.

TRIGGER, B. G., 1965. *History and settlement in Lower Nubia*. Yale University Publications in Anthropology. 69. New Haven.

TRIGGER, B. G., 1967. *The late Nubian settlement at Arminna West*. Publication of the Pennsylvania-Yale Expedition to Egypt. N° 2. New Haven. Conn.

TRIGGER, B. G., 1976. *Nubia under the Pharaons*. Londres.

TRIGGER, B. G., B. J. KEMP, D. O'CONNOR et A. B. LLOYD. 1983. *Ancient Egypt. a social history*. Cambridge (Cambridge University Press).

TUFNELL, O., 1984. *Studies on scarab seals. II. Scarab seals and their contribution to the history in the Early Second Millenium B.C.* Warminster.

TURIN. Musée égyptien. 1988. *Civilisation des Egyptiens. II. Les croyances religieuses*. Milan (Electa. Spa).

UCKO, P. J., 1968. *Anthropomorphic figurines of predynastic Egypt and neolithic Crete with comparative material from the prehistoric Near East and mainland Greece*. dans *Royal anthropological Institute occasional paper*. 24. Londres.

VAIL, J. R., 1982. *Geology of the central Sudan*. dans M. Williams & D. Adamson. Balkema/Rotterdam. p. 51-63.

VALBELLE, D., 1981. *Satis et Anoukis*. Mayence. p. 108-109.

VALBELLE, D., 1988. *La vie dans l'Egypte ancienne*. Paris (PUF).

VALLOGGIA, M., 1986. *Balat I. Le mastaba de Medou-Nefer*. fasc. 1-2. Le Caire (IFAO).

VALLOGGIA, M., 1985. *Les amiraux de l'oasis de Dakhleh*. dans *Mélanges offerts à Jean Vercoutter*. Paris. p. 355-364.

VANDIER, J., 1969. *Manuel d'archéologie égyptienne. V. Bas-reliefs et peintures. scènes de la vie quotidienne*. Paris (Picard).

VANDIER D'ABBADIE, J., 1972. *Catalogue des objets de toilette égyptiens*. Musée du Louvre. Département des Antiquités Egyptiennes. Paris.

VAN MOORSEL, P., J. JACQUET et H. SCHNEIDER. 1975. *The central church of Abdallah Nirqi*. The Netherlands Excavations in Nubia. Abu Simbel North. 1962-1964. Leyde.

VERCOUTTER, J., 1959. *The gold of Kush*. dans *Kush*. VII. p. 120-153.

VERCOUTTER, J., 1960. *A dagger from Kerma*. dans *Kush*. VIII. p. 265-267.

VERCOUTTER, J., 1970. *Mirgissa I*. Paris.

VERCOUTTER, J., 1975. *Mirgissa II. Les nécropoles*. Paris.

VERCOUTTER, J., 1988. *Le Sahara et l'Egypte pharaonique*. dans *Sahara*. I. p. 9-19.

VERNIER, E., 1907. *Bijoux et orfèvreries*. dans *CG*. Le Caire.

VILA, A., 1963. *Un dépôt de textes d'envoûtement au Moyen Empire*. dans *Journal des Savants* (janvier-mars) p. 135-160.

VILA, A., 1970. *Le cimetière Kerma*. dans J. VERCOUTTER. *Mirgissa I*. Paris. p. 223-305.

VILA, A., 1984. *Gens à anneaux. gens à cistes*. dans *Meroitica*. 7. p. 557-570.

VILA, A., 1987. *Le cimetière kermaique d'Ukma ouest*. Paris.

WAINWRIGHT, G. A., 1952. *The date of the rise of Meroe*. dans *JEA*. 38. p. 75-77.

WEINSTEIN, J., 1982. *Foundation Deposits in Ancient Egypt*. University Microfilms International. Ann Arbor. Michigan.

WENIG, St., 1978. *Africa in Antiquity. The arts of ancient Nubia and the Sudan*. vol. II: *The Catalogue*. The Brooklyn Museum. New York.

WENIG, St., 1979. *Meroitic painted ceramics*. in *Meroitica*. 5. p. 129-134.

WHITEMAN, A. J., 1971. *The geology of the Sudan Republic*. Oxford (Clarendon Press).

WILDUNG, D., 1973. *Der widdergestaltige Amun-Ikonographie eines Götterbildes*. dans *Actes du Congrès International des Orientalistes*. Paris.

WILKINSON, A., 1971. *Ancient Egyptian Jewelry*. Londres.

WINLOCK, H., 1932. *Pearls shells of Se'n-wosret I*. dans *Studies presented to F. Ll. Griffith*. Londres. p. 388-392.

WINLOCK, H., 1955. *Models of daily life in Ancient Egypt*. Cambridge. Mass.

WOLF, W., 1926. *Die Bewaffnung des Altägyptischen Heeres*. Leipzig.

WOOLLEY, L. C. et D. RANDALL MACIVER. 1910., *Karanog. The Romano-Nubian cemetery*. Philadelphia.

YELLIN, J., 1978. *The role and iconography of Anubis in Meroitic religion*. Ph. D. Thesis Brandeis University 1979. University Microfilms. Ann Arbor.

YOYOTTE, J., 1959. *Animaux sacrés*. dans *Dictionnaire de la civilisation égyptienne*. Paris. p. 15.

ZABKAR, L. V., 1981. *A new administrative title on the sealings from Semna South*. dans *Studies in ancient Egypt. the Aegean and the Sudan. Essays in honour of Dows Dunham*. Boston. p. 211-213.

Abréviations

ADAIK	*Abhandlungen des Deutschen Archäologischen Instituts Kairo*. Ägyptologische Reihe
AVDAIK	*Archäologische Veröffentlichungen. Deutsches Archäologisches Institut*. Abteilung Kairo
AJA	*American Journal of Archaeology*
ASAE	*Annales du Service des Antiquités de l'Egypte*
BIFAO	*Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale*
BSFE	*Bulletin de la Société Française d'Egyptologie*
CdE	*Chronique d'Egypte*
CG	*Catalogue Général des Antiquités Egyptiennes du Musée du Caire*
CRIPEL	*Cahiers de Recherches de l'Institut de Papyrologie et d'Egyptologie de Lille*
Denk	*Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien*. Berlin 1849-1859
DFIFAO	*Documents de Fouilles de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire*
DOAW	*Denkschriften der Österreichischen Akademie der Wissenschaften in Wien*. Phil.-hist. Kl.
JARCE	*Journal of the American Research Center in Egypt*
JEA	*Journal of Egyptian Archaeology*
LA	*Lexikon der Ägyptologie*. Wiesbaden
LAAA	*Annals of Archaeology and Anthropology*
MÄS	*Münchner Ägyptologische Studien*
MDAIK	*Mitteilungen des Deutschen Archäologischen Instituts*. Abteilung Kairo
OIP	*Oriental Institute Publications*. The Univerity of Chicago
PN	Ranke H., *Die altägyptischen Personennamen*. Glückstadt/Hamburg. 1935 et 1952.
RdE	*Revue d'Egyptologie*
RecTrav	*Recueil de Travaux Relatifs à la Philologie et à l'Archéologie Egyptienne et Assyrienne*
SAE	Service des Antiquités de l'Egypte
SAS	Sudan Antiquities Service
SNR	*Sudan Notes and Records*
Urk.	*Urkunden des ägyptischen Altertums. I*: K. Sethe. *Urkunden des Alten Reiches*. Leipzig. 1933
Wb.	Erman A. et H. Grapow. *Wörterbuch der ägyptischen Sprache*. Berlin et Leipzig. 1940-1959
ZÄS	*Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde*

Designed & Printed by
Khartoum House
Tel : 472602 - Po. Box : 10471



- ولد البروفسور أحمد محمد علي الحاكم في شهر يناير ١٩٣٨م
- تخرج في جامعة الخرطوم في عام ١٩٦٣م
- حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الآثار من جامعة كمبردج، انجلترا (١٩٦٤ - ١٩٧١)
- قام بتدريس مادة الآثار كمحاضر واستاذ مشارك، وشغل كرسي البروفيسور في الآثار في جامعة الخرطوم في عام ١٩٨٣م
- أسس شعبة الآثار بجامعة الخرطوم عام ١٩٧١م
- أدار أبحاثاً أثرية واثنو - أثرية في منطقة وادي حلفا، مروى، البطانة، البحر الأحمر، كردفان، دارفور وولاية الخرطوم.
- شغل منصب رئيس مجلس الادارة للهيئة القومية للآثار والمتاحف (١٩٩٠ - ١٩٩٤م).
- نشر العديد من الكتب والمقالات وأشرف على الكثير من رسالات الماجستير والدكتوراه في الآثار.
- اختاره الله إلى جواره في ١٣ / ٢ / ١٩٩٦م